الدوحة

د. يوسف القرضاوي: نحو اجتهاد إسلامي معاصر



د. كوثر عبد الرسول: إفريقيا الرائعة.. جائعة!

خدعة أدبية هزت بريطانيا

مـــاذا حدث ويحدث في هـــذه الدنيـــا ؟

مع هموم العالم بانتظار "الجديد" في التاريخ

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

شريط المجاعة الأفريقية لم ينته فصولا بعد .. بصوره الحادة التي تمر في وعي هذا العالم شبه المخدر الذي يتفرج عليها . وهو راكض الى المجهول على عجلات من الكمبيوتر الشديد الذكاء .. وقد انشغل بأكبر « أوكازيون » استهلاكي عرفه التاريخ !

شريط المجاعة الأفريقية الشاملة لم ينته بعد . ولكن سرعان مازحمه في وقت واحد شريط التسمم الآسيوي الهندي بالغازات السامة . فتراكمت جثث الضحايا المشوهة بكيمياء التمدن على الجثث التي أهلكتها عدالة النظام العالمي الذي يقيس تقدم المجتمعات معيشياً بما تستهلكه من قطع « البيف ــ ستيك » .. أي اللحم الخالص المقلي حسب مواصفات المطبخ الأوربي والأمريكي !

وكفترة « استراحة » بين الشريطين .. شريط المجاعة الأفريقية وشريط التسمم الآسيوي . تأتي « مختارات » من شريط المذبحة اللاتينية في السلفادور وأمريكا الوسطى ، على مراحل لتكمل الصورة .. وتوقظ من لم يستيقظ بعد .. من آثار سهرة الحفلة الاستهلاكية الكبرى التي تقيمها في مختلف انحاء العالم الشركات متعددة الجنسيات مع أفضل تحيات الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي ! !

وبين هذه وتلك ، تمر سراعاً ، مشاهد خطف الطائرات ، مع تصعيد الخطف الى التعذيب والقتل ، ومشاهد انفجار السيارات المفخخة في الأحياء السكنية ، الى مسلسل الصراعات الدموية الطائفية بين الجماعات العرقية والمذهبية في كل انحاء العالم من ايرلندا الشمالية الى سيخ البنجاب الى تاميل سيلان .. هذا حتى لا نذكر شيئا عن حياة الجماعات « المتآخية والمتضامنة » في تخريب مستقبلها ومصيرها في المنطقة الذائعة الصيت والتي يسمونها .. الشرق الأوسط !

* من الغاب البدائي الى الغاب الالكتروني ؟ *

حقاً .. ماذا حدث ويحدث في هذا العالم ؟ هل هذه بشائر عالمنا الجديد سنة ألفين ؟ هل هذه ارهاصات القرن الحادي والعشرين ؟

أم أن عالمنا ينوي العودة الى عصور الغاب وقد غلبه الحنين الى أيامه الدموية الأولى زمن سطوة الناب والمخلب ، فقرر العودة إليها ، وفي يده هذه المرة القنبلة النووية والنيوتروجينية والعنقودية بدل الناب والمخلب ، فلا يبقى لمرحلة الحضارة من أثر غير كونها مرحلة الانتقال من الغاب البدائي الى الغاب الالكتروني ؟

ولكن يجب أن يكون واضحاً ــ كي لا نقع في رومانسية ساذجة ــ ان المشكلة ليست مشكلة تكنولوجيا وليست أزمة إسراف في الاعتماد على الوسائل التقنية .. فهذه وسائل لا غايات ..

والأزمة اليوم في الغايات .. أو في القيم النهائية العليا السائدة التي تحدد لعالمنا غاياته ..

ويتوجب أن يقال ويفهم بكل وضوح أن النظام العالمي السائد بقيمه ومنطلقاته وركائزه الأساسية وروحيته وذهنيته الحاضرة ، ان لم يكن قد أفلس ، فهو في طريقه الى الأفلاس . فلا يعقل أن يكون هذا الذي يحدث كله من اختلال مجرد أحداث عادية يقع مثلها في كل عصر وزمان ، وأنه ليس في الامكان أبدع مما كان ، وأن عالمنا الحاضر هو أفضل العوالم ، كما كان يزعم دائماً المعلم الساذج الذي رسم شخصيته فولتير في قصصه الرمزية الساخرة « كانديد » .

والنظام العالمي السائد ، تحديداً ، هو نظام الرجل الأبيض الذي أقام الحضارة الغربية الغالبة في العصور الحديثة ، ثم أقام توازناتها الاستراتيجية الحاضرة والمتمثلة في الحلف غير المعلن ، وغير المقدس ، بين الرأسمالية الأمريكية والتوتاليتارية الروسية منذ أن تم تقسيم العالم الى مناطق نفوذ استراتيجي وايدولوجي وحضاري في يالطة بعد الحرب العالمية الثانية .. فخضعت لمنطقه مختلف الشعوب والأقاليم .

« نظام واحد .. برأسين »

وإذا كان هذا « المنطق » قد استطاع أن يخلف منطق الصراع بين معسكرى تلك الحرب خلال الثلاثة عقود الماضية ، فان مختلف المؤشرات الحاضرة تدل على أنه قد شاخ الآن ، كما شاخت القيادات فى الكرملين والبيت الأبيض ، وكما شاخت الايدولوجيات أيضاً ، فلم يعد بمقدوره ضبط تمخضات عالم اليوم وعالم الغد الذى يولد من رحم عالمنا المضطرب هذا .

وأزمة هذا المنطق الأمريكى ـ الروسى كأزمة حضارته كلها التى ينتمى لها العملاقان رغم ما بينهما من اختلاف ، أزمة غايات وقيم ومرتكزات ولا تقف عند حدود الأزمة العابرة .

• ففى أمريكا الوسطى من السلفادور الى نيكاراغوا تقول الحرب البشعة الطويلة الجارية هناك ، رغم كل ما يحاط بها من تكتم وتعتيم ، ان العملاق الأمريكى ليس لديه ما يقدمه ، حتى لجيرانه الذين يعيشون على مقربة من حدوده ، غير المؤامرات والتخريب وارهاب القوة المكشوفة العارية . وعندما تصل أية حضارة وأى نظام الى مأزق اللجوء للقوة المكشوفة العارية ، ولا بديل غيرها ، فمعنى ذلك ان تلك الحضارة وذلك النظام لم يعد لديهما ما يقدمانه غير الارهاب والقمع . وهذه الظاهرة نفسها كانت مستمرة مع الشعب العربى الفلسطيني على يد القوة الاسرائيلية ـ الأمريكية . غير أن شعوب العالم الأخرى لم تكن متنبهة لها بصورة كافية حتى أخذ النموذج ذاته تقريباً ينتقل الى مقربة من حدود الولايات المتحدة .. ولم يعد مجرد أزمة متباعدة الفصول ، فى منطقة بعيدة كالشرق الأوسط .

• إن القوة الروسية تتعرض غرباً وشرقاً لاختبارين متماثلين أوصلاها أيضاً الى الوقوع فى مأزق اللجوء للقوة العارية ضد الشعوب الضعيفة ، بشكل ليس له مثيل منذ قيام النظام البلشفي فى روسيا .

ففى بولندا ، مازالت تتفاعل حركة من أهم خصائصها ، تجاوز أعمق ركائز النظام الماركسي نحو نظام آخر : لا يمكن وصفه أو تحديد معالمه منذ الآن ، لكنه بكل المقاييس نظام مختلف تماماً عن النظام القائم ليس فى بولندا وحدها ، ولكن فى المعسكر الشرقى كله ..

أما فى افغانستان فإن روسيا تورطت لأول مرة فى تاريخ النظام السوفياتي فى حرب مكشوفة وطويلة ضد شعب صغير ـ كان محايداً ـ من شعوب العالم الثالث الواقع خارج دائرة النفوذ السوفياتي . ولا ينطبق عليه ما ينطبق على شعوب أوربا الشرقية ، كالمجر أو تشيكوسلوفاكيا ، من حتمية التبعية الاستراتيجية لموسكو ، حسب اتفاقات يالطا ونظامها .

وخطورة هذه الحرب الروسية فى افغانستان ، انها قلبت الصورة التى رسمها الاتحاد السوفياتي لذاته أمام شعوب العالم من صورة القوة المتحالفة مع الشعوب « ضد الامبريالية » .. الى قوة غاصبة تستخدم جيشها العملاق ضد أصغر شعب مجاور لحدودها .

« أخطر تطور »

• أما أخطر تطور حدث بهذا الصدد مؤخراً ، فهو ظهور نقد علني صريح ، على صعيد الصحافة الرسمية فى الصين الشعبية ، لأصول الماركسية ـ اللينينية ، وهو نقد صاحبه ويصاحبه تغيير جذرى فى النظام الصيني سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وقيادياً . ولا يخفف من خطورة ذلك حدوث تراجع جزئى عن ذلك النقد فى وقت لاحق ، فما ذلك إلا لجس النبض واختبار مدى الاستعداد لتقبل التغيير ثم مواصلة الحملة من جديد كما يحدث عادة فى مثل هذه الأنظمة .

وإذا ما خرجت بولندا عن الماركسية ، فإن روسيا تستطيع ـ بمنطق يالطة ـ غزوها من جديد .. لكن اذا خرج العملاق الصيني على الماركسية فماذا تستطيع روسيا أن تفعل وهى العاجزة عن حل مشكلات حدودها مع الصين ؟

والخروج الصيني على الماركسية لا تنحصر خطورته فى تقديم دليل جديد وكبير على انحسار الفكرة الماركسية ونظامها فى العالم ، لكن الأخطر من ذلك فى رأينا ، ان الصين بخروجها من بوتقة النظام الماركسي تقترب الى حد كبير من بقية بلدان « الجنس الأصفر » فى الشرق الأقصى كاليابان وكوريا الجنوبية بشكل يقوى الروابط بين أطراف « القوة الصفراء » الصاعدة صناعيا وتكنولوجيا بما يؤهلها لخلافة « القوة البيضاء » فى قيادة الركب العالمى والاستفادة من اختلال نظام يالطة بين عملاقى القوة البيضاء : روسيا وأمريكا معاً . (راجع مقالاتنا عن القوة الصفراء ومستقبل العالم ، فى أعداد سابقة من مجلة الدوحة) .

فالخروج الصيني على الماركسية سيؤدى فى النهاية الى قيام نوع من التحالف الأصفر بين القوة التكنولوجية اليابانية والقوة البشرية الصينية الكثيفة بشكل سيقلب الموازين فى عالم اليوم المضطرب وسيقف هذا التحالف على قدم المساواة مع السوق الأوروبية المشتركة ، والحلف الأطلسي وحلف وارسو ، وينقل العصب الأستراتيجي للعالم الى المحيط الباسفيكى ، ثم يرث تدريجياً ، قسطاً هاماً مما لتلك الأحلاف الغربية البيضاء من نفوذ فى العالم .

« الغرب .. والخطأ المنتظر »

وسيتحمس الغرب كثيراً لهذا التطور فى البداية ، نكاية بالروس ، وقد تقدم أمريكا على تقديم تايوان الى الصين الشعبية مكافأة لها على نبذ الماركسية ، وستشجع بالتأكيد التحالف اليابانى الصيني لموازنة النفوذ السوفياتي شرقي آسيا .

ثم سيكتشف الغرب انه اقترف واحداً من أخطائه الكبرى فى التاريخ ، عندما يترسخ التحالف اليابانى الصيني كقاعدة استراتيجية ثابتة لنفوذ الجنس الأصفر فى العالم كله ، تعمل على تصفية نفوذ الرجل الأبيض . وعندها سيعود الغرب للتحالف مع الاتحاد السوفياتي أو التحالف ، بالأحرى ، مع روسيا البيضاء ، سوفياتية كانت أم غير ذلك ، للوقوف فى وجه الزحف الأصفر ، كما تحالف معها من قبل للوقوف فى وجه المانيا الهتلرية .

« أى جديد ؟ »

غير أن انتقال مركز الجذب العالمى من قوة بيضاء الى قوة صفراء ، لن يغير فى حد ذاته مما تعانيه البشرية من ويلات ولن يحقق بالضرورة ما تتطلع إليه من خلاص .

صحيح أن بلاد القوة الصفراء هى أكثر بلاد العالم انضباطا وعملا وتكافلا اليوم ، فلا نسمع ان تلك البلاد تعانى ما تعانيه المناطق الأخرى من مجاعات أو مذابح طائفية ، أو اغتيالات أو اختطاف للطائرات ، أو ما أشبه من دلائل الاضطراب .

كما ان مسلكها فى العمل والانتاج مسلك قريب من المثالية . وذلك ما يرشحها ، بالفعل ، للدور المنتظر لها على المسرح العالمى .

وهذه حقيقة لابد أن نتبينها ـ كعرب ـ ونحن أحوج ما نكون الى التبصر فى نموذج حضارى شرقى جديد فيه الانضباط ، وفيه التكافل ، وفيه العمل وفيه الالتزام بخلقية البناء الجماعي وروحيته ومعانيه السامية التى يفتقدها عالمنا العربى هذه الأيام .

وأياً كانت طبيعة القوة التى سترث القوة المسيطرة على عالمنا ، فإن مسار المستقبل الانسانى سيتحدد بنوعية الخيارات التى ستنهجها القوة الجديدة .

فإن نهجت النهج الاستهلاكى الحالى بتسخير التكنولوجيا والعلم والجهد الانسانى للاستهلاك وللمزيد من الاستهلاك فإن وضع العالم لن يتغير كثيرا .

ويبدو أن اليابان والصين قد دخلتا حلبة المنافسة على النهج الاستهلاكى ذاته ، مما يرشحهما للتنافس مع قوى الغرب ، ولكنه لا يجعل منهما نموذجا جديداً مشعاً لشعوب العالم .. فكرياً وروحياً ..

فمن أين سيأتي ذلك النهج المشع لإنقاذ العالم ؟

ما أصعب السؤال ..

وما أشد صعوبة الاجابة فى هذا الجو العالمى الحالك . ولكن دائماً هنالك مفاجأة « الجديد » فى التاريخ ! .. وانه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ..

محمد جابر الأنصارى

إن وجـودنا ووقوفنـا فى موضعنـا لا يـوقف
الأفلاك عن الحركة ، ولا الأرض عن الدوران



بقلم: الدكتور يوسف القرضاوي

فى مفاهيمنا الاسلامية الأصيلة كلمتان مشتقتان من مادة واحدة ، لهما أكبر الأثر فى الحياة الاسلامية ، وفى مسيرة الأمة الاسلامية على امتداد التاريخ .

هاتان الكلمتان هما الاجتهاد والجهاد ، وقد اشتقتا من مادة ج هـ د بمعنى بذل الجُهد (بضم الجيم) أى الطاقة ، أو تحمل الجَهد (بفتح الجيم) أى المشقة .

والكلمة الأولى هدفها معرفة الهدى ودين الحق الذى أرسل الله به رسوله ، والأخرى هدفها حمايته والدفاع عنه .

الأولى ميدانها الفكر والنظر ، والأخرى ميدانها العمل والسلوك .

وعند التأمل نجد أن كلا المفهومين يكمل الآخر ويخدمه ، فالاجتهاد إنما هو لون من الجهاد العلمى ، والجهاد إنما هو نوع من الاجتهاد العلمى .

وثمرات الاجتهاد يمكن أن تضيع إذا لم تجد من أهل القوة من يتبنى تنفيذها . كما أن مكاسب الجهاد يمكن أن تضيع إذا لم تجد من أهل العلم من يضيء لها الطريق .

وفى عصورنا الاسلامية الزاهرة مضى هذان الأمران جنباً إلى جنب : الاجتهاد والجهاد . فسعدت الأمة بوفرة المجتهدين من حملة القلم ، ووفرة المجاهدين من حملة السيف . الأولون لفهم ما أنزل الله من الكتاب والميزان ، والآخرون لحمايته بالحديد ذى البأس الشديد ، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب » (سورة الحديد ٢٥) .

وفى بعض العصور وجد الجهاد ، لكن لم يصحبه الاجتهاد ، فجمدت الحياة الاسلامية وتحجرت ، على حين كانت المجتمعات غير المسلمة قد بدأت فى اليقظة والتفتح والنهوض .

ثم تلت عصور أخرى فقد المسلمون فيها الاجتهاد والجهاد معاً ، فغزوا فى عقر دارهم ، وفقدوا سيادتهم واستقلالهم ووحدتهم .

ثم نادى منادى الجهاد لتحرير الأرض ، وحصل المسلمون على استقلاهم ، ولكنه كان استقلالا ناقصاً قاصراً ، إذ الاستقلال الحقيقى أن يتحرروا من آثار الاستعمار التشريعى والثقافى والاجتماعى ، إلى جوار التحرر من الاستعمار العسكرى والسياسى ويعودوا إلى ذاتيتهم الأصيلة ، وهذا لا يكون الا إذا كانت شريعة الاسلام أساس حياتهم كلها : الروحية والمادية ، الفردية والاجتماعية ، الاقتصادية والسياسية ، التشريعية والتربوية ، الفكرية والعملية .

إن الشريعة الاسلامية هى خاتمة الشرائع التى تحمل الهداية الالهية للبشر وقد خصها الله بالعموم والخلود والشمول ، فهى رحمة الله للعالمين ، من كل الأجناس ، وفى كل البيئات ، وكل الأعصار ، إلى أن تقوم الساعة ، وفى كل مجالات الحياة المتنوعة ، لهذا اودع الله فيها من الأصول والأحكام ما يجعلها قادرة على الوفاء بحاجات الانسانية المتجددة على امتداد الزمان ، واتساع المكان ، وتطور الإنسان .

وانما كانت كذلك بما جعل الله فيها من عوامل السعة والمرونة . وما شرع لعلمائها من حق الاجتهاد فيما ليس فيه دليل قطعى من الأحكام ، أما ما كان فيه دليل ظنى فى ثبوته أو دلالته أو فيهما معاً ، أو ما ليس فيه نص ولا دليل ، فهو المجال الرحب للاجتهاد . وبهذا تتسع الشريعة لمواجهة كل مستحدث ، وتملك القدرة على توجيه كل تطور إلى ما هو أقوم . ومعالجة كل داء جديد بدواء من صيدلية الاسلام نفسه ، لا بالتسول من الغرب أو الشرق .

إن الاجتهاد ، هو الذى يعطى الشريعة خصوبتها وثراءها . ويمكنها من قيادة زمام الحياة إلى ما يحب الله ويرضى ، دون تفريط فى حدود الله ، ولا تضييع لحقوق الانسان ، وذلك إذا كان اجتهاداً صحيحاً مستوفياً لشروطه صادراً من أهله فى محله .

تراثنا القديم لا يغنى عن اجتهادنا الجديد

ربما يذهب بعض المشتغلين بالعلوم الاسلامية ـ لفرط اعجابهم بتراثنا الحافل ، وفرط ثقتهم بفقهائنا العظام ـ أننا لسنا فى حاجة إلى اجتهاد جديد ، فما من مسألة إلا وجدنا عند الأقدمين مثلها ، فقد اجتهدوا للواقع وافترضوا لما قد يتوقع ، فلم نعد محتاجين إلى أن ننشىء اجتهاداً بعد هؤلاء الأفذاذ ، وكل الصيد فى جوف الفرا !

فما علينا إلا أن نرجع إلى كتبهم وننقب فى أحشائها ، لنجد فيها ضالتنا والاجابة عن مسألتنا بالنص أو بالقياس أو التخريج .

ونحن لا نقلل من قيمة تراثنا ، ولا من عظمة فقهنا ، بمدارسه المتعددة ومشاربه المتنوعة وما فيه من اجتهادات واقعية أو افتراضية .

ولكن الحق أقول : انه من المبالغة وتجاهل الواقع ، الادعاء بأن الكتب القديمة فيها الاجابة عن كل سؤال جديد .

ذلك أن لكل عصر مشكلاته ، وواقعه ، وحاجاته المتجددة ، والأرض تدور ، والأفلاك تتحرك ، والعالم يسير ، وعقارب الساعة لا تتوقف .

ومع هذا الدوران المستمر ، والحركة الدائمة ، والسير الحثيث ، تتمخض أرحام الأيام والليالى عن أحداث ووقائع جديدة لم يعرفها السابقون ، وربما لم تخطر ببالهم ، بل ربما لو ذكرت لهم لعدوها من المستحيلات ! فكيف تصور حكمهم عليها ، وهى لم تدر بخلدهم لحظة من الزمان ؟

على أن بعض الوقائع والأمور القديمة قد يطرأ عليها من الأحوال والأوصاف ما يغير طبيعتها أو حجمها أو تأثيرها ، فلا يلائمها ما حكم به الأقدمون أو ما افتوا به فى شأنها .

وهذا ما جعلهم يقررون وجوب تغير الفتوى بتغير الزمان ، والمكان ، والعرف والحال . وكتب فى ذلك من كتب من محققيهم فى أكثر من مذهب من المذاهب المتبوعة .

فالحاجة إلى الاجتهاد ـ اذن ـ حاجة دائمة ، مادامت وقائع الحياة تتجدد ، وأحوال المجتمع تتغير وتتطور ، ومادامت شريعة الاسلام صالحة لكل زمان ومكان ، وحاكمة فى كل أمر من أمور الانسان .

وعصرنا خاصة أحوج إلى الاجتهاد من غيره ، نظراً للتغير الهائل الذى دخل الحياة الاجتماعية بعد الانقلاب الصناعى ، والتطور التكنولوجى ، والتواصل المادى العالمى ، الذى جعل العالم الكبير كأنه بلدة صغيرة .

وإذا كان علماؤنا السابقون قد قرروا تغير الفتوى بتغير الزمان ، رغم رتابة الحياة وسكونها إلى حد كبير ، فى العصور الماضية ، حتى قيل فى بعض الخلاف بين أبى حنيفة وصاحبيه : هذا اختلاف عصر وزمان وليس اختلاف حجة وبرهان . فكيف باختلاف عصرنا عن عصور أئمة الاجتهاد ؟ بل كيف يكون مدى هذا الاختلاف عن عصور المتأخرين من الفقهاء مثل ابن عابدين الحنفى (ت ١٢٥٢ هـ) أو الصاوى المالكى (ت ١٢٤١ هـ) أو الشوكانى المجتهد المطلق (ت ١٢٥٥ هـ) . برغم قرب عصرهم من عصرنا ، بحيث لو بعث أحدهم اليوم ورأى عالمنا وما جد فيه ، لقال : هذا عالم جن أو شياطين !

وهل صنع شياطين سليمان ـ عليه السلام ـ المسخرون له ، من عجائب الصناعات ما صنع إنس اليوم من عجائب وصل بها الانسان إلى القمر ؟!

مجالان جديدان للاجتهاد

واذكر هنا مجالين من المجالات التى حدث فيها تغير ضخم ، قلب ما كان مألوفاً ومقرراً من قبل ظهراً على عقب ، وأصبحنا فى أشد الحاجة إلى الاجتهاد .

١ ـ مجال التعامل المالى والاقتصادى :

المجال الأول : المجال الاقتصادى والمالى .

فلاشك أن عصرنا هذا قد حفل بأشكال وأعمال ومؤسسات جديدة فى ميدان الاقتصاد والمال لم يكن لأسلافنا ـ بل لأقرب العصور إلينا ـ عهد بها وذلك كالشركات الحديثة بصورها المتعددة كشركات المساهمة والتوصية وغيرها . وفى مجالاتها المختلفة كالتأمين بأنواعه المتعددة : تأمين على الحياة وتأمين على الممتلكات .. الخ .

والبنوك بأنواعها المختلفة من عقارى وصناعى وزراعى وتجارى واستثمارى ...... الخ . وأعمالها الكثيرة : من حساب جار ، وودائع وقروض وتحويل وصرف ، وفتح اعتمادات واصدار خطابات ضمان ، و (خصم كمبيالات) وغير ذلك مما قد يحل أو يحرم من معاملات البنوك .

إن كثيراً من هذه المعاملات جديد مائة فى المائة ، وبعضها شبيه بمعاملات قديمة ، أو قريب منها ، وبعضها مركب من قديم وجديد .

ترى ما الحكم فى هذه المعاملات والمؤسسات ؟ ربما يسارع بعض أهل العلم إلى أسهل الطرق وهو الرفض والتحريم والتشديد . وفى هذا ما فيه من تعسير على المسلمين وتنفير من الدين . وقد قال الامام سفيان الثورى بحق : انما الفقه الرخصة من ثقة ، أما التشديد فيحسنه كل أحد !

وقد يحاول آخرون فتح الباب على مصراعيه لكل جديد ، وكل ما هو واقع مباح بدعوى المصلحة حيناً ، وبدعوى الضرورة حيناً ، وبتخريجات واهية متكلفة حيناً ، وبتخريجات واهية متكلفة حيناً آخر .

وفئة ثالثة تحرص على أن تبحث لكل معاملة جديدة عن نظير قديم تضمنته الكتب والمصنفات ، لتخرج على وفقه ، وتكيف على أساسه ، والا فهى معاملة مرفوضة .

وأولى من هذا كله أن تخضع هذه الأعمال والمؤسسات الجديدة للبحث الجاد والدراسة المتأنية ، وان يستفرغ أهل الفقه وسعهم لاستنباط الحكم اللائق بها فى ضوء الأدلة الشرعية ، سواء

● هل النقود الشرعية هي الذهب والفضة فقط وما عدا ذلك ليس بنقد كما يذهب البعض؟

● الاجتهاد الذي ندعو إليه يمثل حاجة .. بل ضرورة لحياتنا الإسلامية وعلاج مشكلاتنا المعاصرة

كان الحكم بالاباحة أو التحريم . فهذا مجال الاجتهاد ، وهنا عمل المجتهد حقاً .

ومثل ذلك (النقود الورقية) التى أصبحت عماد التعامل فى هذا العصر ، ما حكمها ؟ ألها حكم النقود المعدنية ، التى جاءت بها النصوص الشرعية من الذهب والفضة ، فى كل شيء : فى وجوب الزكاة وحرمة الربا ، وقضاء الديون ، وغيرها ؟ .

أم النقود الشرعية هى الذهب والفضة فقط ، وماعدا ذلك فليس بنقد كما يذهب إليه بعض ظاهرية عصرنا ، وبهذا لا يوجبون فيها الزكاة ، ولا يجرى فيها الربا ؟ ؟

أم لها حكم الذهب والفضة فى وجوب الزكاة فقط ؟ أم فيه وفى الربا ؟ وليس فى قضاء الديون ؟

وما الحكم فى العملات التى تدهورت قيمتها أو تتدهور باستمرار إلى حد مذهل ؟ وما حكم من كان عليه دين قديم من هذه العملات ويريد ان يوفيه اليوم بعد هبوط القدرة الشرائية هبوطاً غير عادى ؟ كما فى الليرة التركية مثلا ؟

وما الحكم فى الذهب اليوم ؟ ألا زال نقداً وعملة ومعياراً وثمناً للأشياء كما كان فى الماضى ؟ يقوم به غيره ، ولا يقوم هو بغيره ؟ وهل له قوة الابراء كما كان ؟ أم أصبح هو سلعة تباع وتشترى ، وترتفع وتنخفض ، وتقوم بغيرها من الأشياء ؟

وهل الذهب المصنوع المشغول كذهب السبائك ونحوها فى الحكم ؟ أم لكل منها حكمه الخاص ؟ الخ هذه الأسئلة المتشعبة .

وكم عقدت فى عصرنا حلقات وندوات ، وأقيمت مؤتمرات ، ونظمت أسابيع ، لدراسة بعض الموضوعات المالية والاقتصادية ، مثل : التأمين أو البنوك أو الزكاة فى الأموال المعاصرة ؟ واتفقت فى بعض الأمور ، واختلفت فى بعضها الآخر . وحسمت القول فى بعض القضايا ، وظلت قضايا كثيرة مرجأة للبحث ، تنتظر رأى المجتهد فرداً كان أو جماعة .

موضوع كالتأمين نوقش فى أسبوع الفقه الاسلامى بدمشق ، وفى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، وفى ندوة التشريع الاسلامى فى ليبيا ، وفى المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الاسلامى فى مكة المكرمة .. وفى غيرها من المؤتمرات والندوات . وألف فيه عدد من الأساتذة الأفاضل ، اذكر منهم : الأستاذ مصطفى الزرقا ، والشيخ على الخفيف رحمه الله ، والشيخ عبدالله بن زيد المحمود ، والدكتور حسين حامد حسان ، والدكتور محمد الدسوقى .. وغيرهم .

وكتبت فيه عدا ذلك مقالات وبحوث متنوعة ، ولم ينته الرأى فيه بعد ..

فهذا هو المجال الأول للاجتهاد فى عصرنا : مجال المعاملات المالية المعاصرة .

٢ ـ المجال العلمى والطبى :

المجال الثانى : مجال الطب الحديث .

فمما لا ريب فيه أن العلم الحديث بما قدمه من اكتشافات هائلة وتكنولوجيا متقدمة ، وما وضع فى يد الانسان من امكانات تشبه الخوارق فى العصور الماضية وخصوصاً فى المجال الطبى . قد أثار مشكلات كثيرة تبحث عن حل شرعى وتساؤلات شتى تتطلب الجواب من الفقه الاسلامى وتقتضى من المجتهد المعاصر أن يبذل جهده ويستفرغ وسعه فى استنباط الحكم المناسب لهـا .

وعندى من هذا النوع أسئلة كثيرة منها مجموعة صيغت من قبل منظمة الطب الاسلامى فى جنوب أفريقيا ، وقد أرسلها إلى أيضاً قسم الطب الاسلامى فى جامعة الملك عبدالعزيز بجده ، وتشمل حوالى سبعة عشر موضوعاً .

وأنا أذكر هنا موضوعاً واحداً منها ، لنرى

مقدار حاجتنا إلى الاجتهاد ، لنجيب عن هذه الأسئلة وأمثالها وما أكثرها . وهو ما يتعلق بزرع الأعضاء .

زرع الأعضاء وحاجتنا إلى الاجتهاد فيه

تعتبر زراعة الأعضاء من الحقول التي يتطور فيها الطب سريعاً ، وهذا يتضمن زراعة العضو كله أو اجزاء منه ، أو زراعة أنسجة من الحيوانات ، أو مخلوقات أخرى ومن ثم زرعها في جسم المريض .

وفيما يتعلق بالحيوانات ، فقد انتزعت صمامات القلب من الخنازير والعجول ، والجلد والكبد من الخنازير كذلك .

أما فيما يتعلق بالبشر ، فإن الأحياء منهم يمكن أن يعطوا بعض الأعضاء مثل كلية واحدة ، أو الجلد أو الدم دون أن يؤذوا أنفسهم ويمكن نزع بعض الأعضاء من الأموات مثل القرنية ، الجلد ، القلب ، الكليتين ، العظام وصمامات القلب والقرنيات .

ويمكن أن يكون الغرض من زرع الأعضاء هو انقاذ حياة ، أو تحسين نوعية الحياة ، مثل شفاء أنسجة العظام الصلبة ، أو تمكين الانسان من النظر ، أو أن يتمكن من الأكل والشرب بشكل أفضل بواسطة زرع الكلية .

وهنا تثور الأسئلة التالية :

(١) : هل يجوز زرع أعضاء الحيوان أو أجزاء منها في الانسان لانقاذ الحياة أو تحسين نوعيتها ، حتى ولو كان الحيوان خنزيراً ، أو جلد خنزير أو كبد خنزير ، أو صمامات قلب خنزير ؟

(٢) : هل يجوز للمسلم الموافقة على نزع أعضاء من جسمه وهو حي لاستعمالها في الزراعة لمصلحة طفلته أو أحد أبويه أو أخوته ؟

(٣) : هل يجوز للمسلم أن يوافق على نزع أعضاء من جسمه بعد موته لتستعمل في الزراعة ليستفيد منها أى انسان ؟

(٤) : هل يجوز للمسلمين أن يتبرعوا بأجسامهم بعد الموت لاستعمالها في التشريح لتعليم الآخرين وبهذا يفيدون الانسانية ؟

(٥) : متى يجوز الاعلان عن وفاة الانسان ؟ فهذا سؤال مهم في الطب لأنه في حالة الأعضاء مثل القلب والكلية فإنه يمكن أن يكونا نافعتين في حالة استقبالهما كمية كافية من الدم (ارتواء) ولهذا السبب فإن مفهوم (موت الدماغ) قد تطور ويستطيع الطبيب بواسطته أن يحكم فيما إذا كان المريض قد أصيب بجرح حاد في بعض الأجزاء الحيوية ، فإن المريض سيموت حتماً . وللأعضاء تنزع من شخص كهذا وهو ما يزال حياً بواسطة الآلة ، ولا توقف الآلة أو الجهاز إلا بعد نزع الأعضاء المطلوبة .

(٦) : هل يجوز زرع أعضاء من غير المسلمين للمسلمين ؟ وهل يجوز نقل الدم من غير المسلمين للمسلمين ؟ .

هذا نموذج لموضوع واحد من الموضوعات الكثيرة التي يثيرها الطب الحديث ، وتحتاج إلى اجتهاد جديد من فقهاء الاسلام .

ومنذ سنتين عقدت المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية بدولة الكويت الشقيقة ندوة جمعت بين رجال الفقه ورجال الطب حول (الاسلام والانجاب) كان لي شرف المشاركة فيها ، وقد اثيرت فيها مسائل مهمة مثل (بنوك الحليب) والاجهاض بناء على تشوه في الجنين يشخصه الطبيب ، والتحكم في جنس الجنين ، والرحم الظئر ، وغيرها واصدرت المنظمة الاسلامية بحوث هذه الندوة ومناقشاتها في مجلد مطبوع .

وفي هذا الشهر (يناير ١٩٨٥) تعقد ندوة أخرى بين الفقهاء والأطباء حول بداية الحياة البشرية ونهايتها . وهو موضوع يترتب على تحديده كثير من الأحكام . أتكون بداية الحياة ، منذ التقاء الحيوان المنوى بالبويضة وتلقيحها ، أى منذ بدء الحمل وهي الحياة (الخلوية) المعروفة ؟ أم لاتبدأ الحياة إلا بما سماه الحديث الشريف (النفخ في الروح) وذلك بعد مائة وعشرين يوماً ؟

ثم يأتى السؤال الآخر : بماذا تنتهى الحياة ، ويتحقق الموت ؟ ايموت القلب وتوقفه عن النبض أم بموت جذع الدماغ ؟

إن لتحديد هذا وذاك اثارا مهمة تترتب عليها أحكام ذات خطر . ولابد للفقه المعاصر أن يقول فيها رأيه في ضوء الأدلة الشرعية .

موقف الاجتهاد المعاصر من التراث الفقهى

على أن الاجتهاد لا ينحصر في دائرة المسائل الجديدة ، بل له مهمة أخرى مع التراث الفقهى ، لاعادة النظر فيه على ضوء ظروف العصر وحاجات الناس ، لاختيار أرجح الآراء ، واليقها بتحقيق مقاصد الشرع ومصالح الخلق ، بناء على قاعدة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والانسان .

فليس صحيحاً أن الأول لم يترك للآخر شيئاً ، بل الصحيح ما قاله أهل التحقيق : كم ترك الأول للآخر ! بل كم فاق الأواخر الأوائل !

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً
ويـــرى للأوائل التقديمـــا !
إن هذا القديم كان حديثاً
وسيمسى هـــذا الحديث قديماً !

ولا تقتصر اعادة النظر هذه على أحكام « الرأى » أو « النظر » وهي التي انتجها الاجتهاد فيما لا نص فيه ، بناء على أعراف أو مصالح زمنية لم يعد لها الآن وجود أو تأثير ، بل يمكن أن يشمل بعض الأحكام التي أثبتتها نصوص ظنية الثبوت كأحاديث الآحاد ، أو ظنية الدلالة ، وأكثر نصوص القرآن والسنة كذلك ، فقد يبدو للمجتهد اليوم فيها فهم لم يبد للسابقين ، وقد يظهر له رأى ظهر لبعض السلف أو الخلف ، ثم هجر ومات ، لعدم الحاجة إليه حينذاك ، أو لأنه سبق زمنه ، أو لعدم شهرة قائله ، أو لمخالفته للمألوف الذى استقر عليه الأمر زمناً طويلا أو لقوة المعارضين له ، وتمكنهم اجتماعياً أو سياسياً ، أو لغير ذلك من الأسباب .

وينبغي أن يكون الاجتهاد في عصرنا اجتهاداً جماعياً في صورة مجمع علمى يضم الكفايات الفقهية العالمية ، ويصدر أحكامه في شجاعة وحرية بعيداً عن كل المؤثرات والضغوط الاجتماعية والسياسية ، ومع هذا لا غنى عن الاجتهاد الفردى ، فهو الذى ينير الطريق أمام الاجتهاد الجماعى ، بما يقدم من دراسات عميقة ، وبحوث أصيلة مخدومة ، بل ان عملية الاجتهاد في حد ذاتها عملية فردية قبل كل شيء .

إن الاجتهاد الذى ننشده وندعو إليه ــ بقيوده وشروطه الشرعية ــ يمثل حاجة ، بل ضرورة لحياتنا الاسلامية ، وعلاج مشكلاتنا المعاصرة والا أصيبت حياتنا بالجمود والعفن ، أو بحثت لادوائها ــ في الغالب ــ عن علاج من غير صيدلية الاسلام ، فإن جمودنا ووقوفنا في موضعنا ، لا يوقف الافلاك عن الحركة ، ولا الأرض عن الدوران !

يوسف القرضاوى

جمعية الرابطة الشرقية
صفحة جريئة ومنسيّة من تاريخنا المعاصر

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

تلك تجربة فذة قامت بمجهود أفراد معدودين، وأصابت من النجاح مدى واسعاً. يجعلها جديرة بالتأمل والدراسة وربما بتكرار المحاولة. وسنرى أن أفقها كان أبعد مدى من مجرد رابطة عربية بين الشعوب العربية فقط، انما امتدت لتشمل الشعوب الشرقية غير العربية أيضاً. وإذا كانت هذه الجمعية قد عاشت ما بين عام ١٩٢٢ إلى عام ١٩٣١ ودون أى مساعدة حكومية أو دولية مقتصرة على جهود الأفراد الأعضاء، وكان طبيعياً أن تنتهى بانتهاء المؤسسين بالموت أو المرض المقعد، ولكنى أظن أيضاً أن من الأسباب الهامة لانتهائها ما نص عليه قانونها الأساسى من المبادىء كما سوف نرى فى هذا المقال.

لقد نشأت جمعية الرابطة الشرقية عندما دعا ميرزا مهدى رفيع مشكى بك من تجار ايران بالقاهرة جماعة من اصدقائه الأفاضل إلى منزله فكان منهم المصرى والسورى و«العجمى» والتركى. بعد العشاء تبادلوا أطراف الحديث. فعلق أحمد زكى باشا (المعروف بشيخ العروبة) قائلا: ها نحن اجتمعنا ونحن ابناء أمم مختلفة يجمعها انتماؤها إلى الشرق وحسب. فهلا يستطاع القيام بعمل نافع من هذا الاجتماع؟

هداهم التفكير إلى انشاء جمعية تربط الأفراد الشرقيين وتقوى ما بينهم من علاقات اسموها «جمعية الرابطة الشرقية» اختاروا لها رئيساً السيد عبد الحميد البكرى أحد الحاضرين وشيخ الطرق الصوفية واختاروا للسكرتارية أحمد زكى باشا صاحب التعليق الذى أدى إلى انشاء هذه الجمعية.

سمع أحمد شفيق باشا من الصحف عن هذه الجمعية فكتب لكاتم سرها طالباً الانضمام إليها، فرحب به مع السرور. أما أحمد شفيق هذا فهو خريج كلية الحقوق جامعة العلوم السياسية بباريس، وصل إلى رياسة الديوان الخديوى وكان أول مصرى يتقلد هذا المنصب، عاش فى المنفى مع عباس حلمى سبع سنوات فى أوربا، عاد بعد المنفى ليشتغل بالصحافة فى جريدة الليبرتيه الفرنسية حيث نشر أكثر من ٣٠ مقالا عن مصر الحديثة والنفوذ الأجنبى فيها، ثم طلب من صاحب الجريدة أن يوقف هذه السلسلة عندما وصل السرد إلى عباس حلمى.

صاحب الجريدة هو ليون كاسترو الذى انضم إلى الوفد بعد ذلك، والذى أوحى بايقاف السلسلة هو السلطان أحمد فؤاد الذى كان يخشى ويكره عباس حلمى وشقيقه الأمير محمد علي والذى رفض أن يستقبل أحمد شفيق لهذا السبب بعد تقييد الأخير لاسمه فى دفتر تشريفات عابدين.



نهرو ..
انضم الى الرابطة الشرقية التي يرأسها مسلم عربي



ولسن ... رئيس الولايات المتحدة
حاول أن يتقرب الى الجمعية ويحصل على تأييدها



رشيد رضا ..
شنه حملة عنيفة على طه حسين وسلامة موسى



أحمد فؤاد ..
حارب الجمعية وعارضها



الأمير عبد الكريم الخطابي
بطل معركة الريف في مراكش

جمال الدين الأفغاني
احتفلت الجمعية بجهاده وذكراه

وفى يوم ١٩ فبراير عام ١٩٢٢ عقدت الجمعية اجتماعها الأول بسراى رئيسها الشيخ البكرى بالخرنفش ، وحضر اجتماعها حوالى ٥٠ عضواً منهم الأمير يوسف كمال والنبيل اسماعيل داود ، وألقى البكرى خطبة قيمة ، وتم تشكيل مجلس الادارة من البكرى رئيساً ومن الشيخ محمد بخيت مع السيد رشيد رضا نائبين للرئيس ، وأحمد زكى باشا كاتماً للسر ومعه ثلاثة مساعدين أحدهم عربى والثانى تركى والثالث فارسى ! وانتخب ميرزا مهدى رفيع مشكى أميناً للصندوق وانتخب أعضاء كل من : الشيخ التفتازانى . القاضى صالح بك جودت . الأمير حبيب لطف الله ــ وهو سورى مسيحى منحه الشريف حسين بن علي هو وأخوه ميشيل لقب الإمارة وعينهما سفيرين له فى لندن وباريس وكانا مستشاريه السياسيين باستمرار . والأستاذ أميل زيدان صاحب الهلال . والشيخ عبد المحسن الكاظمى والدكتور محجوب ثابت ــ نصير السودان . والشيخ مصطفى عبد الرازق وأحمد شفيق باشا .

وحدد قانون الجمعية أغراضها بأنها توثيق الروابط الفكرية والاقتصادية والاجتماعية ــ دون السياسة ولا المذهبية بين الأمم الشرقية . وأن تبث شكره وطلب منه ابلاغ شكره إلى بقية معية يحرم الاشتغال بالسياسة أو المذهبية وكل أغراضها قاصرة على التعارف الثقافى والترابط الاقتصادى بين الدول الشرقية . اقترح عليه أن ينشىء بنك مصر فرعاً له فى اسطنبول ، وكذلك أبدى الخليفة رغبة فى أن يكون بلد بنك وطنى مثلما الحال مع بنك مصر على أن تتولى هذه البنوك فتح فروع لها فى أسطنبول . ثم ناقشا فكرة أن بلداً تجاريا مثل أزمير تأتى إليه سفن تجارية تحمل تجارات مختلفة من الدول الشرقية على سفن غير شرقية . وكان الأولى أن يكون هناك شركة « وابورات بحرية » تربط دول الشرق بنقل الركاب والبضائع .

فطلبت منه الجمعية وفوضته تفويضاً كاملا فى السعى فى الاستانة لنشر اسم الجمعية وأغراضها. هناك قابل الخليفة وعرض عليه قانون الرابطة ولائحتها الداخلية فقابله ببشاشة وفكره بأيامه فى المنفى عندما كان يقابل الخليفة كمندوب عن عباس حلمى. وقرأ معه مقدمة القانون ــ بالعربية ــ ثم شكره وطلب منه ابلاغ شكره إلى بقية الأعضاء. وعندما قال له شفيق باشا إن قانون الجمعية يحرم الاشتغال بالسياسة أو المذهبية وكل أغراضها قاصرة على التعارف الثقافى والترابط الاقتصادى بين الدول الشرقية ، اقترح عليه أن ينشىء بنك مصر فرعاً له فى اسطنبول ، وكذلك أبدى الخليفة رغبة فى أن يكون لكل بلد بنك وطنى مثلما الحال مع بنك مصر على أن تتولى هذه البنوك فتح فروع لها فى أسطنبول. ثم ناقشا فكرة أن بلدا تجاريا مثل أزمير تأتى إليه سفن تجارية تحمل تجارات مختلفة من الدول الشرقية على سفن غير شرقية. وكان الأولى أن يكون هناك شركة « وابورات بحرية » تربط دول الشرق بنقل الركاب والبضائع.

ثم قابل شفيق باشا أيضا ممثل حكومة انقرة فى اسطنبول واسمه عدنان بك (اسم عربى !) وكان ينوى السفر إلى انقرة لمقابلة كمال اتاتورك شخصيا لولا أن عدنان أفهمه أن مصطفى كمال مشغول جداً ، فسلمه رسالة إليه من الأمير عمر طوسون عضو الرابطة.

وكذلك قابل أحمد جودت بك الصحفى صاحب جريدة إقدام وعرض عليه الفكرة ووعد بمؤازرتها ، ثم قابل مراسل جريدة الأخبار عمر رضا بك وهو فى نفس الوقت معلم اللغة الانجليزية للخليفة وتناقشا فى انشاء فروع للجمعية فى سائر دول الشرق وأن يبدأ نشاط الجمعية بجمع الاعانات للمسجد الأقصى ، وأن يكون هذا هو بدء نشاط فرع الجمعية فى تركيا. ولكن اضطراب الأحوال بعد ذلك بين حكومة الخلافة وبين الكماليين أوقف كل هذا.

وقد بدأت الجمعية المركزية بالقاهرة نشاطها فى ناديها بالاحتفال بذكرى جمال الدين الأفغانى فتكلم ميرزا مهدى بك عن تاريخ الأفغانى ثم تكلم مصطفى عبد الرازق عن نظرية ربط الشعوب الشرقية كفكرة فلسفية وتطبيقية.

ثم كان نشاط الجمعية التالى هو الاتصال بالرئيس ولسن. جمعوا خطبه ورسائله من السنوات ١٩١٣ إلى ١٩١٩ وكان ولسن قد ارسلها بنفسه إلى الرابطة مع صديقه الحميم مستر كراين سفير أمريكا فى الصين ورئيس اللجنة الأمريكية إلى الشرق الأوسط لاستطلاع رأى المنطقة قبيل مؤتمر الصلح فى فرساى.

والمهم أن المستر كراين زار الرابطة شخصياً عام ١٩٢٢ فى دارها فى سراى البكرى بالخرنفش عندما جاء ولسن إلى مصر والقى خطبته فى الجامعة المصرية الوليدة وأثارت خطبته عاصفة سياسية هوجاء وحركت كل الكتاب والشعراء فى مصر ، وحاول كراين عن طريق هذه الجمعية ترجمة هذه الخطبه إلى اللغات الشرقية غير العربية ونشرها فى معظم هذه البلاد ولكن الموت عاجل المستر كراين قبل هذه الحملة الدعائية الواسعة.

ثم كان مشروع الجمعية والكبير هو التدخل فى معركة الريف بمراكش. ففى ٩ يونيو عام ١٩٢٢ عرض على مجلس الرابطة برقية من الأمير عمر طوسون يطلب مساعدة الجمعية لجرحى الريفيين فى مراكش. وقد تبرع أعضاء الجمعية فى هذه الجلسة بمبلغ ١٣٨ جنيها.

ثم فى جلسة ٢٧ اكتوبر تلقت الجمعية برقية من موسى كاظم باشا رئيس اللجنة التنفيذية بفلسطين تصف الفظائع التى ارتكبتها فرنسا فى دمشق وغيرها من مدن سوريا ، فقرر المجلس الاحتجاج لدى عصبة الأمم ولدى رئيس وزراء فرنسا ولدى رئيس مجلس الشيوخ والنواب بها. وتبرع المجلس لمنكوبى سوريا بمبلغ ٨٢ جنيها ولكنه جمع لهم مبلغ ١٢٠٠ جنيه ، وأهم من ذلك أنه أرسل برقيات لفروعه خاصة فى الهند ضد فرنسا وبربريتها.

وفى ١٧ نوفمبر من نفس العام اقترحت الجمعية عقد صلات بين الرابطة وبين الجمعيات العلمية والأدبية فى جميع دول الشرق ، والفوا لذلك لجنة عربية تدرس أحوال وشئون بلاد العرب والعراق وسوريا ، ولجنة تركية تبحث أحوال تركيا ولجنة فارسية تبحث أحوال فارس وأفغانستان وبلوخستان وشمالى الهند ، ولجنة هندية لدراسة شئون الهند ، ولجنة الشرق الأقصى لدراسة شئون الهند الصينية والملايو والصين واليابان ، ولجنة الغرب لدراسة شئون شمال أفريقية كلها ، وأخيراً لجنة أفريقية تدرس شئون الحبشة والسودان.

واذا كانت الرابطة قد فشلت فى التوفيق بين الخليفة والكماليين ، ثم فى التوفيق فى قضايا عربية آخرى ، ثم فى التوفيق بين ولسن وأهل الشرق الأوسط ، وذلك لأن قانونها كان يشجب تدخلها السياسى ، الا أن هذه الأدوار نفسها رغم فشلها قوت مركز الرابطة وأضفت على نشاطها حيوية.

ورغم أن نشاط الجمعية كان فى الأصل نشاطاً علمياً وأدبياً واجتماعياً. إلا أن المعارك السياسية التى دخلتها بروح توفيقية أعطت الجمعية قبولا مشتركاً من كافة الأطراف المتناقضة ، وكأنها الأم تفض المنازعات بين ابنائها حتى لو تغلب القوى فى النهاية على الضعيف منهم.

وأما فى الميدان الثقافى فلم تجد الجمعية عائقاً ولا قابلها فشل. ففى ١٢ ابريل عام ١٩٢٦ بدأت الجمعية حلقة بحث لمناقشة موضوع الأزياء الشرقية والتقاليد الشرقية ، وتساءل الأعضاء هل يحتفظ الشرق بالمظهر الشرقى من لباس وتقاليد وعادات أم يتقبل ولو بعض العادات الغربية لتحل محل العادات الشرقية ؟ وإذا قررنا التجديد الجزئى فما هى بالضبط حدود هذا التجديد التى نقف عندها. وإذا قررنا تجديد الزى كوعاء لاحتواء كل التقاليد والعادات فهل يلزم توحيد الزى للشعب أم تعدده والاعتراف بالاختلافات ؟

الطريف أن المناقشات امتدت من العصر إلى منتصف الليل واشترك فيها البكرى وأحمد زكى والشيخ أبو العيون ، وصالح جودت (وهو عم الشاعر صالح جودت) ومنصور فهمى ، ولم يصلوا إلى رأى يجتمع عليه الجميع. وإن كانوا الفوا جمعية منهم للنظر فى الموضوع من جهاته الاجتماعية ومن ناحيته الاقتصادية ثم من الناحية الصحية أخيرا.

وفى ٥ ابريل ١٩٢٨ قررت الجمعية اصدار اكتتاب لمجلة تعبر عن أغراض الرابطة ، فتبرع الأمير يوسف كمال للمجلة بمبلغ ٥٠ جنيهاً ، وعمر طوسون بعشرين جنيها وعلى بك الرفاعى ٢٠ جنيها والسيد البكرى عشرة جنيهات وصدر العدد الأول فى ١٥ اكتوبر وفيه تعريف بالرابطة الشرقية وقانونها وماضيها ومستقبلها. ودعت الرابطة إلى إنشاء شركات مشتركة خصوصاً للنقل البحرى واستخراج المعادن والبترول واللؤلؤ ، والتبادل التجارى.

ثم حضرت الجمعية حفلة افتتاح المسجد الأقصى ودعت إلى الدفاع عن البراق ضد اعتداءات اليهود ، ومن أنشط ما فعلته هذه الجمعية هو التوفيق فى خلاف حاد كان قائماً بين الأحزاب فى جزيرة جاوة بالملايو ولم يطل بها العهد لتلعب نفس الدور فى مصر وسوريا والعراق. ولو أنها فعلت لكان لها أثر سياسى خالد.

وفى ٢٣ فبراير عام ١٩٣٠ تلقت المجلة خطاباً من الملك فيصل الأول ملك العراق يعبر عن تقديره ومصحوباً باشتراك فيها. وهذا يدل على تصاعد أثر المجلة وعلى أسلوبها الذى لاقى مثل هذا القبول.

وقامت الجمعية أيضاً بتوكيل محامين مصريين للدفاع عن عرب فلسطين المتهمين أمام المحاكم الخاصة البريطانية فى فلسطين. وكان من أبرز هؤلاء محمد علي علوبة باشا وتوفيق موسى باشا ومكرم عبيد باشا.

وقد وصل نشاط هذه الجمعية إلى كافة الأقطار الشرقية وتجاوزها إلى أمريكا. ودخلت فى الجمعية شخصيات هامة مثل الندوى بالهند والفيلسوف طاغور والسيد أمير علي وآل الحسينى فى فلسطين وأمير حيدر أباد والبنديت نهرو نفسه ! ودخل



اميل زيدان
كان عضواً من أعضاء الجمعية



أمين الحسينى
عضو نشيط فى الجمعية

فيها أيضاً من جنوب أفريقيا رئيس مدرسة الأزهر فى كيبتاون ومن حضرموت الكثير من آل القبيطى ومن السعودية الأمير سعود (الملك فيما بعد) والأمير عبد العزيز بن عبد الله والشيخ فوزان السابق والشيخ حافظ وهبه والشيخ يوسف يس. ومن الأفغان السفير فوق العادة غلام حسين وعلى خان والى كابول وسلطان خان ومن العراق الملك فيصل والشيخ عطا الله الخطيب مدير الأوقاف وفهمى بك المدرس من فلسطين ورئيس المجلس الاسلامى الأعلى أمين الحسينى واسعاف النشاشيبى ومن مراكش الشيخ قدورين غبريط وزير السلطان ومن تونس عبد الحميد الثعالبي الزعيم الكبير ومن بولونيا يعقوب شنكر مفتي المسلمين فى بولونيا، وهناك عشرات الأسماء الأخرى، ولو أن الرابطة عمرت لكان ممكناً أن تزداد عضوية النجوم اللامعة فى كل *أقطار الشرق الأقصى والأدنى والشمالى الأفريقى*.

وفى يوم ٢٥ أغسطس عام ١٩٢٨ نشر الشيخ رشيد رضا نقداً مراً للرابطة. كتب نقده هذا فى جريدة كوكب الشرق. وبنى اتهامه على أن الرابطة افسحت صدرها لمقالات طه حسين وسلامة موسى وغيرهما. ورأى الشيخ رشيد أن فى مقالاتهم خروجا على التقاليد. وقد رد الشيخ على عبد الرازق ــ صاحب كتاب الاسلام وأصول الحكم ــ رداً عنيفاً على رشيد رضا. وآلمه من الرد قول على عبد الرازق ــ انه «دعى». وفسرها رشيد رضا بأنه يشكك فى نسبته لأبيه. واشتكاه للسيد البكرى وهو من أكبر رؤوس الجمعية. وقد تأثر البكرى جداً لشكوى الشيخ رشيد وخاصة من كلمة «دعى» هذه.

وتدخل فى هذه المعركة الحاج أمين الحسيني محاولا إنهاءها ثم الشيخ الزنكلونى. والتفتازانى ومحمد علي الطاهر. وفى مأدبة افطار رمضانية عند اسماعيل شيرين بك قرأوا رداً للشيخ رشيد وجدوه عنيفاً. وقام التفتازاني ومحمد علي الطاهر للبحث عن الشيخ رشيد واحضاره عند الحاج أمين الحسينى.

وانعقد مجلس إدارة الرابطة للنظر فى الاشكال: لقد كان رشيد رضا نفسه عضواً بالرابطة وها هو يهاجمها، وفى نفس الوقت فالرابطة خرجت على مبادىء الجمعية لتناولها للمسائل العقائديه، وقرروا عدم التعرض اطلاقاً بعد ذلك لمقالات دينيه إلا بعد عرضها على مجلس إدارة الجمعية. وبناء على هذا استكتبوا الشيخ رشيد خطاباً إلى كوكب الشرق يطلب وقف نشر سلسلة مقالاته. ولكنها استمرت فى النشر ورفضت أى تعويض مادى وكانت هذه المقالات تحمل اتهاماً جديداً للشيخ البكرى وبضعفه امام سلامه موسى واحترامه الخبيث له!

والواقع أن هذه المبارزات الصحفية هزت الجمعية هزاً عنيفاً وفرطت عقد القيادات الهامة بها أمثال البكرى ورشيد رضا وعلى عبد الرازق وسلامة موسى، وبدأ السوس ينخر فيها من الداخل.

وقد حاول أحمد شفيق باشا أن يتدارك الأمر باقامة حفلات عشاء تكون فرصة للسمر وتبادل الآراء على المائدة بدلا من تداركها بالقلم العنيف على صفحات الجرائد. وبدأ بحفلة عشاء فى صالة جروبى وحاول أن يجمع فيها جيل الطلبة مع جيل مدرسيهم حتى يضمن الانسجام بين الأجيال المختلفة. وحاول أن يوثق العلاقات مع تركيا بالذات لأنه لاحظ أنه رغم اتساع عضوية الرابطة من الهند إلى مراكش الا أن تركيا كانت بعيدة عنها، ويبدو أن السياسة لا تدور عجلتها فى هذه المنطقة مالم تكن فيها تركيا ومالم يكن لها دور ربما لأنها هى العتبة بين أوربا من الشمال وافريقيا وآسيا من الجنوب، وربما لأن تركيا لها تراث سياسى فى المنطقة امتد قروناً طويلة.

ولكن قطار تركيا كان قد فات. انشغلت المنطقة بالانتخابات فى مصر بين سعد زغلول وخصومه وبنتائج معاهدة لوزان وفرساى.

أما تركيا فكانت تعانى من جراحها النازفة لدرجة أنها كانت تعلن عن بيع أملاك وبيوت سكنية فى أحسن المناطق مثل بيوك دره فلم يقبل أحد من المصريين على الشراء سوى أفراد معدودين: الأميرة قدرية حسين اشترت بيتاً كانت تملكه مصانع كروب. واشترى إحسان بك المصرى سراية كانت لأحد أنجال السلطان عبد الحميد فى «بلى كوى» واشترى راسم بك المصرى مصنع نسيج فى طرسوس.

ولكن الطبقة المثقفة نفسها والمشتغلة بالنشر والصحافة لم تمد يدها إلى تركيا. وباستثناء بعض مشايخ الأزهر بقيادة الشيخ عبد المجيد اللبان الذين اظهروا عطفاً على تركيا وعلى الخلافة، الا أن السفارة البريطانية وسراى عابدين وقفت بالمرصاد لأى تقارب مع تركيا.

وانتهت الجمعية نهايتها المؤسفة بعد المعارك الصحفية التى ذكرناها، وبعد اعراض تركيا عن الاشتراك فيها، وبعد تمكن الروح المحلية فى كل من مصر والشام والعراق والهند، وبعد انشغال العرب بمشكلة فلسطين، وبعد خروج بعض الأعضاء المهمين أمثال أحمد شفيق باشا بدافع الشيخوخة أو المرض. انتهت هذه النهاية بعد أن حققت شأوا كبيرا من النجاح كان يؤمل من ورائه الكثير. وكان يمكن أن يكون نواة شعبية لجامعة أو رابطة بين الشعوب الشرقية لو استمرت مثابرة الأعضاء.

السيد فهمى الشناوى

لا تغلقوا نوافذ الفكر على الناس



بقلم : عبد الرزاق البصير

يحتفظ تاريخ الفكر العربي الاسلامي بكنوز غنية يجد المهتمون بالحركة الفكرية فوائد جمة كلما وقفوا عليها ، فإن الكثير من هذه الكنوز تعبر مواهب متعددة في الطب والفلسفة مما يجعل آثار أصحابها ميداناً واسعاً يجرى فيه حوار يثرى العقل ، من جملة هؤلاء الطبيب والفيلسوف أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، الذى منحه الله عقلا يشع بالذكاء والفطنة تشهد له بذلك قصة بنائه لمستشفى بغداد : فقد سئل عن أصلح مكان لبناء ذلك المستشفى ، فما كان منه إلا أن أمر غلمانه بتعليق قطع من اللحم فى جهات متفرقة ، فاعتبر البقعه التى لم يسرع الفساد فيها إلى قطعة اللحم ، هى المكان الصالح لبناء المستشفى لأن ما جرى فيها من بطء فساد اللحم يدل على نقاء هوائها .

وهناك قصة لها دلالة أقوى من هذه القصة ، وهى قصة ذلك المريض الذى كان ينفث دماً ، وكان ذلك المريض من الوجهاء ، وقد عرض على جملة من الأطباء ، فعجزوا عن معالجته ، فلما عرض على أبى بكر الرازى ، أخذ يسأله عن بدء علته ، فلم يجد فى أجوبته ما يدل على مرض متأصل كقرحة فى معدته أو تدرن فى رئته ، فما كان من طبيبنا الرازى الا أن سأله عن المياه التى شربها فى طريقه فأخبره أنه قد شرب من مستنقعات فى طريق سفره ، فقدح فى خاطر الرازى أن علقة قد تسربت الى معدة المريض ، وأن نفث الدم هذا من فعلها ، عندما قال الرازى للمريض ، قد استطيع علاجك على شرط أن تأمر غلمانك بأن يطيعونى فى كل ما آمرهم به ، فقال المريض : السمع والطاعة . وجاء بإناء كبير مملوء بطحالب خضراء وأمره أن يبتلع هذا كله ، فبلع الرجل شيئاً يسيراً ثم وقف فقال الطبيب عندها للغلمان : اضجعوه على قفاه ، ففعلوا ثم فتحوا فاه ، فأقبل الرازى يدس الطحالب فى حلقه ، والمريض يستغيث ، ولكن الطبيب لا يهتم بذلك إلى أن دس فى معدته شيئاً كثيراً من تلك الطحالب ، ثم امهله قليلا وأجلسه ، وأخذ المريض يقذف ما فى جوفه ، وكان الأمر كما توقع الطبيب وبرىء المريض من علته ، وتفسير هذا الأسلوب من العلاج أن طبيبنا الرازى أدرك أن علقة تسللت إلى معدة المريض من ذلك المستنقع الذى شرب منه ، ومن الحق أن مكانته الطبية لا تحتاج إلى تنويه ، فقد كان يسمى جالينوس العرب ، وأنه كان حجة الطب فى أوروبا حتى القرن السابع عشر وأنه كان من أعظم أطباء القرون الوسطى ، ولقد كان مقبلا على القراءة أشد الإقبال . فما رئي إلا وفى يده كتاب ، ولقد بلغت آثاره أكثر من مائتى مؤلف .

وما أشرنا إليه من مكانته الطبية أمر معروف كما ذكرت ، لكن له ناحية أخرى لا يكاد يعرفها الا القليل من الناس ، وأعنى بها الناحية الفلسفية ، تلك الناحية التى أهاجت عليه كثيراً من علماء عصره .

ولقد تصدى لمناقشته كثير من هؤلاء العلماء وفى مقدمتهم أبو حاتم الرازى ، وأثبتوا بطلان ما توهمه هذا الطبيب الحاذق ، والذى يهمنى فى هذا المقام هو أننا لا نستطيع أن ننقض أى رأى خاطىء فى أى ناحية فكرية الا إذا وقفنا على ما قاله أصحاب تلك الآراء بصورة جلية بطبيعة الحال . وإلا فإن نقضنا لتلك الآراء سيكون على غير أساس صحيح ، وهذا يعنى أن منع الآراء التى تخالفنا نهج غير صحيح لما ذكرناه من وجوب وقوفنا عليها بالإضافة الى أن نوافذ الفكر كثيرة يصعب — إن لم يكن يستحيل — غلقها جميعها على الناس ، وعلينا أن نتذكر أن معظم كتب الفلاسفة وعلماء الكلام ليست إلا تلخيص لآراء من يخالفهم وإيراد حجج تفند ما وقعوا فيه من شبهات . أريد أن أقول أن إفضل وسيلة لابعاد أو إبطال جميع ما يخالفنا من الأفكار والآراء هو مقارعة الحجة بالحجة ، أما المنع فإنه قد يكون وسيلة للتشويق إليها ونشرها بين الناس بطرق غير مشروعة .

فأسلوب الحوار والنقاش هو الذى مكننا من تفنيد آراء القائلين بأن الحضارة العربية الإسلامية لم تضف شيئاً جديداً الى الحضارة الانسانية ، وكل ما فى الأمر أنها كانت بمثابة جسر نقلت بواسطته الفلسفة الاغريقية والهندية والفارسية وغيرها من الفلسفات ، فقد ثبت أن ابن رشد أضاف الى ما استمده من الترجمات العربية لأرسطو المنقولة عن السريانية آراء جديدة من عنده ، وأوجد مدرسة من مدارس الفكر المتقدم أثرت مدة قرون فى التفكير الأوروبى تأثيراً شديداً .

ويقال مثل ذلك فيما قاله المغرضون فى زواج المصطفى «ص» من زينب بنت جحش ، وحين وقف كتابنا على أقوال هؤلاء المغرضين أوضحوا للناس أن تلك الأقوال أملاها حب التشهير بخاتم الأنبياء والمرسلين ، فليس من شك أن الرسول عليه السلام قد أراد بزواجه منها بعد زواجها بزيد أن يوضح أن البنوة لا تتأكد بالادعاء وإنما تتأكد بالولادة ، وهذا ظاهر من قوله تعالى «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم . وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفوراً رحيماً» .

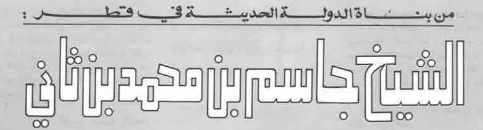
على أن كتابنا لم يستطيعوا أن يدحضوا حجج أولئك المغرضين إلا بعد الوقوف على آرائهم .

وصفوة القول إن تفنيد الآراء لا يمكن أن يكون بصورة صحيحة إلا إذا وقفنا عليها وقوفاً تاماً ، على أن من شأن أسلوب نقاش الآراء بعد الوقوف عليها أن يثرى العقول ، وهو أمر فيه من المنافع الجليلة مالا يحتاج الى تبيين لأنه معروف لدى الجميع .

وأود أن أختم هذه الكلمة الموجزة بتوضيح أمر قد يتبادر الى بعض الأذهان ، وأعنى به نسبة تلك الكنوز الفلسفية والأدبية الى أمة العرب ، .. إن معظم الذين أصدروا تلك الآثار ينتمون الى غير الأمة العربية ، وجوابى على ذلك هو أنى أعتقد بأن الفلاسفة والشعراء الذين عبروا عن أنفسهم فى أغلب الحالات باللغة العربية هم منتمون إلى العرب ، إذ أن التعبير باللغة يعنى بأن تفكيرهم تفكير عربى ، فلقد انقضى ذلك العصر الذى لا يحسب فيه الفرد عربياً إلا إذا كان نسبه نسباً عربياً خالصاً ، ذلك أن الأمة العربية امتزجت بالأمم التى انبسط سلطانها عليها كل الامتزاج .

أما الذين عبروا عن أنفسهم بغير اللغة العربية فإن آثارهم آثار اسلاميه ، لهذا نسبت تلك الكنوز الجليلة الى العروبة والاسلام .

الكويت



١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م - ١٣٣١هـ / ١٩١٣م

بقلم: الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان العالم الاسلامي يموج باضطرابات وقلاقل داخلية وخارجية لأسباب وعوامل كثيرة انتهت بالقضاء على دولة الخلافة العثمانية ، وتمزق العالم الاسلامي إلى دول وشعوب صارت نهباً للقوى الاستعمارية شرقية وغربية مما لا يخفى خبره عن دارس .

ولم تسلم منطقة الخليج بعامة من هذا الصراع ومنها (قطر) واسطة عقدها . وملتقى كثير من هذه الصراعات التي عانت منها كثيراً من البحر والصحراء معاً .

وقد قيض الله لها في ذروة ذلك الصراع رجلا قوياً رزقه الله من الصلابة والأناة والصبر ومعالجة الأمور بحزم وكياسة وقوة حتى استطاع أن يجتاز بالبلاد تلك الفترة العصيبة التي خرجت منها وهي (دولة) ذات معالم وكيان سياسي وجغرافي ودولي ذلكم الرجل هو الشيخ (جاسم بن محمد بن ثاني) الذي يعتبر تاريخه السياسي تجسيماً صحيحاً لنشأة دولة قطر وتاريخها الحديث في القرن الماضي ، إذ كان رجل تأسيسها القوي وأول من حمل لقب شيخها بدون منازع ، فهو مؤسس بنائها ، ومقيم أركانها ، والذي قاد زمامها وسط أمواج متلاطمة حتى استخلص لها شخصيتها من براثن الاستعمار وتصارع القوى الداخلية والخارجية وتناهبها ، وما ركن يوماً إلى الدعة بل كان في جهاد مستمر ما إن ينتهي من معركة حتى يدخل في غيرها ، وما ان يفرغ من صراع حتى يشتبك في غيره في الداخل وفي الخارج ، ومن حواليه من كل جانب .

ذاق مرارة الهزيمة كما ذاق حلاوة النصر وهو في الحالين المسلم العربي الملتزم بدينه وسلوكه ، وقيمه .

وبمثل ما كان يخوض ميادين القتال بقلب الشجاع ، كان يجول في حلبات السياسة بعقل الذكي ، ووعي اليقظ ودهائه .

لم تزده الأحداث إلا صلابة ، ولا الأيام إلا تجارب ، حتى لترى فيه أمة من الرجال في المجالات الدولية والمحلية ، وفي جبهات القتال ، ودهاليز السياسة ، ومجالات الأدب والشعر والقضاء ، وبين بني قومه وجيرانه ووسط أبناء وطنه . محارباً ، وسياسياً ، وحاكماً ، وإماماً ، وخطيباً ، وواعظاً ، وقاضياً ، ومعلماً ، وشاعراً ، ووالداً للصغير ، وأخاً للكبير ، وإليك حديث ذلك :

كان قد استقر الحكم في أسرة الشيخ (محمد بن ثاني) في قطر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، الثالث عشر الهجري ، إذ بايعها زعماء القبائل القطرية المقيمة آنذاك ، وكان على رأس الأسرة (الشيخ محمد بن ثاني) الذي مارس سلطته الفعلية حاكماً على شبه جزيرة قطر فترة عمل خلالها على إبراز معالمها وكيانها السياسي ، يشاركه ابنه (الشيخ جاسم) ثم اعتزل (الشيخ محمد بن ثاني) الحكم بسبب تقدم سنه ، وتنازل لابنه (الشيخ جاسم بن محمد) عن إدارة البلاد في عام ١٨٧٦ م .

ويمكن أن نستبين معالم المجتمع على عهده بما كان ينهجه من نهج سلفي . إذ كان لدعوة الامام (محمد بن عبد الوهاب) التأثير الواضح والقوي في قطر في عهده ، فكان ممثلا لها عقيدة ، وسلوكاً ومنهجاً ، ويمثل الاتجاه إلى حفظ التوازن في المنطقة ، والروح المتوثبة نحو الاستقلال والتطور ، ثم توفي (الشيخ محمد بن ثاني) بعد ذلك بسنتين وذلك عام ١٨٧٨ م ، وبدأ حكم الشيخ (جاسم بن محمد) الذي يعد المؤرخون تاريخه السياسي هو تاريخ نشأة دولة (قطر) الحديثة دون منازع ، فهو المؤسس لها في القرن الماضي .

ومن المرجح أن الشيخ (جاسم بن محمد بن ثاني) ولد عام ١٢٤٢ هـ ـ ١٨٢٦ م ، وأنه توفي عام ١٣٣١ هـ ـ ١٧ يوليو ١٩١٣ م ، عن عمر يناهز التسعين عاماً ، وقد مارس الحكم فترة أربعين عاماً تقريباً ، فضلا عن مشاركته لوالده إبان حياته ، وقد تلقى تعليمه في بواكير حياته على أيدي العلماء ، وكان من الملتزمين للمذهب الحنبلي والمتحمسين للدعوة السلفية ، وكانت الروح الاسلامية تبدو في سلوكه وأشعاره ، وكان شغوفا بالعلم محباً للعلماء ، غيوراً على دينه حتى إنه ليباشر بنفسه التعليم بل والامامة والخطابة في المسجد ، كما باشر القضاء والفصل في المنازعات بين مواطنيه ، يقول أمين الريحاني في كتابه عن (تاريخ نجد وملحقاته) :

(ومن دواعي إحسانه الورع والتقوى ، فقد كان حنبلي المذهب متصلباً فيه ، يصرف واردات أوقافه على الجوامع والخطباء ، بل كان هو نفسه يعلم الناس ويخطب فيهم خطبة الجمعة) .

وكان عصامياً نشيطاً في العمل والتجارة دءوباً ويقظاً ، وقد روى أنه كان يجهز الغواصين باحتياجاتهم ويستوفي من اللؤلؤ الذي يشتريه منهم بقيمته الحقيقية وكان يعد من كبار تجار الخليج ، وقد فتح مجالات واسعة لهذه التجارة درت

الأرزاق على كثير من المواطنين وتوسع في تجارته مباشرة مع الهند لتسويق اللؤلؤ ، وكان يشجع أبناء وطنه في تجارتهم تلك ويحميهم من تلاعب المستغلين والقراصنة ووقف دون المحاولات الكثيرة التي كانت تعمل على محاصرة تجارة وطنه ومواطنيه بالقيود ، فرفض الجمارك ، وكل ما يمت للربا بصلة .

الشيخ جاسم والشعر

ومع خصوبة هذه الحياة كلها وكثرة أعبائها ومشاكلها العالمية والمحلية كان هناك جانب خصيب في حياة (الشيخ جاسم بن محمد) وهو حبه للشعر . وشغفه بمجالسة الشعراء ومطارحاتهم وبلغ من خصوبة هذا الجانب عنده أن عده مؤرخو الأدب من رواد الشعر (النبطي) في المنطقة ، بل وعدوا ديوانه أول ديوان يطبع لهذا الشعر .

ومن حديث ذلك :

أن الشعر (النبطي) كان قد أشتهر من قديم في جزيرة العرب ، فتغنى به أهلها وتأثروا به وسجلوا منه مجموعة لا بأس بها ، وكان ممن اعتنى بهذا النوع من الشعر من أهل الفضل والسلطان في القرن الماضي (الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني) وله ديوان مطبوع يشتمل على قرابة عشر قصائد ، وهذه القصائد على قلتها مليئة بالمعاني القوية الحية ، ودليل على الهمة العالية ، والتفاعل مع الأحداث بنفس يقظة وتجارب وعبر نافعة ، كما تعتبر سجلا تاريخياً لحوادث الأيام الحافلة التي عاشها (الشيخ جاسم) وعاشتها الدولة الفتية (قطر) في كفاح دائم لصيانة كيانها وكرامتها وكرامة قومه .

وانك لتجد من روح الاسلام ، ومن الاهتداء بآداب النبوة مالا يصدر إلا عن خلق قويم وقلب سليم ، فهو نفثات محتبسة جاش بها فؤاده فجاءت معبرة أحسن تعبير عن مراده دون تعسف في الكلام ، ولا تكلف في الأوزان ، ولا صنعة في المعاني .

ولهذا سارت على ألسنة العرب في البدو والحضر يحفظها الكبير ويتغنى بها الصغير .

وقد طبع هذا الديوان أول مرة في الهند ، وأعيد طبعه أربع مرات في (قطر) بعد نهضتها الحديثة ونقد ، ثم أعيد طبعه على نسق جميل عام ١٣٨٩ هـ بعد أن قامت لجنة بتحقيقه وتنسيق أبوابه وتوضيح بعض معانيه ، وضم بعض القصائد التي لها صلة بموضوعاته إليه تحت اشراف دار الكتب القطرية .

ويقتضينا الحديث ونحن بصدد هذا الجانب أن نذكر :

أن الشعر كما هو معروف كان سجلا لتاريخ العرب قبل الاسلام وبه ومنه عرفهم التاريخ والناس ، والمطالع لتاريخ (قطر) بخاصة ومنطقة الخليج بعامة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يهوله أن جل المراجع الأصلية أجنبية ، ومعظمها وثائق سياسية من مراسلات ومعاهدات الخ .

● كان محباً للشعر وشغوفاً بمجالسة الشعراء ورأى النقاد فيه: أحد روّاد الشعر النبطي

وطبيعي أن مثل هذه الوثائق تمثل في المقام الأول وجهة النظر للطرف الآخر (الأجنبي) ، ومن هنا تأتي ضرورة البحث عن مراجع أصلية أخرى محلية ، لتعطى الجانب الآخر حقه ولتبين عن وجهة نظره .

ونظراً لما كان يعترى المنطقة من اضطرابات ، وعدم استقرار وتوالي الأحداث وتداخلها وكثرة الأطراف فيها ، آنذاك ، ونظراً لما كانت تعانيه من قلة بل انعدام وسائل التوثيق والتأريخ في تلك الحقبة لأسباب كثيرة : من أجل هذا كله تأتي أهمية أي مرجع أصلي محلي يتابع هذه الأحداث متابعة المشارك فيها والمنفعل بها .

ويأتي في هذا المقام أهمية السجل القديم الجديد الذي دونت فيه كثير من معالم وأحداث تلك الفترة في هذه المنطقة وتعنى به (الشعر) بعامة ، وشعر (الشيخ جاسم بن محمد) بخاصة فقد يجد فيه عالم الأدب بغيته لرصد الحركة الفكرية والثقافية آنذاك ، وقد يجد فيه عالم الاجتماع صورة للمجتمع وتفاعلات انماطه حينذاك ، وقد يجد فيه الأديب صورة من الأدب الشعبي الذي يبرز المعاني القوية الحية التي تختلج بها النفوس باللغة السائدة بينهم .

ثم قد يجد فيه المؤرخ تصويراً نابضاً بالحياة للأحداث وصناعها يتابعها حية حدثاً بحدث ويوماً بيوم وهي تحكي الانطباعات الأولى على فطرتها دون تدخل لصنعة أو حبكة فنية أو تعديل الخ .

وهذا هو ما نجد الكثير منه عند التدقيق والتحقيق في كثير من أشعار الشيخ (جاسم) ، ومتابعتها بتأن من غير سابق حكم أو تصور غرض معين ، أو انبهار بأسلوب ، أو اعجاب بصنعة بلاغية ، بل يجب أن تؤخذ كما هي هكذا كرصد تاريخي حي يحكي بأسلوب عصره ويعرض الحدث بيد صناعه . هذه واحدة .

وأخرى : أنه إذا كانت معالم شخصية الانسان تبين وتعرف لأول وهلة من منطقه كما قال الأحنف حين سئل في كم تعرف الرجل ؟ قال : إذا تكلم أعرفه في ساعة وإذا صمت أعرفه في يوم — فان معالم شخصية الشيخ (جاسم بن محمد) تبرز بوضوح خلال أشعاره تلك ، وأول معلمة تبرز فيها هي معلمة الشخصية (الانسانية المسلمة الملتزمة بجد وصدق) ولا يعز عليك إدراك واحد من هذه العناصر في أية قصيدة من قصائده في مطلع ، أو وسط ، أو خاتمة .

فان ابتغيت مثالا لذلك تشاد به مفاخر أمة فاليك مضرب ذلك :

في إبان الأحداث المتلاطمة في المنطقة بين شد وجذب حدث أن رئيس البحرين آنذاك (محمد بن خليفة) تقاتل هو وبعض رحمه وتنازعا الامارة فيما بينهما ، وكان ذلك بعد أحداث مريرة جرت بينهم وبين الشيخ (جاسم بن محمد) بخاصة و (قطر) بعامة ، وتدخل الانجليز في ذلك النزاع الذي حدث في (البحرين) وأخذوا (محمد بن خليفة) منفياً إلى (عدن) وحبسوه بها ، وبعد مدة رآه الشيخ (جاسم بن محمد) في المنام كأنه يريد أن يشفع له عند ابني عمه ليطلقاه من الأسر . وأصبح الشيخ (جاسم) مهموماً برؤياه ويسعى من توه بالشفاعة لديهما له . ولم يقبلا ، فقرن الشفاعة بعرض فداء سخي مجز ممثلا في ألف من كرائم الابل وتسعين من عتاق الخيل ، ومع ذلك لم يقبلا الفداء ولا الشفاعة ، وجاشت نفس (الشيخ جاسم) بهذا الموقف فسجل من المعاني الانسانية ما جرى بها لسانه في قصيدة من اثنين وعشرين بيتاً من الشعر النبطي يقول فيها :

شكا لي وشكوانا إلى الله راجعة
يفك من عوق النجيب اغـــلال
ثم قل لهم كيف ســـليتوا محمد
بقيد النصـــــارى موثق باغلال
ولا تقطعون الوصل والرحم بينكم
فالله عن قطـــع الرحام يسال
ولا تؤثرون الملك من دون عمـــكم
فكم قبلكم من زيل عنــــه وزال
فأما تفكونــــه رجـــا أو مخافة
مـــن الله ولا تطلبـــون حـــلال
فإن كان تبغون المــال فالمال عندنا
جمعناه حق المكرمـــات أزمــال
فعندي لكم من الخيل تسعون سابقاً
وألف من الهجن النجاب اجـــلال
وعلي أمـــان الله إنني أسوقهـــا
لعـــل عثارات الكـــريم تقال
وسلامي على من عانني في فكاكه
وعســـاه من جزل الثـــواب ينال

هذه صورة وناهيك بها من صورة نابضة بالحياة والمعاني الانسانية .

وأخرى تريك وجهاً آخر لحياة الكفاح والطعان والنزال :

ذلك أنه جرت بينه وبين الجبهة الجنوبية على طول ساحل عمان أحداث وأحداث سجلها في

قصيدته التي بعنوان : (صبرنا لها مازعزع الدهر عزمنا) ، وفيها يقول :

فزعنا لهم بكبارنـا مع اصغارنا
ونقدع شيا من دونهم كل عايل
فبين السما والأرض ثارت عجاجة
فى محشر مـاذا لهذا بسايل
وعجت وثجت وأحرقت بعدما سعرت
وأصفى عليها الجو والموت حايل

ولما أمرت الدولة العثمانية بالقبض على الشيخ (جاسم بن محمد) والاستقلال بامارة (قطر) طمعاً فى الخراج ولشكايات بعض أمراء العرب وتجار الاحساء والقطيف من الشيخ (جاسم) حسداً وبغياً ولأنه يخالفهم آنذاك فى المذهب وطريقة الحياة إذ كان هو سلفياً ملتزماً ، أرسلوا مأمورهم للقبض عليه ، وجاء هذا بجنوده براً ، وبمراكبه الحربية بحراً ، وساعده من العرب بعض الحكام المجاورين والعجمان وهم من القبائل البادية ، ووصلوا (سلوى) باب (قطر) الجنوبى الغربى ولما علموا بهزيمة جيش الباشا التركى الذى وصل بحراً رجعوا على أدبارهم ، وكان (الباشا) لما نزل (قطر) جعل يدير المكائد لأسر الشيخ (جاسم) . الخ وبقية الأحداث يرويها الشيخ (جاسم) ويسجلها فى قصيدتين له بعنوان :

- يا الله يا والى على كل والى
- وتحاموا علينـا الدولتان

وفيهما يقول :

وجونا خبيثين العمـل والفعالى
اللى عن أحكام الشريعـة يحيدون
يبون ملك أرقابنـا والعيالى
وتمشاة حكم اللى يبونه يمشون
ونفوسنا ترخص لنـا كل غالى
ونرخص بها فى ساعة الناس يغلون

ومن الأحداث الداخلية : ما حدث من تمرد بعض القبائل القطرية الموالية لبعض الحكام المجاورين آنذاك على حكم الشيخ (جاسم) وشقهم عصا الطاعة ، فحاصرهم فى قصر (الربيحة) مدة ، واخذ خيلهم ، ثم تولاهم ، وعفا عنهم ، ومرة أخرى فى قصر (الزبارة) ، ثم تولاهم ، وعفا عنهم ، ثم فى آخر الأمر شوشوا عليه فى (الفويرط) وأراد أحد قادة المتمردين أن يترأس عليهم ومشى إلى الجموع بمن معه ولما حل الشيخ (جاسم) بساحتهم قتل بعضهم ، وصادر أموالهم ثم عفا عنهم واستقل بالامارة .

وفى هذا يقول من قصيدة له بعنوان (تمسك بتقوى الله) :

• علاقاته فى حسن الجوار مأثورة ، وشخصيته تتميز بالخير والقوة ورجاحة العقل وطهارة الثوب

أرى الجفن يجفو النوم مايالف الكرى
إذا هم فى بعض الهمم والمطالب
فلولا ركوب الصعب فى كل شدة
وصبر على شـداتها والكرايب
ما لذ فى الدنيـا لذيذ ومطعم
ولا لذ لى فيهـا لذيذ المشارب
ولينـا وعفينـا وجدنا بعتقهم
وجـدنا لهم بأموالهم والربايب
فإلا قلت يصفى كدرهم زادغشـهم
وأسـبابهم تازى عليهم عقايب
من الله ذى العرش الذى يعلم الخفا
خبير بنـا علام ما كان غـايب
تمسك بتقوى الله واخلص له العمل
بعلم على حق صـواب وصايب
ترى من أطـاع الله طاعت له الملا
وذلت له ارقاب الملوك الصعايب
فلا أقول ذا وأرجو من الله عفوه
والأقـوال فيها مخطيات وصايب

* * *

وكم للشيخ جاسم من علاقات فى حسن الجوار مأثورة ويذكر فى هذا الصدد أن (آل بسام) من (عنيزة) حدث منهم فى إمارة (آل رشيد) ما احفظ الصدور عليهم ولما ولى الملك الامام (عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود) نقلهم عنده فى (الرياض) وعددهم ثلاثة عشر شخصاً ومكثوا عنده أكثر من سنة ، ثم ان أشراف مكة ونقباء البصرة أرسلوا وفودهم إلى الملك عبد العزيز لفك هؤلاء فلم يشفعهم فيهم ولم يعف عن (آل بسام) مع ما بذل الأسرى له من الفداء ، حتى شفع فيهم (الشيخ جاسم بن محمد بن ثانى) فشفعه فيهم وأرسلهم مع خدمه إلى (قطر) سنة ١٣٢٢ هـ .

تثبيت دعـامة الاسلام وشرعته

ويذكر المؤرخون الكثير مما ينبىء عن معالم شخصيته الخصبة بالخير والقوة من رجاحة عقل ودهاء وسداد رأى ، وطهارة ثوب ، ونقاء سريرة ، ثم ما كان من دور قوى ومكانة وفضل فى تثبيت قواعد الشريعة الاسلامية فى (قطر) والمحافظة على غرس التوحيد من كل شائبة ، وذلك بالتصدى والمحاربة لكل مظاهر الشرك ، والأهواء والبدع التى كانت سائدة فى كثير من بلاد العالم الاسلامى . فعندما تولى الشيخ (جاسم) مقاليد الأمور فى قطر ـ وهو يتبع فى الأصول والفروع المذهب السلفى الذى دعا إليه وجاهد فى سبيله الامام محمد بن عبد الوهاب ـ ولم يأل (الشيخ جاسم) جهداً فى ذلك بنفسه ، وبابتعاث الدارسين إلى (نجد) للتزود من العلوم الاسلامية والتشبع بروح السلف ، واستقدام العلماء والدعاة من (نجد) موطن دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب لتعليم الناس أمور دينهم .

ويسجل الشاعر القطرى (محمد المرزوقى) وهو بصدد رثائه للشيخ (جاسم) كثيراً من هذه المآثر فيقول :

مضى فارس التوحيد فى (قطر) الندى
مضى هادم الأهواء والبدعـات
مضى بعدما أحيا من الجود والهدى
رسوماً له فى الدار كالهضبات
بنـو قطر من قبله بجهـالة
مماليك للأهـواء والشـهوات
المتهم أبنـاء جهم تـؤزهم
فزالت بمهدى الرشـد والبركات
فلم يمض حتى علم المجـد كلهم
بصائب فكـر يدحض الشبهـات
وعلمهم نهج المكـارم والتقى
وجاء بأحبـار الهدى ودعاة
وأجلى دعـاة السوء من كل مشرك
ومن كل جهمى أخى لبسـات
طرائق صوفى وزار ومولـد
نفاهـا بحد السيف والكلمات
وعلمهم نكر الفـواحش جهـرة
وأذهب مألوفـاتهم بعظات

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه بقدر ما قدم لدينه ودنياه ووطنه من خير .

حسن عيسى عبد الظاهر

المراجـع :

١ ـ ديوان الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني .
٢ ـ دليل الخليج الجزء الثالث .
٣ ـ بحوث لجنة تدوين تاريخ قطر .
٤ ـ الأدب القطرى الحديث .
٥ ـ التطور السياسى لقطر .
٦ ـ تطور قطر السياسى والاجتماعى .
٧ ـ حوض الخليج العربى .
٨ ـ التيارات السياسية فى الخليج العربى .
٩ ـ التقرير السنوى لرئاسة المحاكم الشرعية ، وغير ذلك من المراجع .

القروي شاعر العروبة سيرته في ذكريات


الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى)

بقلم: أكرم زعيتر

لا أبالي شبعت أم جعت والفن شرابي.. وعزة النفس كنزي

طوفت فى ثلاث عشرة دولة من أمريكا اللاتينية أدعو الجاليات العربية إلى مظاهرة وطنها الثائر، وأبشرها بنصر من الله وفتح قريب، وقد سمعنى القروي أقول فى خطاب وداعى: «إن كل واحد منكم يفخر بكونه عربيا ويمتلىء إهابه اعتزازاً بانتمائه إلى أمة ذات حضارة وذات أخلاق، وعرفت بإبائها. فما يكون حال هذا العربى اذا قامت دولة صهيونية على عنق بلاده، وفى فؤاد أمته، وعلى رغم دوله وحكوماته؟ ما يكون اذا راحت صيحاتنا هواء؟ وغضباتنا هباء؟ ألا نكون نحن الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله؟ اننا بجهادنا نوحى للتاريخ أن يخط: ان هذه امة عربية أبية أجمعت أمرها ووحدت كلمتها. فقارعت أقوى دول العالم وأخبث شعوب الأرض فقرعتها.. ألا إن المستقبل لنا. ونصر الله آت. ولله جنود اذا أرادوا أراد.. ونحن باذن الله جنوده الغالبون.. وواصلت القول: «خصومنا أقوياء وتسندهم دول ذات أساطيل وقنابل ذرية. ولكننا سنجترح المعجزات، ونصنع المستحيل، وسيرى العالم من عبقريات الجهاد العربى ما يدهشه وستخرج أمتنا العربية من هذه المحنة متحدة مصقولة، قد بعثت فتية بكراً، تؤدى للدنيا رسالة جديدة تنقذها من حضارة الفتك والعدوان، وتستبدل بها حضارة انسانية كلها نور وعدل وحق. على أن المعركة بيننا وبينهم قد تطول وقد تمتد مائة سنة.. ولكن النصر مكتوب لنا.. اننى أكاد اراه مجسداً يقترب منا.. اننى أراه بعين العقيدة وفى ضوء الايمان.. وأكاد أعانقه...».

وترقرق الدمع فى عينى القروى، وهب واخوانه يعانقوننى وبتعبير مهجرى برازيلى «يعابطوننى» أى يضمنى كل واحد بذراعيه إلى صدره.

وعدت إلى وطنى لأرى الكارثة الفلسطينية فى إبانها.. والداهية فى ريعانها ورحت أطارد اليأس و«ألملم» عزيمتي، وأستجمع قواي لمواصلة النضال.. وشغلتنى حالة نفسية عن الكتابة إلى القروى، ولعل الكارثة التى كرثت هذه الأمة وكرامتها، عقدت اللسان، وعصبت الفم، ولم يبرح خاطرى قول ذلك الشاعر:

ولو أن قومى أنطقتنى رماحهم
نَطَقْتُ ولكن الرماح أجَرَّت

على أننى مالبثت ــ ولما يهدأ الروع ــ حتى كتبت إليه ولكن رسالة اعتذار تتنزى باللوعة مما أصابنا، ولا تخلو من ايذان بتحفز الشعب الفلسطيني لمواصلة الجهاد.. فتلقيت منه جواباً مرفقاً برسالة من صديقه الأعز «الياس عاصي»



الشاعر القروى فى المستشفى ببيروت يزوره أكرم زعيتر والشاعر جورج صيدح (بيروت ـ ١٩٥٩/١/٢٨)

لقطة تذكارية للشاعر القروى مع كاتب المقال وبعض رجال الأدب والفكر (بيروت ـ ١٩٧٧/٥/٧)

وقصاصات صحف فيها أحاديث عن قضيتنا المقدسة .

والقروى فى نثره مثله فى شعره ، رفاعة أسلوب ، ونصاعة بيان ، ورسائله قصائد نثرية ، وأنا ما نعمت برسائله إلا تذكرت اخوانى الشعراء المحلقين فى نثرهم تحليقهم فى شعرهم : بدوى الجبل وأمين نخلة وخير الدين الزركلي وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) عليهم رحمات الله . وهذه هى رسالة القروى :

سان باولو ١٩٤٨/١٠/٢٦ .

أخى أكرم ،

لا والعروبة ! ما أرتبنا قط فى مودتكم ، ولا خطر لنا أن نلومكم ، ولا اشفقنا من عدم رضاكم . فما نبَطَ من قلبنا الغش ، ولا ساغ معين اخلاصكم لغربان الشك . وكنا وما نزال نقدر عبئكم الثقيل ، وجهدكم الجهيد ، وشغلكم الشاغل . وكنا نتسقط أخباركم ، ونقيس مدى سلطانكم على الأفئدة ، بما شهدناه من عبقريتكم النادرة ، وحماستكم الساحرة . فنتهلل لفوزكم ، ونشارك المعجبين بكم والهاتفين لكم . ولقد رافقنا معكم حوادث فلسطين وتطوراتها . فشعرنا شعوركم ، وكظمنا كظمكم ، أو سخطنا سخطكم وحرقنا الأرم ، وانفجرنا باللعنات على الخائنين ، وبالدموع اللاهبة على الشهداء ، ثم اننا بالرغم من هذه المثبطات ، لم نيأس من ربح المعركة الحاسمة . وعندنا أن ما نغامر فى سبيله انفس من كل ما بذلنا حتى اليوم . وان العناية التى ترعانا من وراء سجوف الغيب هى احكم وارحم من ان تمد لنا سماط النصر قبل أن تستتم انضاجه . فتشبعه من قلوبنا ناراً ، ومن اشلائنا وقوداً ، ومن دمائنا دسماً ، لتكفل لنا باللذة والمتعة والشبع وتضمن لنا الصحة والعافية دهراً طويلا . فليس فى حساب الحق أن نؤدى مائة فيما يساوى ألفاً . فضلا عن الغرامة المفروضة على هذه الأمة جزاء وفاقا لتخاذلها وتواكلها وبيعها الضلالة بالهدى والفانى بالباقى . ولسنا نشك فى أن الشعوب العربية ستغضب غضبتها ، وتثب وثبتها ، فتعاقب المجرمين ، وتولى ثقتها من يستحقها . وعندئذ تجرى الأمور على نور من رشد ، وصراط من حق . حتى نختطف القصبة ، ونضع ارجلنا فى الغاية ، وما كان ربك بظلام للعبيد !

ارسل هذا مع كتاب اخينا الياس عاصي رمزاً لانعقاد قلبينا على حبكم . وفى الرسوم والقصاصات التى تشاهدون وتطالعون نموذج للجهود التى ما برح يبذلها فى سبيل العرب والعروبة ، هذا السفير الطوعى والبطل الفرد فى هذا الشطر القصي من دنيا أمريكا . تلطفوا بالتحية والشكر لشمعة

فلسطين المحترقة لوعة وجهاداً : الأخ محمد على الطاهر ، ولك ألف قبلة أخوية من : أخيك القروى .

ورانت على القروى كآبة نفسانية بسبب الهزيمة . وغدا كتلة أعصاب ثائرة وحدث أن دعت الجمعية الخيرية الاسلامية فى سان باولو الجالية العربية إلى الاحتفال بذكرى المولد النبوى وهي أول ذكرى بعد الكارثة ، فألقى أبياتاً هي شواظ من نار أو جمرات غضب رجم بها شعبه وبعث بها إلي ، فنشرتها فى جريدة الحياة البيروتية وقدم لها الشهيد كامل مروة فى جريدته : « ولعلها تبعث فى العرب روح الكرامة » وهذه هي :

يهنىء بعضكم بعضاً واني
أهنى النفس أني لا أهنى
أأنقض مبدئي وأخون عهدى
مسايرة لكم ويقال : إنى ؟
أرى تفاح هذا العيد جمراً
ولو قطفوه من جنات عدن
وألمس ناعم الأزهار شوكا
وأنشق عطرها نتنا بنتن
ويطرف ناظرى حسن الغوانى
ويجرح مسمعى شدو المغنى
وعيد هائل سمعته روحي
ولولا لغطكم سمعته أذنى
يفجره النبى شواظ نار
على شط وبادية وحزن
أمسخرة الشعوب لُعنْتَ شعباً
ذليلا لستُ منك ولستَ مني
تُعيِّدُ لى وأنت تبيح أرضى
وعرضى لليهود ؟ إليك عني !

ويتوجب عليّ هنا أن أقول : إن القروى القى فى الذكرى التالية للمولد النبوى خطاباً رائعاً مهد له بقوله مخاطباً المسلمين ومشيراً إلى غضبته فى الذكرى السالفة : « لئن وُلِدْتُ نصرانياً فإن محمداً قال : « من آمن بنبيه وآمن بي فله أجران » ولئن كنت قد أغضبتكم فلقد أرضيت رسولكم القائل : « قل الحق وان كان مراً » وأنطلق يمجد الرسول ثم يناجيه : « يا محمد . يا نبى الله حقاً . يا أحكم الحكماء ، وأعظم المصلحين ، وأنبلهم مطلباً ، وأبعدهم غاية وأصدقهم دعوة وأهداهم سبيلا . يا نبى الله حقاً ، يا مجد العرب ، يا مجد الانسانية ، يا آية الصحراء الكبرى . جاء الحكماء قبلك وبعدك عوراً وعمياناً ، وجئت بصيراً بكل نواحي الحياة كأنك ترى الكون وأهله بنور خالقهم جميعاً . لقد خالف الكل الطبيعة : وسرت معها

اخي كبير العقل والنفس اكرم

بأي فلسفة او دين اعزيك في "عادل" ولد أعد متطفلا على فلسفتك ودينك ، وكيف ابثك اساي على فقده ومثلك من يكبر شعور اخوانه في مصابه ، حتى يحمله لها فوق همه .

حسبك من التأساء ان قلوب العرب تجتمع في مناحة حول قلبك ، وان اسمه الجميل كاسم اخيه ، يتحدى العدم ما بقي للعروبة تاريخ حافل بسير الابطال ، وشهداء المجاهدين بالارواح والعقول .

رحمه الله وايانا ، وامد في عمرك النافع امدًا طويلا ، ان شاء سبحانه وتعالى

صنبول ٢٧ - ١ - ١٩٥٨

اخوك
رشيد سليم خوري

إحدى رسائل رشيد سليم الخوري (الشاعر القروى) إلى كاتب المقال

يدك فى يدها وعيناك فى قلبها وروحك فى روحها فاستغرقتها بعلمك واستوعبتها بفهمك وبعثت راقدها فانبعث غير اهوج ورضت جامحها فانقاد غير ذليل .. » واسترسل : « آياتك آيات الخليقة ، ودينك دين الفطرة ، شرعك رياضة لا ارهاق ، وتكاليفه تمرين لا تعجيز ، مذهب يحض على العمل حتى الجهاد ، وجهاد تكفه المروءة عن الجور ، وعدل تحده العفة عن القسوة ، وقوة يربأ بها الحق عن الطغيان ، رسالة تتفاءل بالحياة ، وتهلل للنور ، وتبارك الجمال وترهف الحس وتطلق الخيال وتقدس العلم وتغرى بالطموح وتدفع إلى الرقي وتحث على الكسب الحلال وتبعد عن اليأس وتنزه عن الرياء وتقرب من عرش الله .. » .

وختم خطابه بهذه الروعة الرائعة أو العظة البالغة : « إني لموقن ان الانسانية التى يئست من كل فلسفاتها وعلومها وقنطت من مذاهب الحكماء جميعاً لن تخرج من مأزقها ولن تجد راحة لروحها وصلاحاً لأمرها إلا بارتمائها فى حضن الاسلام ، تجد فيه حلا لمشكلة الحياة والتوفيق بين قوى الانسان جميعاً جسداً وعقلا وروحاً .. » .

ولاعجب اذا هب شاعر العرب الصديق عمر أبو ريشة سفير سورية يومئذ فى البرازيل ، يعانق الشاعر القروى ويقول : إن خطابه اروع ديوان للقروى .

وتلقيت رسالة من الياس عاصي ، يقول فيها « إن نخبة من أصدقاء القروى وقادرى أدبه قد تنادوا الى تأليف لجنة للاكتتاب لاشتراء بيت للقروى ، وان كراماً من الجالية العربية فى الأرجنتين قد بادروا إلى الاسهام فى التبرع ، وانه سيزف إلي قريباً نبأ تقديم البيت إلى القروى .

ولم تنقض مدة على رسالة الياس عاصي حتى جاءتنى جريدة العَلَم العربى التى يصدرها فى بوينس ايريس ، عاصمة الأرجنتين الوطني المجاهد العربى المؤمن الأستاذ عبد اللطيف الخشن ، وفيها بيان للقروى يشكر فيه لذوى المروءة مروءتهم ويعتذر عن عدم قبول الهدية « وايثاره قبراً فى وطنه على قصر فى غربته » ويرجو أن يرد المبلغ إلى المتبرعين الكرام .. وفى الجريدة نفسها قرار اللجنة تحويل المبلغ إلى مشروع طبع ديوان القروى وأن القروى وافق على هذا شاكراً ، وأنه سيشرع فى طبع الديوان ..

وبعث إلي الأستاذ الخشن بالعدد السنوى الممتاز لجريدة « العلم العربى » ولفت نظرى إلى قصيدة للقروى منشورة تحت رسمه ، نظمها على أثر مقال كتبه خصم سياسى للقروى يتهمه فيه بأنه كثير الشكاة والبكاء : « وقد جاءت عفو القريحة لم أعمل فيها يد التنقيح لقلة الوقت وكثرة الواجب » .. وعندى أن أروع ما فى القصيدة أبياتها الخمسة

الأخيرة . وما أكثر ما كان القروى يرددها ويستشهد بها وهي :

بُعْدَت همتى فعفتُ كنوز
الأرض لما عرفت قيمة كنزى
لا أبالى شبعت أم جعت
والفن شرابى وعزة النفس خبزى
ذلُّ قومى ذلى وان كنت أغنى
الناس طراً ، وعز قومى عزى
قد نبذت العيش الرخي ورائى
لا هيـاً عنـه بـالأعز الأمز
والذى صيده الضراغم لا يعجزه
أن يكـون قنـاص عنز

وتوفى في النجف الامام المجتهد محمد حسين آل كاشف الغطاء خريف سنة ١٩٥٤ . وقد عرفت السيد الحجة وطنياً عربياً مقداماً . وكانت له في الدفاع عن قضية فلسطين وقفات باسلات . وفتواه في تحريم بيع الأرض لليهود . وموالاة الانكليز مشهورة . وقد ذاع صيته حين أمّ في المؤتمر الاسلامى المنعقد في القدس سنة ١٩٣٠ في الصلاة يوم الأسراء أعلام السنة كرشيد رضا والشاعر محمد اقبال والزعيم الثعالبي ومحمد علي علوبة والحاج أمين الحسيني ومولانا شوكة علي وغيرهم . وتألفت لجنة لتأبينه في النجف وكتب الأستاذ عبد اللطيف الخشن صاحب « العلم العربى » للشاعر القروى الذى كانت بينه وبين الامام مودة يرجو أن تكون له كلمة في تأبينه . وحدث أن توفيت في الحين ذاته أم الشاعر . فنظم قصيدة رثاء قدم فيها الأسبق عنده فالأسبق : أمته .. فأمه فالامام . وقال في رسالته للأستاذ الخشن : « ان هذا شعر خير ما فيه الصدق . وانه لم يتكلف به معارضته قصيدة المتنبى في جدته .. ولكنه نظمه منساقاً مع طبعه وشعوره » « وان نكبة فلسطين لا يماثلها لدي نكبة ما في الأرض ولا السماء . كل خطب مهما فدح يهون بالنسبة إليها ، وكل انسان عربياً كان أم غربياً لا يحزن ولا يغضب ولا يثور لها فقد تجرد من كل شعور وكل انسانية وكل دين . ولذلك استهل قصيدته بقوله :

كفى الميْتَ منا أن يُحَسَّ له فقْدُ
أبعد هلاك الجمع يُفتقد الفرد ؟
أبعد فلسطين ، يُناح على فتى
وهل بقيت في مقلة دمعة بعْدُ ؟
بكائى على المليون أنضب أدمعى
فما أنا إلا النار والحجر الصلد

ويذكر بعد أبيات أمه فيهتف :

الا دمعة من « لاجيء » أستمدها
فأبكى بالبحر الذى جزره مَدّ
وأندب أماً لم يجد مثل حبها
وحبى لها لا الوالدات ولا الولْد
يرفه عنى أنني غير خالد
ومهما يطل عمر الفتى فله حد
طويت إليها الدرب الا أقله
ويرجى التلاقي كلما اختصر البعد

ويسترسل في رثاء أمه ثم يذكر الامام :

وهل كان من ينعون مثل محمد
وهل أنا إلا مثله عهدى العهد ؟
إمام حبانى من جميل ثنائه
جواهر قول ، كل جوهرة عِقْد
أدِلُّ بهـا رداً على كل ناقد
بضاعته الأصداف والأدب الرَّدُّ
فيا راحلا لا فرق بينى وبينه
سوى أنه أغفى وحالفنى السُّهد
هنيئا لك المثوى السعيد تجوزه
إلى جنة المأوى يواكبك السعد
ومن كان جاراً — « للحسين » وفيصل
فقد ضمن الخلد الذى بعده الخلد

* * *

ولم تنقض السنة حتى أقبل بالبريد ديوان القروى في طبعته الأولى يترفل في حلة أنيقة . وازدهاني تقديمه « إلى أكرم زعيتر ، فتى فلسطين ، أسدها الزائر ، وموجها الهادر ، وبركانها الثائر » . وشفع الديوان بجدول بأسماء السادة المتبرعين لمشروع طبع الديوان قائلا : « إنى باسم هذا الفريق من كرام اخوانى واخوانك المغتربين أزف إليك ديوانى » ورسالة بخط يده يقول فيها : « أخي الحبيب أكرم . أسأل الله أن يقربنا هذا العام من المحجة . وينعش آمالنا ببلوغ الغاية .. » ثم يقول : « لقيت فيمن لقى منذ أيام الأستاذ عيسى نخلة (مندوب الهيئة العربية العليا في أمريكا) وكانت لنا جولة خرجت منها حائراً حزيناً ساخطاً . لقد نافح الرجل عن « عزام » .. وإن اخاك لا يعنيه من الأشخاص غير ما يخلعه عليهم اضطلاعهم بالتبعات الوطنية من خطير الشأن . وقد ضاعت فلسطين على أيدى رجال في طليعتهم عزام . لقد مثل الأمة العربية بأسرها في أمانة سر دولها السبع . فإذا لم يكن هو مسؤولا فمن هو المسؤول ؟ .. » وختمها : « أرجو جوابكم السريع والسلام والمحبة الخالصة لكم من أخيكم : القروى » .

ورحت اترشف الرحيق الحلال ، من ذلك الديوان .. ثم كتبت إليه : « يا سيدى وأخى وشاعرى . أقِلّ اللوم . وتمهل في العذل فما انقطعت عن الكتابة وهناً في إخاء أو ونى في وفاء . ولكنه هذا الذى ألم بوطنى .. وقيام دولة السوء الذى لا افتأ اخاطبها بلسان زميلك الشاعر :



الشاعر القروى في الخامسة والثلاثين — الياس فرحات

● عندما صرخ الشاعر : يا نبي الله حقاً ، يا مجد العرب ، يا مجد الإنسانية ، يا آية الصحراء الكبرى

● المهاجرون العرب يكتتبون لبناء بيت للقروي ، والشاعر الكبير يعتذر قائلا : أوثر قبراً في وطني على قصر في غربتي !

يا دولة السوء لا لُقّيتِ صالحةً
هل لا نقراضك من يوم فننتظرِ ؟
وكيف نرجو خلاصاً أو نرى فرجاً
وفيك طول وفي أعمارنا قِصَر ؟

على أنني فى هذه الغاشية الداهية ، أرانى بين حين وآخر استشق بديوانك ، واحبر فى روضة غناء من أبلغ قول فى أنصع بيان وأزكى نفس فى أعذب ألحان .

وقرأت فى « العلم العربى » نعي الوالدة الرؤوم وحاولت العزاء فما ساعفنى قول ، ولكننى قدرت جلال رزئك وأنا الذى خبرت سراوة عاطفتك أيقنت أن خطبك أجل من العزاء . وقد تطلق وجهى وأنا أتلو أسماء الألى تبرعوا بالمال لمشروع طبع الديوان لا لأنهم أدوا فرض الكفاية عن أمتك ونشروا الديوان الذى نترشف رحيقه فحسب ، ولكن لأن بين الأسماء من استنزلتهم عن نزعة اقليمية عرفوا بها ، وشعوبية أثرت عنهم ، فغدوا فى الدعاة إلى مبادئنا القومية المسكوبة شعراً « قروياً » ، وهذا ربح لفكرتنا . ثم دافعت عن صديقى الكبير العربى المؤمن عبد الرحمن عزام مؤكدا أن الجامعة هى جامعة الدول العربية .. أى أنها مرآة دولها ، والتجنى كل التجنى أن نحمل رجل العروبة فى مصر تبعة تقصير سبع دول وخمسة جيوش .

« وأنا الآن فى نابلس ، فى الشلو الباقى بيد العرب من وطنى الممزع .. وأرقب الأفق العربى ، فقد يطلع ما يبدد همومى ، لائذاً من اليأس بإيمانى بالله وبروح هذه الأمة ، معتصماً من هزاهز الدهر ، مع الصبر الجميل بأملي فى المستقبل » .

* * *

وألف الصديق الأديب اللبنانى الأستاذ وديع ديب كتاب « الشعر العربى فى المهجر » وطبيعى ان يكون لشعر القروى قسط وافر فى الحديث عنه : وقد اثنى على القروى وقال عنه : « ان القروى أخلص شعراء العربية للقومية العربية : ولا استثنى منهم أحدا » . ولكنه شفع هذه العبارة بقوله : « ولكنه ما نظم الكثير من شعره الوطنى إلا وفى نفسه شوق الى اعتلاء المنابر وتصفيق الناس » وركز المؤلف الحديث عن شعر الحنين والغزل والتفلسف والأمومة وأعرض عن ذكر حماسيات القروى ووطنياته ، وآية ذلك ان الشاعر بعد أن أبّنَ فيصلا فى الأرجنتين فزع من ضجيج العاصمة « ومراسمها » إلى مصيف ريفى جميل اسمه « تنديل » ضيفاً على أنسبائه ، وفى تلك العزلة الهنيئة ، فى الفردوس الأخاذ ، نظم قصيدة مؤلفة من ثلاثة وخمسين مخمساً (والتخميس هو أن يضاف ثلاثة أشطر الى شطرى البيت) . أنشدها فى حفل أقيم لتكريمه ووداعه فى بوينس ايريس ، وقد استشهد صاحبنا « الوديع » من تلك القصيدة

● الشــاعر الذي لا يغضبــه الباطــل ولا يهيّجه الظــلم ولا ينــفر ويستــنفر لنصــرة العدالة والحق ليس عنــدي شــاعرًا بالمعــنى العــربي الصحيــح الجميــــل

القروي

بمخمس ينضح بالتشاؤم اليائس وهو :

وقل لمن ضلوا سبيل الهدى
وضاع فيهم كل نصح سدى
يا وطني منك نفضت اليدا
فمن يحاول عنك دفع الردى
يحاول أسرا دونه المستحيل

وأغفل المخمس الذى يليه ، وكله عزم وثقة ورجاء وهو :

لا . لا . ستحيا رغم أنف الزمن
بل أنت حى رغم هذا الكفن
مادام حـر واحـد فى الوطن
فـهو بـهـذا الحر حر وإن
عاش به مليون عبـد ذليل !

وتطرق المؤلف إلى قصيدة القروى « وثبات العقول » التى نظمها وألقاها زمن العدوان الايطالى على الحبشة ، وأخذ على الشاعر قوله عن البابا .

إن يكن صاحب القداسة سفاحاً
فـمـاذا تريد من غير صاحب ؟

« وهذا يدل على تطرف فى القول تأباه النفوس .. وهل يجوز أن ينعت قداسة البابا بمثل مايزعم ؟ » وأومأ فى معرض النقد إلى أن كثيراً من أفكار القروى قد اقتبسها من تعاليم نيتشه وغيره من الغربيين .

ومما جاء فى الكتاب « ان الشاعر الياس فرحات والشاعر القروى كادا يتفقان على اتهام اللبنانيين بالذل والخنوع لأنهم لم يمتشقوا السيف ، مع أن لبنان كان بوق التحرر ورسول النهضة الأدبية والفكرية لمن حوله » .

وعلى أثر صدور هذا الكتاب انبرى الشاعر المهجرى الصديق الأستاذ جورج صيدح ــ طابت ذكراه ــ إلى تصحيح ما ورد فيه من آراء بحق القروى وفرحات ، ويؤسفنى ألا أحتفظ بمقال صيدح ، على أن القروى بنى عليه مقالا شديداً نشر فى جريدة « « الجريدة » البيروتية فصل فيه بين الحرية الوطنية السياسية التى يجاهد فى سبيلها وبين الحرية المسيحية الروحية التى يغار عليها الأستاذ وديع .

وبادر المؤلف إلى الكتابة للقروى معاتباً إياه على لهجته القاسية متمنياً لو انه عد العشرة قبل نشر المقال ، وأهدى إليه الكتاب ليبدى حكمه . وطالع القروى الكتاب ، وأعد رداً مفاضاً طبعه فى نسخ محدودة متسلسلة الأرقام وجعل عنوانه : « أدب اللامبالاة أدب الشماتة والعقوق » وخصنى بنسخة مرقومة مهداة الى « خطيب العرب . الصديق الحميم الأبر تحية المحبة الأخوية الخالصة من أخيه القروى » . وفى هذا الرد البليغ من روائع الأنفاس القروية مالايجمل بى اغفالها فى ذكرياتى هذه :

يقول القروى فى رده : « إنما نحن أحوج إلى أدب يخشاه المستعمرون لا أدب يكونون هم أول ناشريه والداعين إليه والمروجيه » « وانى بدورى أسألك : نفوس من تعنى ؟ الذين يؤلهون البطاركة والبابوات ، ويعصمونهم عن الخطأ ؟ أم الذين لا يعبدون غير الله والحقيقة ؟ وهل يجوز لقداسته فى شرع المسيحية التى يجلس على عرشها ويعتصب بتاجها ويحمل صولجانها أن يبارك مدافع لمة ومسيحية مثله أيضاً هى أمة الحبشة ؟ وإذا جاز هذا لقداسته فلماذا لا يجوز لخاطىء مثلى أن ينعته بعمله ؟ ومتى كانت تسمية الشر باسمه شراً من الشر نفسه . إن الأمة العربية واستقلالها وبقاءها لأهم عندى بكثير من رجل فرد يقيم فى عاصمة الرومان » .

« إنى فى معرض الذود عن أمتى المهددة بالفناء لا أضع شعراً أهمم به فى رؤوس الأطفال ، بل أبريه سهاماً لقلوب الطغاة المعتدين ، ولكل راض عن طغيانهم ، ساكت على اعتدائهم ، ولأجلد به ظهر كل أديب يزرع حشيش الأدب ويتاجر به ويعاطى البرىء سمه الزعاف » . « ثم لماذا تبرر غضب المسيح ولاتبرر الذين يهتدون بهديه ويحتذون مثاله ؟ لئن آذاه أن يرى بيت الله مغارة لصوص كما احتججت ، فنحن قد آذانا وأطار صوابنا أن نرى مسقط رأسه ومدفنه وكنيسته لا متجراً للخنا والسلب فقط بل ماخوراً تفعل فيه أفظع ضروب الأفاعيل كما يشهد تاريخ فلسطين الحديث ؟ » .. « واننا لنعجب كيف خطر على بالك اننا اقتبسنا

أفكارنا من تعاليم نيتشه ، أو غيره من الغربيين وعندنا المعلم الذى صاح فى وجوه فريسي زمانه : « يا أولاد الأفاعى » وأخوه (سيدنا محمد) صلى الله عليه وسلم الذى هتف بعده بستة قرون : « قل الحق وإن كان مراً » . إننا عن هذين المعلمين الأكبرين أخذنا » . « أفتطلبون من شعراء الوطنية اعتدالا وهم يطوون بين جوانحهم شعور أمة ؟ أئذا احترق صدرى عطشاً أستطيع تحديد قياس الماء الذى أصبه فى الكأس اذا كان الى الخط الذى تُزَرّ عليه الجيوب أو الذى تدور عليه القلانس ؟ وإذا لدغتنى أفعى أفأملك تعديل صيحتى لئلا توقظ النائمين ؟ الا إن الشاعر البطيء النبض : الشاعر الذى لا يغضبه الباطل ، ولايهيجه الظلم ولا ينفر ويستنفر لنصرة العدالة والحق ليس عندى شاعراً بالمعنى العربى الصحيح الجميل . إنه أدنى أن يكون ببغاء كنيسة اذا رأى قوياً يبطش بضعيف ردد قول الناصرى : حبوا بعضكم بعضاً » ولكنه لا يشعر بأقل واجب نحو أحد هذين البعضين ، الذى هشمت أنفه العصا أو فقأت عينه اللطمة أو هراقت دمه السكين . واذا تسلق هذا الأديب المتطاول جداراً أو عموداً أو كتفاً ، فإنه لا يعلو عن مستوى رسام بسيط بالحروف والقوافى يحسن رسم طاقة زهر ، أو صحن فاكهة أو زورق فى ميناء ، ولكنه أعجز من أن يصور أثباج النفوس المتلاطمة وما يدمدم فى صدور الشعوب المرهقة المتحفزة من أعاصير الآلام المبرحة والأمانى البعيدة والعواطف القوية الهائجة ، اللهم الا عواطفه وأمانيه الخاصة . إن ثروته من الشعور لا تزيد عن كفاف أنانيته الضيقة ، ولكى يستر فقره المدقع من هذا القبيل يلجأ الى خياله المثلج وينشر منه على الآفاق سحاباً جهاماً يسميه المحبة الانسانية المسيحية التى لا تعرف وطناً ولا عشيرة » .

وفى الرد المفاض : « وهل يتهم بالهوس ــ حسب تعبيرك ــ والتعصب الأعمى لوطن أو دين يا عزيزى الوديع من يخاطب علم بلاده بمثل هذه الأبيات !

إن كنتَ للحق فلتخضع لك الأمم
أو كنت للظلم لا حييتَ يا علم
انى أعيذك من مجد يغض لـه
جفن الإباء ويستحيي به الكرم
قد يحسب المرء نذلاً وهو منتصر
وقد يعد شريفاً وهو منهزم »

« إننى مثلك لا أجحد فضل وطننا الصغير الحبيب لا على البلاد العربية وحدها ، بل على كل بلاد هاجر بنوه إليها ، ولكن كل هذه الحسنات القلمية لم تغنه عندنا عن حريته التى لو ارادها فى ذلك الحين لما عدم وسيلة غير السيف يعلن فيها رغبته وحملتنا النزيهة عليه لم تكن لقعوده عن الجهاد فحسب ، بل لأنه كان بذل الانتداب راضياً ، وله طالباً وعلى من اراد تحريره منه ثائراً :

صبرنا على عيش من الذل انكد
وأنكده الا نرى العيش انكدا

وكانت مصيبة احراره به أشد من مصيبته بالمستعمرين :

ما إن ذممت غريباً يستبد به
إلا أتـانى ذم مـن أهاليه

وفى الرد : « وهذه الروح المتجلية فى أقوالى تجسمت مراراً فى أفعالى ، فإنى حين أبصرت راية الأرزة ، الأرزة البريئة من أى شعار أجنبى ترفرف لأول مرة على مطار صنبول وسمعت صدى : « كلنا للوطن » يتجاوب فى سماء مهاجرنا السحيقة طغى شعورى بالعزة القومية حتى كاد ينفجر صدرى وطفقت أبكى وأنشج كالطفل الصغير لشدة فرحى وأحسست فى تلك الساعة السعيدة أننى أستطيع أن أقبل الف اسخريوطى يحتال على صلبى ، وأن أجرف العداوات كلها بفيض العاطفة المقدسة التى غمرت قلبى ، ولقد عبرت عن هذا الشعور الطامي والروح السمحاء ببيتين من قصيدة « حال من لا اسميهم دون إلقائها فى المهرجان ، حيلولة أضافت حسكة جديدة حادة إلى أكليل الشوك الذى ماضفره لي غير اللبنانيين اخوانى ، والذى طالما أدمى جبينى وفؤادى فى سبيل حرية وطنهم وطنى وهاك البيتين :

لنمسح خطايانا بدمع سرورنا
عفا الله عما لفقته الجرائد
تعالـوا أقبلكم فلبنـان جنـة
ولا يستحق العيش فى الخلد حاقد »

وأشار إلى أن هذا ليس رداً ولا حقداً على الكاتب بالذات ، وهو صادق الوطنية طاهر النية ، بل لأن الذكرى الأليمة ضربت بعنف على أدق أوتار الحس فى نفسي فكانت عاملا على وَرْي الزناد واشعال الفتيل ، ولاشك عندى فى أن هذه النار تنزل برداً وسلاماً على كل ابراهيم وطنى حنيف ، ولا تحرق إلا كل مريب لا يشعر بهول الجريمة الكبرى ومأساة المآسى فى تواريخ الأمم قديمها وحديثها ، ولا يترجع لها عن فؤاده صدى غير هذا الصدى الرتيب المنكر : أدب اللامبالاة .. أدب الشماتة والعقوق » . « إن فى الكلمة لسراً يحيى ويميت وليس فى هذا الأدب الذى نعيره كل اهتمامنا علاج لأمة مدنفة بل هو قمين بإضعاف القوى والاجهاز على الضعيف ، وما احتج منا بالأدب الانسانى إلا كل من لا يعد قومه فى الناس ، أو كل عريض الدعوى يتطال إلى الأبعد وهو يقصر عن الأدنى ، وإنى لأعيذ كتابنا وشعراءنا اللاهين منهم بالزهور والخمور والشهوة الحمراء والمعالجين منهم كل فنون النظم والنثر ماعدا أدب الواقع المرير ، أدب الحاجة الملحة . أدب النضال الطبيعى الشرعى فى سبيل البقاء أدب الرجولة والحمية والنخوة والنجدة والتعاون على البر بالأهل والأوطان . الأدب الذى هو اليوم وحده ، دون سائر ألوانه بوق بعثنا ، وكوكب رجائنا ، وخبز كياننا ، وعماد بنياننا . إنى لأعيذ هؤلاء الأخوان العباقرة أن يحيروا التاريخ يوماً ، فى أى عصر وجدوا ومن أى أمة كانوا .. » .

وفى الواحد والعشرين من تشرين الثانى سنة ١٩٥٧ قضى شقيقى الكبير وأستاذى وملاذى عادل زعيتر الذى كان أمة وحده فيما قدم لوطنه العربى وللثقافة من خدمات تنوء بمثلها مجامع فهطلت على برقيات التعزية ورسائل التأساء وتلقيت من القروى الرسالة التالية بخط يده :

أخى كبير العقل والنفس أكرم .

بأي فلسفة أو دين أعزيك فى « عادل » ولا أعد متطفلا على فلسفتك ودينك . وكيف أبثك أساي على فقده ومثلك من يكبر شعور اخوانه فى مصابه . حتى ليحمله هما فوق همه .

حسبك من التأساء أن قلوب العرب تجتمع فى مناحته حول قلبك . وان اسمه الجميل كاسم أخيه ، يتحدى العدم ما بقى للعروبة تاريخ حافل بسير الأبطال . وشهداء المجاهدين بالأرواح والعقول .

رحمه الله وإيانا . وأمد فى عمرك النافع أمداً . ان شاء سبحانه وتعالى .

صنبول ١٩٥٨/١/٢٧

أخوك
رشيد سليم خورى

وأجبته قائلا : « آيتك أظل أتلوها . لا لتهدهد حزنى على أخي ، فمعاذ الوفاء لشقيقى وأستاذى أن أنشد سلوانا عنه ، وأن يكون رقيمك الكريم المسلاة ، ولكننى أرتلها ليسرو شجوى ، ويجمل صبرى ، ويزهر همى . والتأسية البليغة يرسلها ولى حميم ، وفهامة حميم ، وأخ قدسه (١) الله ، فانتذر على نفسه خدمة قوميتى ولغة قرآنى ، أتجاهى بها وأعدها تمجيداً لذكرى فقيدى وكفارة عن جحود الجاحدين بحقه فى حياته ، فحسبك يا أخى وشاعر قوميتى شكراناً لرائعتك أن أدعو لأمتى ولغتى بأن يمتعهما الله بطول عمرك ولنفسي أن أجتلي وجهك فى وطنك . وليحفظك الله لجمال الأدب والمروءات ولأخيك . أكرم زعيتر » .

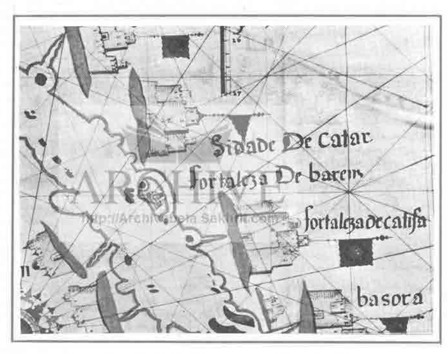
أكرم زعيتر

هامش

قدّس الله فلانا : طهره وبارك عليه .

قطر لم توجد على خريطة الدنيا باكتشاف النفط فى أحشاء أرضها فى الثلاثينات وبدء تصديره للعالم الخارجى سنة ١٩٤٩ ، بل هى قديمة قدم التاريخ ..

حديث عن قطر



خريطة رسمها لازارو لويس (١٥٦٣ م) محفوظ أصلها فى أكاديمية العلوم البرتغالية فى لشبونة ، تظهر عليها كلمة مدينة قطر بدون شبه جزيرة .. لاحظ أن شمال الخريطة إلى أسفل وجنوبها إلى أعلا ، وكذلك كان الشأن فى كل الخرائط القديمة

كان الاقليم العربى الممتد من الكويت إلى عمان ، يسمى إقليم الخط أو إقليم خارك أو بلاد البحرين ، وكانت حاضرته هجر ، التى بلغ من كثرة نخيلها وتمورها أن نعت العرب من يعرض بضاعة فى موطن إنتاجها بقولهم فى امثالهم الخالدة : فلان يحمل التمر إلى هجر ..

وإلى جانب التمور والنخيل ، فقد اشتهر هذا الإقليم ، منذ زمان قديم لم يحدده مؤرخ ، بأنواع اللآلىء والدرر التى تغنى بها شعراء العرب فى جاهليتهم الأولى واسلامهم ..

وكان الناس إبان سيطرة الأساطير على تفكيرهم يظنون أن اللآلىء تتكون فى محاراتها عندما تقع (قطرات) الندى أو مطر الوسمى فى جوف المحارات التى تطفو على السطح فاغرة أفواهها فى موسم معين من السنة . وخطأ ظنوا أن اللؤلؤة الموصوفة فى قول الراعى :

يمانيـة هوجـاء أو قطريـة
لها من شعاع الشعريين لهيب

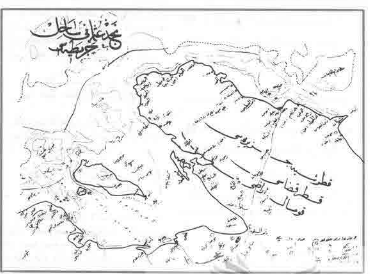
تنطق بسكون الطاء . حتى جاء العبقرى الفريد أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى (٩٧٣ — ١٠٤٨ م) ودحض فكرة انعقاد اللؤلؤ من قطرات الماء وقال بأن الطاء فى هذا البيت مفتوحة نسبة إلى قطر ..

وقطر لم توجد على خريطة الدنيا باكتشاف النفط فى احشاء أرضها فى الثلاثينات وبدء تصديره للعالم الخارجى سنة ١٩٤٩ ، بل هى قديمة قدم التاريخ ..

فمما ينقله المؤرخون عن أبيهم (هيرودوت) أن أصل الفينيقيين والسومريين من سلالة قطرية ، من شبه الجزيرة هذه القابعة وسط الخليج فى أقصى المشرق العربى .. ولعلهم تلك السلالة التى أشار إليها (بلنى) الكبير عندما ذكر فى كتابه (التاريخ الطبيعى) لمحة عن (بدو من قطر) (٦٢ — ١١٣ م) ..

ولعل أول خريطة تجد عليها اسم (قطر) هى تلك التى نقحها الهولنديون سنة ١٦٩٥ نقلا عن خريطة لبطلميوس ترجع للقرن الأول الميلادى ،

بقلم: درويش مصطفى الفار



لعل هذه الخريطة العثمانية التى ترجع إلى القرن التاسع عشر هى أول خريطة يطلق فيها اسم قطر على شبه الجزيرة كلها



هذه خريطة مستمدة من خريطة بطلميوس - القرن الأول - ويظهر فيها اسم قطر عند تقاطع الخط الرأسى المسقط م (ا) مع الخط الأفقى الموازى لنقطة (ب) على رأس خليج بارز لعله خليج سلوى ..
وهى أقدم خريطة معروفة حتى الآن عليها اسم قطر

حيث نجد كلمة (قطرا) على رأس خليج صغير لعله خليج سلوى الذى يحتضن شبه الجزيرة البرتغالى (لازارو — لويس) التى نشرها سنة القطرية من الغرب ..

ثم نجد (بلدة قطر) على خريطة البحار ١٥٦٣ م ، وعلى خريطة (فيرناى — فاز — دوارادو) التى نشرها سنة ١٥٦٨ .. ولكننا لانجد ذكرها على خريطة (ايمون بووين) سنة ١٧٥٠ ..

ومن العجب أن لا تجد (قطر) على خريطة العلامة أبى عبد الله محمد بن محمد عبد الله بن ادريس الحمودى الحسنى ، الذى أشتهر باسم (الادريسى) بينما نقرأ فى كتابه الشهير « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » الذى ألفه فى القرن الثانى الميلادى بطلب من الملك روجر الصقلى الذى استدعاه خبيراً علمياً فى بلاطه عندما كان الأوربيون يتخذون من العرب خبراء !! يقول الإدريسى فى ذكره لقطر :

« ومن جلفار إلى البحرين تأتى إلى ميناء يسمى السبخة ، حيث يوجد نبع ماء عذب ، ثم إلى شقاب ثم إلى بوار على شاطىء صعب الإجتياز وهذه الاماكن تسمى « بحر قطر » . وفى هذا البحر جزر عديدة لا تسكنها إلا الطيور من جميع الأنواع .

ويتجمع ذرق تلك الطيور فيتكون من ذلك سماد كثير ، وعندما يصبح هواء البحر مناسباً ، فإن البحارة فى القوارب يصلون إلى تلك الجزر ويحملون ذلك السماد إلى البصرة وغيرها حيث يبيعونه كسلعة غالية الثمن للزراع الذين يستعملونه هنالك فى تسميد الحدائق والبساتين » .

ولا ندرى أى الجزر القطرية يقصدها الإدريسى ، هل هى حوار أو حالول أو شراعوه أو الأسحاط أو العالية والسافلية أم غيرها ..

أما المسعودى (٩٥٦م) فيقول فى كتابه « مروج الذهب » :

« وفى مقابل الشاطىء الفارسى ، توجد على الشاطىء العربى بلاد البحرين و « جزر قطر » وسواحل بنى جذيمة وأرض عمان » .

ويشير الهمدانى (القرن العاشر) إلى مورد ماء يسمى « قطر » فى بلاد البحرين .. ويقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان (١١٧٩ — ١٢٢٩ م) ما نصه :

قطر ، بالتحريك وآخره راء . وروى عن ابن سيرين أنه كان يكره القطر ، وهو أن يزن جلة من تمر أو عدلا من المتاع أو الحب ويأخذ ما بقى من المتاع على حساب ذلك ولا يزن . وقال أبو معاذ : القطر البيع نفسه . وقال أبو عبيد : القطر نوع من البرود وأنشد :

كســـاك الحنظلى كساء صوف
وقطريـا — فـأنت بـــه تفيـد

وقال البكراوى : البرود القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة وقال خالد بن جنبة : هى حلل تعمل فى مكان لا ادرى أين هو ، وهى جياد وقد رأيتها ، وهى حمر تأتى من قبل البحرين ،

قال أبو منصور ، فى أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر وأحسب الثياب القطرية تنسب إليها . وقالوا قطرى فكسروا القاف وخففوا كما قالوا دهرى ، وقال جرير :

لدى قطـريات إذا ما تغولت
بها البيد غاولن الحزوم الفيافيا

كذا روى الأزهرى ، أراد بالقطريات نجائب نسبها إلى قطر لأن بها سوقاً لها فى قديم الدهر ، وقال الراعى فجعل النعام قطرية :

الأوب أوب نعائم قطرية
والآل آل نحائص حقب

نسب النعام إلى قطر لاتصالها بالبر ورمال يبرين ، والنعام تبيض فيها فتصاد ، وتحمل إلى قطر . ومما يصحح انها (أى قطر) بين عمان والبحرين قول عبده بن الطبيب :

تـذكـر ساداتنـا أهلكم
وخافوا عمان وخافوا قطر
وخافوا الرواطى إذ عرضت
ملاحس أولادهـن البقـر

وجاء فى لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى (٦٣٠ — ٧١١ هـ) : قال أيمن ، دخلت على عائشة (رضى الله عنها) وعليها درع قطرى ثمنه خمسة دراهم » .

وقال محمود بن أحمد الزنجانى فى تهذيب الصحاح (٥٧٣ — ٦٥٦ هـ) « وبمنطقة البحرين على سيف عمان مدينة يقال لها قطر » ، وقطرى بن الفجاءة شاعر منسوب إلى قطر ، البلد المذكور ، والفجاءة لقب أبيه جعونه بن مازن ، سمى بذلك لأنه كان باليمن فقدم على أهله فجاءة فسمى به وبقى عليه » .

هذه مقتطفات مما جاء عن قطر فى بعض كتب التراث ..

اما ما جاء به ذكر قطر فى الشعر العربى عدا ما أسلفنا فمنه قول المثقب العبدى (٥٣٥ — ٥٨٧ م) الذى يغلب على الظن أنه عاش فى قطر زمن الجاهلية الأولى ، إذ يخاطب عمرو بن هند :

وإلى عمرو وان لم آته
تجلب المدحة أو يمضى السفر
واضح الوجه كريم نجره
ملك السيف إلى بطن العشر
كل يوم كان عنا جللا
غير يوم الحنو فى جنبى قطر

● ماهو التفسير العلمي الدقيق لاسم قطر؟

● حقائق جديدة قد تلقي أضواء على القرون الغابرة

ولم تعرف بعد على ما هو الحنو وأين مكانه بالقرب من قطر .. ويقول جندل بن المثنى الطهوى يصف إبلا :

يهوين من اشجه شى الكور
من مجدل ومثقب ومنكدر
ومثلهم من بصرة إلى هجر
ومن ثنايا يمن ومن قطر
حتى أتوا خوا على بنى سفر

وقد ذكر هذا القول ياقوت فى معجم البلدان فى باب « المنكدر » .. وفى محاولة متواضعة لاستكناه احتمال اشتقاق كلمة « قطر » التى تعنى هذه البلاد نقول :

(١) قد يكون الاشتقاق راجعاً إلى « القطر » ، وهو المطر ، اذ أن شبه الجزيرة كانت أغزر مطراً فى الماضى من المنطقة المحيطة بها حتى أن بعض كبار المعمرين اليوم يؤكدون أن الناس منذ نصف قرن أو يزيد كانوا يصلون لله سائلينه كف المطر حتى لاتنهدم البيوت وتخرب المزارع لكثرة المطر !!!

(٢) قد يكون الاسم مشتقاً من « القطر » بكسر القاف وتسكين الطاء ، وهو النحاس المنصهر ، إذا استطعنا إثبات أن الناس فى قطر كانوا يصهرون خامات النحاس المستوردة من جبال عمان ، لصالح قوافل طريق تجارة التوابل والبخور التى كانت قطر عند نهاية أحد طرفيه من جنوب الجزيرة العربية .

(٣) كلمة « القطر » تعنى فيما تعنى إحراق البخور ، فلعل قطر كانت محطة لإختبار أنواع البخور قبل أن يشتريها تجار أوروبا ليحملوها إلى بلادهم عبر الأناضول وجنوب روسيا .

(٤) وتعنى كلمة « القطر » نوع البيع الذى اسلفناه من معجم البلدان ، فسميت قطر بذلك حيث كان يجرى البيع بتلك الطريقة .

(٥) الطابور من الأبل يسمى « القطار » ، ولعل اسم قطر اشتق لكثرة ما كان يصدر منها من الإبل الأصيلة والنجائب ..

(٦) و « قطر » تعنى فى لغة الضاد أيضاً حياكة الثياب وخياطتها فهل جاء الاسم للمكان الذى نعنيه من حياكة البرود القطرية الحمراء ذات الخطوط البيضاء التى اسلفنا ذكرها ؟؟

تلك مجرد محاولات لا نجزم بها ولا نؤكد صحة ما ذهبنا إليه فيها فالأمر يحتاج إلى مزيد من الدرس والاستقصاء .. تقول بياتريس دى كاردى فى كتابها « الدراسات والحفريات الاركيولوجية فى قطر حتى سنة ١٩٧٣ » :

« فى بلاد يشح فيها الماء ، الذى يشكل الإطار لشكل الحياة فإنه لا ينبغى لنا تصور العثور على آثار ضخمة . فالطبيعة القاسية فى قطر (قبل عصر النفط بالطبع) كانت الحياة تنقسم بين البادية والبحر . وهنالك بقايا مستوطنات من القرن الثامن عشر حيث توجد بقايا خزف وفخار من العراق والصين والهند قد ترجع إلى القرنين الثانى والثالث للميلاد » .

وتعتبر دى كاردى الفترة من سنة ٤٠٠٠ إلى سنة ٣٠٠ ق . م . فترة غموض تحتاج إلى دراسة فى تاريخ قطر .

وقد وجد كل من كابل (١٩٨٤) وهوكنز (١٩٨٤) فى مناطق الجساسية بالشمال الشرقى لشبه الجزيرة ، والفريحة بالشمال الغربى نقوشاً وحفائر فى الصخر ، لا نعرف مثيلا لها حتى اليوم خارج شبه جزيرة قطر ، قد تلقى ضوءاً على القرون الغابرة ، وتعطينا فكرة صحيحة عن البشر الذين عاشوا فيها عبر القرون .

ولا يظهر اسم قطر على شبه الجزيرة كلها على خريطة قبل الخريطة العثمانية فى القرن التاسع عشر .

ولعل هذا المقال فاتحة خير لاستقصاء أخبار قطر استقصاء علمياً مستفيضاً على هذه الصفحات أيضاً ..

درويش مصطفى الفار

عصـــام شـــريـــح

يهـودَ أثـيـوبـيـا : مـن أنتـم ؟! ولمـاذا تهـجرون وطنكـم إلى فلسطين المحتلة ؟!

● طائفة الفلاشا تعاني في الكيان الصهيوني من التمييز العنصري.. على الرغم من ادعاء أفرادها أنهم من نسل سليمان!

● ظاهرة الصراع الطائفي في الكيان الصهيوني تستدعي من العرب التأمل والتفكير بعمق وتركيز غير عاديين

لقد كان أمراً مثيراً بالفعل ، ان يوافق مجلس الكونجرس الأمريكي في الثاني عشر من تشرين الأول (أكتوبر) الماضي ، على تخصيص مبلغ مليونين ونصف المليون من الدولارات ، لاتفاقها على تهجير يهود أثيوبيا السود ، والمعروفين باسم « الفلاشا » ، من وطنهم الحقيقي أثيوبيا ، إلى فلسطين المحتلة .. ولكن .. صدق أو لا تصدق ، فإن هذا ما حدث بالفعل ، وهو ما يحدث لليهود السوفييت الذين يهجرون وطنهم روسيا ، للانتقال إلى فلسطين المغتصبة أو إلى دول الغرب ، حيث خصص الكونجرس الأمريكي لهؤلاء أيضا ، مبلغ اثني عشر مليوناً ونصف المليون من الدولارات !! .. انه موقف يبعث على السخرية والمرارة في آن .. ولكن من هم اليهود الفلاشا هؤلاء ؟؟! .. ولماذ يجرى التركيز حالياً على تهجيرهم إلى فلسطين المحتلة ؟؟! .. أسئلة ، وأسئلة .. ولكن دعونا نبدأ الحكاية من أولها ..

الفلاشـــا

يعيش في أثيوبيا حالياً حوالي ثمانية وعشرون ألف يهودي ، يقطنون مجموعة من القرى ، تتركز حول العاصمة الامبراطورية السابقة « غوندار » الواقعة على بعد سبعمائة كيلومتر ، إلى الشمال من العاصمة الحالية « أديس أبابا » . وأهم هذه القرى هي : واليكا — أمبوبر — تيدا ، ولهؤلاء اليهود كنيس واحد للعبادة موجود في قرية واليكا .

ويعرف يهود أثيوبيا ، أو يهود الحبشة ، باسم « فلاشا » Flasha ، ومعناها « المهاجر أو الغريب الذي يهيم على وجهه ، أو يدخل أرض غيره من الشعوب عنوة » ، كما يطلق يهود أثيوبيا على أنفسهم اسم « بني اسرائيل » الحقيقيين ، لأنهم كما يزعمون ، ينحدرون من سلالة ملك اليهود القديم : سليمان .

أما الشخصية البارزة بينهم حالياً في اثيوبيا نفسها ، فهو المدعو حبيبي بيرهانو ، كما تلفظ باللغة الأمهرية ، أما باللغة العبرية ، فإن اسم هذا الشخص هو « يير بن يوري » Yair Ben Uri . ولا يوجد بين يهود أثيوبيا حاخامات ، بل كهنة ، والكاهن الحالي يقيم في قرية أمبوبر ، وهو المدعو روفائيل أدانا ، وقد قدم هذا الكاهن اليهودي الأثيوبي نفسه لمراسل وكالة رويتر « بيرنرد إدنجر » الذي زار المنطقة في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٨٢ ، على أنه والد « يوسف آدانا » ، زعيم طائفة الفلاشا في « اسرائيل » .

أصل الفلاشا

ان قول اليهود الأثيوبيين بأنهم أحفاد سليمان ، هو مجرد زعم لا يمت إلى الحقيقة بصلة ، ومع أن هناك نظريات متعددة حول أصلهم ، فان أقربها إلى الواقع وأدناها إلى الفهم والعقل ، هي النظرية القائلة ، بأنهم أحباش أو أثيوبيون تهودوا وأن العناصر اليهودية الطارئة كانت قليلة ، وقد دخلت أراضي الحبشة مع الهجرات العربية قبل الميلاد ، وخاصة من جنوب الجزيرة العربية ، حيث انتشر الدين اليهودي بين بعض القبائل العربية قبل الاسلام . وتذكر بعض المصادر ، أن الاسرائيليين القدماء الذين اغتصبوا أرض كنعان (فلسطين) ، كان لهم نشاط تجاري في البحر الأحمر إبان تلك الحقبة التاريخية ، وقد وصلت سفنهم إلى بعض موانيء البحر الأحمر من الشاطيء الأفريقي الشرقي ، للبحث عن الذهب ، وربما كان هذا النشاط اليهودي عاملا من عوامل تعزيز الديانة اليهودية في بلاد الحبشة ، بيد أن

يهود أثيوبيا : من أنتم ؟!

عدد اليهود الذى لم يتجاوز الستين (٦٠) ألفاً فى مطلع القرن الحالي ، والذين لا يتجاوز عددهم ثمانية وعشرين ألفاً حالياً ، من أصل ثلاثين مليون أثيوبى ، لا يوحي بأن الديانة اليهودية قد انتشرت فعلا وبشكل ملفت للنظر فى أثيوبيا أو الحبشة كما كان يسميها العرب . وقد حافظ اليهود الأثيوبيون على عقيدتهم الدينية ، ولم يختلطوا كثيراً بالأجناس الأخرى ، لأن أثيوبيا هى « متحف الشعوب » كما يسميها بعض علماء الأنثروبولوجيا . حيث تحافظ كل وحدة عنصرية من الساميين إلى الحاميين ، على نقائها الدموى وصفائها السلالي ما أمكنها ذلك ، ويشير « ايرنست لوثر » فى كتابه « أثيوبيا اليوم » ، إلى تعدد الأجناس واللغات والممالك والعصبيات فى تلك البلاد ، وهو ما حدا بالعرب إلى إطلاق اسم الحبشة عليها ، ومعناها البلاد ذات الأجناس المتعددة ، أو البلاد ذات الخليط من الأجناس ، وهو ما دفع بحكام أثيوبيا اليوم ، إلى إلغاء اسم الحبشة ، والأخذ باسم « أثيوبيا » ومعناها الوجه المحروق » .

أسطورة سليمان وماكيدا

أما بالنسبة لمزاعم اليهود الفلاشا ، من أنهم أحفاد سليمان ، فإن ذلك نابع من أسطورة سليمان وملكة سبأ .

ويدور سيناريو هذه الأسطورة ، حول ملكة سبأ المزعومة ، والتى يسمونها باسم « ماكيدا » ، ويقولون بأنها كانت تحكم فى أراضي إقليم إريتريا ، ويقول الأحباش ، إن هذه الملكة ، هى نفسها التى اطلق عليها العرب اسم الملكة بلقيس . وتشير الأسطورة إلى أن سليمان ملك اليهود القديم ، استقبل الملكة « ماكيدا » هذه فى القدس المحتلة حوالى عام ألف قبل الميلاد . ويروى « فتحي غيث » فى كتابه « الاسلام والحبشة عبر التاريخ » ، أن كثيراً من المراجع القديمة ، روت ما حدث بين ماكيدا أو بلقيس والملك اليهودى سليمان ، من مناورات انتهت بزواجهما ، وأن هذا الزواج قد أسفر عن إنجابهما ولداً أطلقا عليه اسم منليك ، وتقول الأسطورة ، ان بلقيس أرسلت ابنها المزعوم منليك بعد أن أصبح شاباً ، إلى والده سليمان ، الذى فرح به وجعله ملكاً على الحبشة ، وتشير مصادر أخرى إلى أن منليك عاد من بيت المقدس مع عدد من أنصاره اليهود إلى أمه بلقيس فى إريتريا ، حيث فرحت هذه به ، وتنازلت له عن العرش ، وتوجته ملكاً بدلا منها .

بيد أن ما يثير العجب فى هذه الأسطورة ، التى أصبحت جزءاً من المعتقدات الحبشية ، أنه تم تسجيلها فى كتاب « مجد الملوك » الذى يقدسه الأثيوبيون ، وقد عمد واضع هذا الكتاب إلى الاعتماد على بعض القصص والأساطير اليهودية الواردة فى التوراة (المحرفة) ، ويقول « ادوارد ألندورف » ، فى كتابه « الأثيوبيون » : « ان أسطورة سليمان وماكيدا ، كانت خلال عصور متطاولة ، مجالا للمبالغات والاضافات الخيالية فى الحبشة وغير الحبشة ، ولابد أيضاً أن تكون مختلف القصص والأساطير ، وقد انصهرت مع بعضها البعض ، على تلك الصورة المتواترة ، وعندما جاء أوان تسجيلها فى القرن الثالث عشر ، غلبت على الكاتب رغبته فى تأييد دعوى الأسرة السليمانية الحديثة العهد بالسلطة فى الحبشة ، والتمكين لها فيما تطمع فيه من قوة ومنعة ، وكانت مهمة المؤلف « نيبورا أديشاق » Nebura Ed Yeshag ، أقرب الى تسجيل أساطير متواترة منذ أمد تحليلها أو إمعان التفكير فيها ، من أجل استخلاص حقيقتها » ، وبمعنى آخر ، فإن أسطورة سليمان وماكيدا هذه ، التى يتمسك بها يهود أثيوبيا ، لاثبات مزاعمهم حول انتمائهم إلى اليهود القدماء الذين اغتصبوا أرض الكنعانيين العرب ، إنما نشأت فى القرن الثالث عشر ، لتثبيت أقدام الأسر المالكة فى أثيوبيا ، التى أخذت تفخر بأن أصلها يعود فى تسلسله إلى سليمان ملك اليهود ، وهذا الأمر إن دل على شيء ، فعلى افتقار المجتمع الفسيفسائي فى الحبشة « متحف الشعوب » ، إلى تاريخ حقيقى يعتد به . وان مما لاشك فيه أن أسطورة سليمان وماكيدا ، كانت وراء اللقب الذى كان آخر ملك حكم الحبشة قبل الانقلاب العسكرى الذى أطاح بعرش الامبراطور هيلاسي لاسي فى عام ١٩٧٤ ، حيث كان النجاشي هيلاسي لاسي يلقب نفسه « بأسد يهوذا » .

وضع الفلاشا فى الكيان الصهيوني

فى أواخر شباط (فبراير) الماضى ، عثرت الشرطة الاسرائيلية ، على جثة يهودي فلاشي يدعى بيرهاني بادهانا (٣٤ عاماً) ، مشنوقاً على شجرة فى الحديقة العامة ببلدة عسقلان الساحلية فى جنوب فلسطين المحتلة . وقد كشف حادث الانتحار هذا بوضوح ، الظروف المأساوية التى يعيش فيها يهود أثيوبيا ، المهاجرون إلى الكيان الصهيوني ، والذين غررت بهم الدعايات والأكاذيب الصهيونية ، كما كشفت هذه الحادثة عن خيبة الأمل التى أصابت غالبية اليهود الفلاشا فى « أرض الميعاد » المزعومة ، وكان بيرهاني ، الذى وصل إلى فلسطين المحتلة فى عام ١٩٧٨ ، ما يزال يعيش قبل إقدامه على الانتحار ، فى أحد مراكز استيعاب المهاجرين اليهود ، وقد تم العثور فى حجرته على رسالة مقتضبة ، مكتوبة بلغة عبرية رديئة ، وفيها يقول : إنه قرر الانتحار « لأن الحياة قاسية للغاية فى اسرائيل ، ولأنه لم يجد له عملا » ، وفى الواقع فإن اليهود الفلاشا الذين لا يتعدى عددهم فى الكيان الصهيوني عشرة آلاف شخص ، والذين بدأوا بالهجرة إلى فلسطين ، فى أعقاب اغتصابها على يد الصهاينة فى عام ١٩٤٨ ، يواجهون تمييزاً عنصرياً بشكل لا مثيل له من اليهود الآخرين ، بسبب لونهم الأسود وما يوصف بتخلفهم الاجتماعى والثقافي والحضارى ، فقد شخص أحد اليهود الغربيين (البيض) واسمه « رفاي أيال » ، وضع اليهود الفلاشا فى « اسرائيل » ، بقوله : « ان اندماجهم فى « المجتمع الاسرائيلى » ، يطرح مشكلات ضخمة للغاية » ، ويضيف : « انهم إخواننا ، ولكنهم يصلون من الأحراش الأثيوبية التى عاشوا فيها ، وسط ظروف من الفقر المدقع ، وهم يجهلون تماما ما هو الباب والنافذة ، أو الشوكة والملعقة ، أو حتى الكهرباء وأبسط القواعد الصحية » .

وقد جاهر زعماء طائفة الفلاشا ، بما يلقونه من تمييز عنصرى ، وذلك فى اجتماع عقده وزير التعليم الاسرائيلى رفولون هامر مؤخراً مع هؤلاء ، الذين أبلغوه أن نظريتهم فى الصهيونية ، مبنية على أساس مجيء « المسيح المنتظر » (اليهود ينكرون كون عيسى بن مريم هو المسيح وينتظرون مجيء مسيح من اليهود على حد ادعائهم) ، وأنهم لا يريدون سوى العيش فى القدس انتظاراً لمجيء « المسيح المنتظر أو مخلص الشعب اليهودى » ، وقالوا للوزير الاسرائيلى بصريح العبارة ، إنهم يتعرضون للتفرقة العنصرية من اليهود الآخرين بسبب لونهم الأسود .

وهناك صورة أخرى تفضح واقع التمييز العنصرى الذى يواجهه يهود أثيوبيا فى « كيان الشعب المختار ! ! » ، فقبل بضعة شهور ، تسلح سكان أحد الأحياء بمدينة صفد الواقعة بمنطقة الجليل الأعلى بشمال فلسطين المحتلة ، تسلحوا بالعصي والهراوات ، للاحتجاج بالقوة والعنف ، ضد إسكان بضع عشرات من أسر طائفة الفلاشا ، الذين خصصت لهم السلطات الاسرائيلية ، مجموعة من المباني السكنية بالقرب من هذا



مركز هجرة لليهود «الفلاشا» في اثيوبيا

الحي . وقد برر «موشي روز نسفايج» الذى كان يقود المعارضة لاسكان اليهود الفلاشا بمدينة صفد ، برر معارضته هذه بقوله : «إننا لا نريدهم ، حتى ولو كانت الحاخامية تعترف بأنهم يهود» وأضاف : متسائلا : «هل رأى أحد يهوداً سوداً من قبل ؟ . ثم إنهم يعبدون ملكة سبأ» .

وتقول المرشدة الاجتماعية الاسرائيلية «أهوفا الكوبي» ، التى عملت لفترة فى رعاية سبعين أسرة ومائة وثمانين طفلا من اليهود الأثيوبيين فى بلدة عسقلان الساحلية ، إنها أصيبت بالرعب منهم ، حيث لم تكن تعرف كيف تتصرف معهم ، فهم لا يريدون لبس الأحذية ، ولا يعرفون كيفية استخدام الأواني المنزلية ، وتصفهم بأنهم متأخرون عشرين قرناً عن اليهود الآخرين . وأنهم يصابون بصدمة ثقافية لدى وصولهم إلى فلسطين المحتلة .

وقد عبر أحد اليهود الأثيوبيين عن واقع التمييز العنصرى ، الذى يلاقيه أبناء طائفته ، فقد قال «يهودا بن سالومون» وهو يعطي صورة عن استيائه من مصيره فى الكيان الصهيوني : «إن أصعب ما واجهني لدى وصولى إلى «اسرائيل» ، هو ادراكي للوني الأسود ، الذى لم أقم له وزناً من قبل» .

ومن المهازل التى واجهها اليهود الفلاشا أن اخوانهم اليهود البيض قد فرضوا حظراً قاسياً على الزواج المختلط بينهم وبين الفلاشيين والفلاشيات ، مما دفع بأحد الفلاشيين إلى القول بعد أن رفضوا زواجه من فتاة يهودية من غير طائفته : «لقد رفضت فى الحبشة ، لكوني يهودياً ، وهأنذا أرفض هنا فى «اسرائيل» مع أنني يهودي !!» .

ومن المهازل أيضاً ، أن الحاخامية فى «اسرائيل» ، رفضت الاعتراف باليهود الفلاشا لأكثر من عشرين عاماً ، ولم تصدر فتواها بأن الفلاشا هم يهود ، وانهم ينحدرون من أحد الأسباط (القبائل) العشرة المفقودة ، إلا فى مطلع السبعينيات . وقد قالت الحاخامية فى تلك الفتوى ، إن بإمكان اليهود الفلاشا ، الإقامة فى «اسرائيل» بموجب هذه الفتوى ، واستناداً إلى ما يسمى «بقانون العودة» .

أسباب قبولهم

إن من الثابت ، أن اليهود الفلاشا ، هم أحباش تهودوا ، فى ظروف تاريخية معينة ، ويستدل علماء الأنثروبولوجيا على ذلك بالتشابه ، بل بالتطابق فى الصفات الجسمانية واللون وغير ذلك ، بين الفلاشا ومواطنيهم الأثيوبيين من مسيحيين ومسلمين ، وهذا الواقع بحد ذاته ، كاف لاسقاط مزاعم الحركة الصهيونية ، حول نقاء الدم اليهودي ، واعتبار اليهود عنصراً واحداً بصرف النظر عن أوطانهم المختلفة .

ويهود أثيوبيا إلى ذلك ، يتكلمون باللغات الأفريقية السائدة فى بلادهم ، وتقتصر معرفتهم باللغة العبرية ، على بضع عبارات وكلمات ، والتوراة التى بحوزتهم ، مكتوبة باللغة الجعجزية — وهى لغة سامية ، انتقلت إلى الحبشة ، مع زحف القبائل العربية من جنوب الجزيرة العربية إلى الحبشة على مدى أجيال متباعدة فى موجات متعاقبة ، ومعها دخلت لغاتها ولهجاتها التى كان أقدمها شيوعا لغة الجعيز ، وهذه التسمية موروثة من قبيلة يمانية يدعى أفرادها «الأجاعز» ويضاف إلى ما تقدم أن الفلاشا لا يعرفون شيئاً عن الكتب اليهودية الدينية الأخرى مثل التلمود ، كما أنهم أصبحوا فى السنوات الأخيرة يشكلون مشكلة عنصرية فى الكيان الصهيوني ، تضاف إلى المشاكل الطائفية والعنصرية الأخرى بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين .

وازاء ذلك كله ، يطرح سؤال هو : لماذ تسمح سلطات العدو الصهيوني ، بل وتسعى بكل ما أوتيت من جهد ، لتهجير هؤلاء اليهود الأثيوبيين من وطنهم الأصلي والحقيقي إلى فلسطين المحتلة ؟!

فى الواقع ، سيطر التردد على السلطات الاسرائيلية فى الستينيات والسبعينيات ، حول تهجير اليهود الفلاشا من أثيوبيا إلى فلسطين المحتلة ، بسبب المشكلة العنصرية التى بدأت بالبروز مع قدوم أول فوج من هؤلاء فى مطلع الخمسينيات ، حيث كان هؤلاء يمثلون جيشاً من الأميين القادمين من مجتمعات رعوية وزراعية شبه بدائية . بيد أن سلطات العدو غيرت رأيها ، وخرجت من ترددها ، وبذلت وما تزال تبذل أقصى جهودها لاستقدام اليهود الفلاشا إلى الكيان الصهيوني ، وذلك لسببين :

الأول : هو نضوب مصادر الهجرة اليهودية ، بل وتحول معظم المهاجرين السوفييت إلى الغرب سواء إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو دول أوروبا الغربية ، وعزوفهم عن الهجرة إلى «اسرائيل» .

والثاني : هو حاجة «اسرائيل» إلى جنود وعمال ، حيث يتم إسكان اليهود الأثيوبيين فى المستوطنات الحدودية فى الضفة الغربية أو فى قطاع غزة المحتلين ، وحيث تشكل هذه المستوطنات حزاماً أمنياً ، يقوم على حراسة اليهود البيض ، المنحدرين من أصول أوروبية ، والذين تتركز كثافتهم فى المدن والمستوطنات الداخلية ، من جهة . وحيث تكون مهمة هذه المستوطنات التى يقيم فيها الفلاشا وغيرهم من اليهود السود والشرقيين ، امتصاص الصدمة الأولى ، فى حال قيام العرب بهجوم على «اسرائيل» ، يضاف إلى ذلك أن اليهود السود والشرقيين بشكل عام السفاراديم يمكن استخدامهم فى الأعمال اليدوية ، التى يأنف اليهود الغربيون (الاشكناز) من العمل فيها .

وعلى أية حال ، فإن مشكلة اليهود الفلاشا فى الكيان الصهيوني ، هى دليل اضافي على استفحال أزمة الصهيونية ، التى تشكل النعرات العنصرية جوهر مبادئها وعقيدتها ، وهذه المشكلة ، التى هى جزء من أزمة حقيقية أخذت تضغط على عنق الكيان الصهيوني مؤخرا ، ألا وهى أزمة الصراع الطائفي فى «اسرائيل» ، نقول إن هذه المشكلة ، تستدعي منا نحن العرب ، التأمل والتفكير .. وبعمق وتركيز غير عاديين .

عصام شريح





بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

قال لي أبو البهاء عند مالقيته آخر مرة . وفي لهجته بعض الجفاء :
ـ قرأت الفصول التي ما تزال تكتبها عني ... وأراك زدتها بعض الشيء .
سألته : زدتها بماذا ؟
قال : خلقت مني شبه أسطورة ... كأني اللص الشريف الذى يسلب الأغنياء ليطعم الفقراء ، أو الذى يعرض نفسه للخطر لينتصف للضعفاء من الظالمين

فابتسمت للهجته الجافية وقلت : حتى اذا لم يكن فيك شيء من خصال اللص الشريف . فما أظن مقارنتك به تزعجك .

قال : بلى : إنها تزعجني . أمس جاءني شخص لا أعرفه مدفوعا بهذا الذى أدعته عني وصورتني به . جاء يرجوني كي أتدخل في حل مشكلة له منزلية : حماته التى أتته زائرة لأيام قليلة ، استمرأت الاقامة عنده ، فانتهى الشهر ولم تفارقه . طلب مني أن أجد له طريقة يرحلها بها من داره دون أن يكون في الترحيل مايشي بضيقه من إقامتها أو مايثير نقمة زوجته عليه .

ضحكت وقلت : يمكنك بهذا أن تفتح مكتبا لترحيل الحموات من منازل الأصهار ، ولحل المشاكل المشابهة . وهل لبيت رجاء الرجل ؟

قال : لم أفعل . قلت له إني لو أردت التدخل بواحد من فصولى لجعلته هو ، الصهر ، ضحية الفصل . الأصهار هم المسؤولون عن العداء التقليدى بين الزوج وأم زوجته . وأنا رجل أحب كل الحموات لأنى أحب حماتى وهى تحبنى ، ولا مانع عندى لو بقيت في منزلى قدر ماتشاء .

قلت : عاطفتك مشكورة يا أبا البهاء ، وسأتطوع لأبلغها السيدة أم زوجتك في أول ما ألقاها .

قال : بعد عمر طويل ، فهي قد سكنت المقبرة الشرقية منذ عدة سنوات . ليس هذا المهم . المهم أنى لست الرجل النزيه المتجرد الذى تصوره فيما تكتبه عني .

قلت : ماذا تعني ؟

قال : بعض فصولى لم أقم بها الا لفائدتى الشخصية ، وما باليت إن كان ضحاياها أبرياء لايستحقون ما أنزلته بهم .

فسألته . وأنا أتوقع أن عنده حكاية يريد أن يفضي بها الي : مثلا ؟

قال : مثل فصلى مع السيد عبد الهادى والشيخ صادق . انسانان كانا في عسر مادي يبحثان عن فرج له ، ولم أرحمهما حين لقيتهما . لقد كنت أنا كذلك في عسر مادي آنذاك .

قلت : أما تروى لي فصلك معهما ؟

أجاب . سأرويه لك ، لا لأتبجح أمامك بلطف حيلتى فيما أريده ، بل لتعلم أن لى مثل غيرى معايبى المعدودة .

قلت : كفى المرء نبلا أن تعد معايبه ، هكذا قال الأقدمون . تفضل واخبرني بفصلك هذا الذى لم يبلغ علمي قبلا .

فهز رأسه كأنما يستجيب لي كارها ، ومضى يقص على الفصل .

* * *

قال :

ـ حدث هذا في أيام العسر كما ذكرت لك . كنت في فترة إفلاس حاد حين رأيت ، في مساء يوم من تلك الأيام ، صديقي المزارع سليمان الذى كان قادما لتوه من بلدته . سألنى عن حالى فأخبرته أن الجيب خاو حتى من ثمن علبة دخان ، وأنى فوق ذلك ، في تلك اللحظة ، جوعان . وأضفت أقول : لابد أنك جائع مثلى : فتعال نتعش معا ، وعلى حسابك . ضحك سليمان وجرنى من موقفنا الى زاوية قريبة وقال :

ـ أنا على موعد . ولكنى أدلك على من يدعوك الى العشاء ، ويشترى لك علبة السكاير التى تشتهيها ، واذا أحسنت التصرف تستطيع أن تضمن لنفسك معه ترف يومين أو ثلاثة .

فسألته : ومن هذا الكريم الذى يتكفل لي بكل هذا ؟

فأشار بيده الى المقهى القريب ، والى رجلين في ثياب بدوية على إحدى طاولاته ، منكبين على أوراق أمامهما ، وقال :

ـ هذان رجلان من جماعتنا ، السيد عبد الهادي والشيخ صادق . إنهما ، مثل كل أهل بلدتنا .. غفل ولكنهم طيبون . وهما في أزمة ربما استطعت أنت أن تحلها لهما وتقبض أجرك .

سألته : أي أزمة ؟

أجاب : أزمتنا جميعا نحن مزارعي القطن . أستحقت علينا ديون للبنوك وموسمنا في هذا العام تأخر قطافه ، فجئنا نبحث في مدينتك الكبيرة عمن نبيعه قطننا سلفا . ليس أمامنا غير أصحاب الخانات من التجار الجشعين . إنهم مستعدون أن يدفعوا لنا نقدا اليوم ثمن القطن الذى نسلمهم إياه بعد شهر ، ولكن بسعر يقل كثيرا عن سعره الحقيقي . هذا سبيلنا الوحيد لتسديد الديون المستحقة علينا الآن .

قلت لسليمان : وما شأني أنا بكل هذا ؟

قال : أعطيتك رأس الخيط ، ولك أنت أن تتصرف بما تشاء . سأتركك لئلا تقع أعينهما على معك فتفسد طبختك ، اذا أردت أن تطبخ شيئا .

ولم ألبث في مكاني طويلا بعد أن انصرف صاحبي . دخلت المقهى وجلت بين موائده وأنا أدير النظر ، كمن يبحث عن شخص بعينه ، حتى وقفت على الطاولة التى جلس حولها الرجلان المشار اليهما . كانا منصرفين الى تقليب الأوراق بين يديهما ويتجادلان بصوت مسموع . ولما انتبها الى قيامي بجوارهما ورفعا رأسيهما الي بادرتهما بالسؤال قائلا :

ـ أظنكما من بلد السيد سليمان الحاج أحمد ، وتعرفانه .

قال أحدهما : من أدراك بهذا ؟

قلت : لهجتكما مثل لهجته وبلدكما صغير ، فلا بد أن تكون لكما به معرفة .

فرد الآخر قائلا : تقديرك في محله . لماذا تقف هكذا ؟ تفضل واجلس معنا . ماذا تريد من سليمان ؟

فتظاهرت بالتردد قبل أن آخذ مجلسي الى جانبهما وأجيب على السؤال بقولي :

ـ إني أريد خيره وهو يتهرب . عندى له مشروع يجني منه الخير الكثير . لو كنت أعرف أحدا من بلدتكما غيره لصرفت اليه المشروع واسترحت .

قال الذى اسمه الشيخ صادق ، كما عرفاني بنفسيهما بعد ذلك :

ـ إن كان الأمر يتعلق ببلدتنا فنحن أبناؤها . تستطيع أن نفيدك بما يفيدك به سليمان الحاج أحمد وأكثر منه .

قلت : لعلها ساعة مباركة التي جمعتني بكما . هل سمعتما باليونيسكو ؟

فتلاحظ الرجلان فيما بينهما دون أن يجيبا . كانا يعرفان القراءة والكتابة دون شك ، ماداما يتدارسان الأوراق المبسوطة أمامهما . الا أن مظهرهما لم يكن ينم على أن معرفتهما تصل الى العلم بأسماء المؤسسات الدولية ومهماتها ، في ذلك الزمن البعيد حين لم يكن اسم اليونيسكو على كل لسان . وتابعت أنا سؤالي بقولي :

ـ اليونيسكو واليونيسيف والوهو ، أعني الوورلد هيلث اورغا نيزيشن ؟

فبدا على الرجلين أن حيرتهما ازدادت بسماع هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها عندهما من سلطان . ومد لي أحدهما يده بعلبة سكائره فأزحتها عني بترفع وقلت :

ـ لي سكائري الخاصة التي لا أغيرها .

وتظاهرت بأني أبحث عن علبة لفائفي في جيبي وأضفت : يظهر أني نسيتها في المنزل . لا بأس . سيمر البائع وأشترى غيرها . أعود الى اليونيسكو . إنها مؤسسة عالمية ذات رأسمال كبير ، بالملايين ... لا ملايين ليراتنا الهزيلة ، بل ملايين الدولارات . وهي تبحث عن أعضاء لها في العالم الثالث ، أعني في مناطقنا . أنا معاون مندوبها الأمريكي في الشرق الأوسط . سجلنا ما يكفينا من أعضاء في كل المناطق الا منطقة واديكم التى نحتاج فيها الى عدد من المنتسبين أقله خمسة آلاف وأكثره عشرة آلاف . صاحبنا سليمان الحاج أحمد تعهد بأن يسجل لى هذا العدد . ليس مجانا ، بل بالأجر . ولكن الرجل رفس نعمته ، وها أنا أبحث عنه منذ يومين ولا أجده .

وهنا سألني السيد عبد الهادى بفضول : وكم تدفعون لسليمان على هذا ؟

قلت : ندفع على الاسم المسجل . ليس مبلغا كبيرا ، ولكنه مع الكثرة يصبح مقبولا ... عشر ليرات عن كل اسم .

وتلاحظ الرجلان مرة أخرى ، ولكن بحدة ممزوجة بالاستغراب ، وقال الشيخ صادق بلهفة :

ـ عشر ليرات عن كل اسم .. وعشرة آلاف اسم ؟ ماهى شروط التسجيل ، وكيف يكون الدفع ؟

فتشاغلت مرة أخرى بالبحث عن علبة دخاني الموهومة في جيبي ، ثم قلت :

ـ الصحيح أني لا أستطيع الكلام اذا لم اشعل سيكارة . اين هذا البائع اللعون ؟

قال السيد عبد الهادى : انه هناك قرب المدخل . قل لي ماهو نوع سيكاراتك لأحضر لك علبة منها . لا والله .. لاتمد يدك الى جيبك ، فلن تدفع أنت ثمنها . أنت ضيفنا يا ... يا ...

قلت مستدركا : لا تؤاخذني ... لم أعرفكما بعد بنفسي . أنا جورج ب . سمعان ، معاون المدير العام المستر غولد سميث ، مندوب منظمة اليونيسكو العالمية الى البلاد النامية في الشرق الأوسط ...

وكان أول القطر أن دخلت جيبي علبة السكاير التى اخترتها من أغلى صنف . وبعد أن أشعلت أول سيكارة أجبت على استفهام صاحبي عن التسجيل وطريقة الدفع بأن ذلك يكون على مرحلتين . المرحلة الأولى : مرحلة تسجيل الأسماء في قوائم خاصة ، وعند تسلمي تلك القوائم كاملة يجرى دفع ربع المبلغ . أما المرحلة الثانية : فتكون بتوقيع أصحاب الأسماء شخصيا كل حذاء اسمه في القوائم ، مع بيان قيد نفوسه في سجل الأحوال المدنية ووضع خاتم الادارة الرسمية المسؤولة عن هذا القيد ، وعند تمامها تدفع بقية العمولة . وأضفت :

ـ هذه هي النعمة التى رفسها سليمان الحاج أحمد برجله ، وفي نفس الوقت أساء الى بتأخيرى عن إنجاز مهمتي في الفترة المحددة لها .

قال الشيخ صادق بحماس : ولا يهمك يا أستاذ جورج . من يكون سليمان الحاج احمد ؟ معرفته بأهل منطقتنا لن تساعده بأن يأتيك بأكثر من مائتى اسم . اذا كنت مضطرا فاني والسيد عبد الهادى قادران على أن نأتيك بالآلاف العشرة من الأسماء كاملة .

فتساءلت ، بلهجة الشاك : مرفقة بالتوقيع وقيد النفوس والخاتم الرسمى ؟

قال الاثنان معا : نعم . مرفقة بالتواقيع وقيد النفوس والخاتم الرسمى !

فتصنعت الابتهاج بما سمعت وقلت : لا أكاد أصدق . ولكن يبدو عليكما أنكما رجلان جادان ، ولستما كالخبيث سليمان ...

ثم سكت لحظة قبل أن أضيف : أرجو أن تعذراني الآن . حان موعد عشائى ، وليس من عادتى أن أتأخر فيه . نلتقى غدا في هذا المكان ، الساعة التاسعة صباحا ، لنتم ترتيباتنا في الموضوع . عليكما أن تراجعا نفسيكما وتعلما أننا لانقبل بأقل من خمسة آلاف اسم ، ولا ندفع أكثر من عشر ليرات عن كل اسم .

وتلاحظ صاحباي من جديد قبل أن يقول أحدهما : ولماذا غدا ؟ أنا وابن عمي نرجوك أن تقبل دعوتنا للعشاء . نستطيع أن نتم حديثنا على



المائدة ، وخير البر عاجله كما يقول المثل .

وتناولت عشائي مع السيد عبد الهادى والشيخ صادق فى مطعم تركا لي اختياره ، فانتقيته بين المطاعم المتوسطة عن عمد . وحسنا فعلت . ففى الساعتين اللتين قضيتهما فى صحبة هذين السيدين علمت كثيرا عن الأزمة التى ألمح لى بطرف منها صديقى سليمان الحاج أحمد ، والتى كان واقعا فيها كل مزارعى القطن فى منطقته ومنطقتهما . وعلى الرغم من تظاهرهما أمامي بيسر الحال فان تصرفاتهما وبعضا من أحاديثهما دلتني على أنهما من ناحية خواء الجيب لا يبعدان عنى كثيرا فى الحاضر ، وأنهما مرشحان لما هو أسوأ فى المستقبل . قال الشيخ صادق :

ــ تصور يا أستاذ جورج .. هذا الرجل الذى اسمه الحاج عادل ، والذى له خانه الكبير فى محلة باب الحديد ! لقاء سلفة من الليرات لاتكاد تكفى نفقات يومين فى هذه المدينة ، طلب منا أن نوقع تعهداً بتسليمه طنين من القطن عند القطاف . أعنى بعد شهر واحد ، فى حين ان ثمن الطنين يبلغ ضعف هذه السلفة . لما احتججنا وقلنا له إن هذا ربا مضاعف ، لايرضى به رب العالمين ، عنفنا وقال إننا ننسى أنه حج الى البيت العتيق وأنه طاف حول الكعبة سبعة أشواط متتالية وهو يسأل الله أن لايدخل فى جوفه مقدار خردلة من المال الحرام ! ثم أضاف ان الربا هو أن يأخذ الانسان فائدة على المال من جنسه ، أما هذه فعملية شراء أحلها الله والشرع . وقعنا ، ياسيدى ، وقبضنا ... كنا فى حاجة الى السلفة ريثما نهتدى الى من يعطينا بفائدة أقل من فائدة الحاج عادل ، وربما بأكثر منها ، سلفة ننقذ بها أنفسنا من تهديد البنوك لنا بحجز أموالنا المنقولة وغير المنقولة ... ويفرجها ربنا على كل حال !

وزاد السيد عبد الهادى على حديث رفيقه بتفصيلات وتعليقات أحزنتنى وقطعت قلبى شفقة على جليسي هذين وعلى أمثالهما من ضحايا سوء موسم القطن هذا العام . كدت أندم على ما ابتززته منهما فى هذه الليلة ، الا انى عزيت نفسى بقولى لهما إنى على كل حال أرأف بهما من الحاج عادل وأمثاله ، وانى لقاء علبة لفائف وعشاء بسيط سقت اليهما أملا سيملأ ليلتهما أحلاما جميلة . وافترقنا لموعد عند ظهر اليوم التالى ، على أن أحضر لهما أوراقا معدة لملئها بأسماء المرشحين للانتساب الى اليونيسكو ، وعلى أن يكون اللقاء فى بهو فندق بارون الذى كان أفخم فنادق المدينة فى ذلك الحين .

هل تظننى تهربت من لقاء هذين الرجلين الطيبين فى اليوم التالى ؟ ليس التراجع من عادتى فى هذه الأمور ، لاسيما ان صاحبي الماكر سليمان أغرانى فى ما يشبه التحدى بأن أعيش يومين أو ثلاثة على حسابهما . كان موظفو فندق بارون يعرفوننى حق المعرفة ، فلم يعجزنى أن ألقنهم مايفعلونه اذا سألهم سائلان يرتديان الثياب البدوية عن المدعو جورج ب . سمعان . ولا أطيل عليك . لولا أحاديث الليلة البارحة ، التى كسرت قلبى ، عن هموم المدينين للبنوك وعن كوارث دودة القطن والجفاف وتأخر القطاف وعن جشع أصحاب الخانات واستغلالهم للمزارعين المساكين ، لما اكتفيت من السيد عبد الهادى والشيخ صادق بما اكتفيت به منهما .. وجبة غداء دسمة فى مطعم الفندق الارستقراطى ، وعلبة سيكارات واحدة من ذلك النوع الفتخر . لقاء هذا غادر صاحباي الفندق وفى حوزتهما طبقة من أوراق الكتابة الناصعة البياض تكفى لاستيعاب خمسة آلاف اسم على الأقل من أسماء المواطنين فى منطقتهما ، سيعودان بها فى اليوم التالى ليقبضا لقاءها اثني عشرة ألف وخمسمائة ليرة عدا ونقداً ، هى استحقاقهما من العمولة فى المرحلة الأولى من مشروعنا !

كيف تخلصت منهما فى اليوم التالي ؟ لم تكن تلك مشكلة . حين عادا فى موعدنا ذلك اليوم تلقاهما رئيس كتبة الفندق معتذرا عنى بأن برقية مستعجلة جاءت من مقر اليونيسكو جعلتنى أغادر المدينة فى المساء الفائت . وبما انى لا أعرف للسيدين الكريمين عنوانا فانى لم أتمكن من الاعتذار اليهما شخصيا ، وكلفت رئيس الكتبة بان يبلغهما أسفى لهذا الظرف القاهر راجيا أن يعتبرا اتفاقنا لاغيا من أساسه . كما كلفته أن يبلغهما بتحذيراتى لهما من أن يسلما ذقنيهما للحاج عادل وأمثاله من أصحاب رؤوس الأموال الجشعين .

هذا ياصاحبى هو الفصل الذى أحببت أن أرويه لك . لا ألومك اذا اعتبرته منى فصلا دنيئا . ولكنى قصصته عليك عن عمد لترويه لقرائك كى يدركوا بأن حقيقتى لاتنطبق تمام الانطباق على الصورة الأسطورية التى دأبت أنت على تصويرى بها . ما رأيك ؟

* * *

استمعت مطولا الى أبى البهاء ، وهو يروى حكايته ، دون أن أقاطعه بكلمة . وحين سألنى رأيى فى فصله هذا لم أملك الا أن اسأله بدورى وأنا أبتسم :

ــ كم تكلف صاحباك عليك فى هذين اللقائين اللذين جمعاك به ؟

فراح أبو البهاء يستعيد فى ذهنه تفاصيل مصروفهما فى ذينك اليومين . ثم قال :

ــ لاتنس أن هذا حدث منذ ما يقارب ثلاثين عاما . كان لليرة قيمتها آنذاك . ربما بلغ ما أنفقاه مائتى ليرة ، اذا خصمت منها ما أكلاه هما وشرباه تجد أنى لم أكلفهما أكثر من خمس وستين ليرة .

قلت : حسنا . اذا كانت فعلتك بذينك المسكينين تخز ضميرك حقا فأنا من ناحيتى أجد بالعكس أنك أحسنت اليهما . لعل صاحبك سليمان التقى بهما وعرفهما بمن سخر بهما .

قال : صحيح . أخبرته بما جرى عندما اجتمعت به . ولقيهما هو بعد ذلك فأخبرهما بحقيقة الأستاذ جورج ب . سمعان .

قلت : اذا كان من لوم فهو على صديقك ذاك ، سليمان الحاج أحمد . أما أنت فقد لقنت هذين الغرين الساذجين ، القادمين من البلدة الصغيرة ، درسا فى الحذر من أحابيل سكان المدينة الكبيرة وأساليبهم فى الاحتيال . ما أرخصه من درس ما دام لم يكلفهما غير خمس وستين ليرة ...

فتطلع الي أبو البهاء بنظرة طويلة قبل أن يقول :

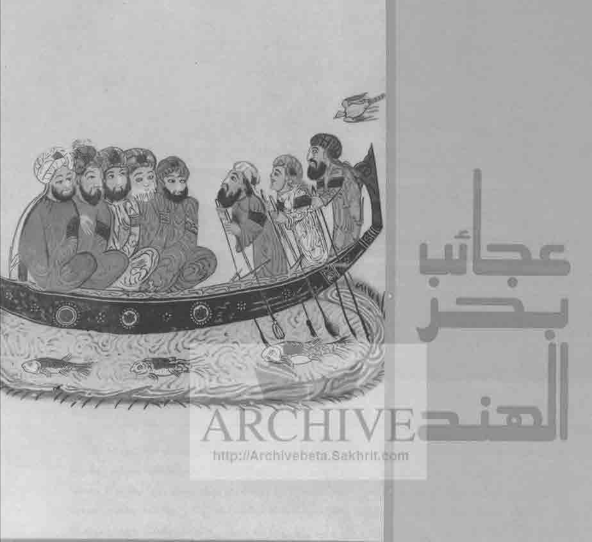
ــ هكذا اذن ؟ ! أراحك الله كما أرحتنى من تأنيب ضميرى . إنك تشجعنى على مثل هذه الفعال ، وعلى أن أوزع حكمتى على الناس ، اذا لم يكن بالمجان فبأرخص الاثمان ! أستودعك الله إذن .

وافترقنا وأنا لا أدرى أهو جاد فى مايقوله ، أم انه كان يسخر منى سخريته من المسكينين ، الشيخ صادق والسيد عبد الهادى ...

عبد السلام العجيلى

الرقة ــ سورية

عجائب بحر الهند



بقلم: الدكتور أنور عبد العليم

لوحة من مقامات الحريري (القرن الثالث عشر الميلادي) لرحلات البحارة العرب إلى بحر الهند ، تلك الرحلات التي كانوا يتعرضون أثناءها لمخاطر وأهوال رهيبة !

- عندما يحس راكب السفينة أنه يسير في بحر من النار
- منذ أكثر من ألف سنة كان للعرب وجود قوي في موانئ الصين
- مواقف تبعث على الخوف والرهبة في عرض المحيطات
- سلاحف عملاقة كالدبابات تقف في صف واحد لمواجهة أي عدوان بشري



نموذج من السفن البحرية العربية التي كانت تقوم برحلاتها الشهيرة في بحر الهند من أجل التبادل التجاري ونقل المسافرين

منذ عشرين سنة بالتمام والكمال أتيح لكاتب هذه السطور أن يشارك في أعمال البعثة الدولية للمحيط الهندي على ظهر سفينة البحث العلمي المسماة « انتون برون » بدعوة من معهد وودز هول لعلوم المحيطات بالولايات المتحدة الأمريكية وأن يقضي شهرين كاملين في دراسة الأحياء البحرية على جزر نائية مترامية في عرض المحيط. وبعض هذه الجزر التي قلما وطئتها أقدام البشر تتراءى للمقبل عليها من فوق ظهر السفينة وقد لفها الضباب والغيوم الكثيفة وكأنما هي أشباح تتراقص فوق سطح الماء ، أو كعالم صغير منعزل عن الكرة الأرضية يحوي من الأسرار والأساطير ما يعجز القلم عن وصفه . ناهيك بأسرار ذا كلمحيط نفسه وكائناته للعجيبة .

وليس هنا مجال وصف هذه الرحلة أو التعليق على نتائجها العلمية ولكنها والحق يقال قد أثارت في خاطر الكاتب صوراً حية احتوتها كتب التراث العربي عن المحيط وأهوال الملاحة فيه وعن جزره وعالمها السحري ، دونت منذ قرون طويلة ولكنها تبدو من صدقها وحيويتها وكأنما كتبت بالأمس القريب .

ومن ثم فقد آثرنا أن نشرك معنا قراء « الدوحة » في الاستمتاع بها .

القصص البحري القديم

فلننتقل إذن في الزمان والمكان لأكثر من ألف سنة إلى الوراء لنرى مراكب الربابنة والنواخيذ العرب الشراعية الضخمة تجوب بحار الزنج والحبشة والسند والهند والملايو وجاوه والصين تحمل التجار وبضائعهم . ولاشك أن هؤلاء الربابين كانوا على جانب كبير من الشجاعة والثقة بالنفس وعلى علم كبير بأسرار الملاحة الفلكية وفنون البحر . ولصدقهم وأمانتهم وثق بهم التجار الأجانب فصارت أغلب تجارة الصين الخارجية تنقل بواسطة المراكب العربية . ثم تستقر في ميناء خانقو (وموقعه اليوم الى الجنوب قليلا من شنغهاي) .

في القرن التاسع الميلادي كانت هناك جالية من العرب والفرس المسلمين يزيد عدد أفرادها على المائة ألف أغلبهم من التجار والنواخيذ ذوي الثراء والجاه على حد قول أبو زيد حسن السيرافي . وكان لهم بذلك في الثغر الصيني مساجدهم وقاضيهم ومدارسهم بتصريح من سلطات البلاد . كما كان للتجار العرب كذلك جالية غنية في سرنديب تحدث عنها الرحالة والمؤرخون من أمثال فاهيهان الصيني الذي يقول : إن بيوت العرب في الجزيرة كانت مزينة بأبهى الزينات .

وكانت موانئ البصرة وسيراف وهرموز ومسقط وعدن في ذلك الوقت هي حلقة الصلة بين تجارة الشرق والغرب ، يلتقي فيها الربابنة والتجار على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ويتبادلون أخبار التجارة وأحوال المراكب والبحر ، ولا بأس



كانت السفن في الطريق الملاحي بين الموانيء العربية وموانيء الهند تتعرض لعدة ظواهر بحرية طبيعية كالعواصف الحلزونية والأمواج العاتية والتيارات البحرية !

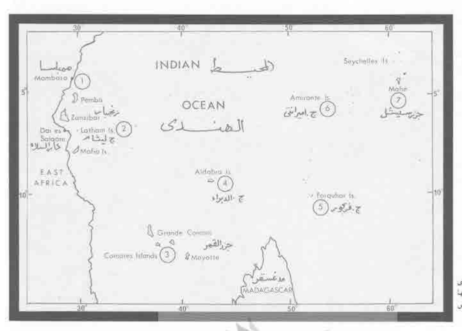
من أن تتضمن تلك المسامرات طرائف عن البلاد البعيدة والشواطيء الغريبة التي تدخلها مراكبهم وأحوال أهلها الاجتماعية وعاداتهم وثمرات بلادهم . وفي مثل هذا الجو راجت حكايات وأساطير عن البحر وسفارته ومنها مغامرات الملاحين في بحار نائية هائجة مائجة صاخبة لاغبة ، فمنهم من صرعت الرياح العاتية مركبه فغيبتها بمن فيها وما عليها في قرار البحر . ومنهم من كتبت له النجاة فقذفت به الأمواج على سواحل مجهولة بها حيوانات غريبة وأقوام ذوو وجوه وألسنة مختلفة الألوان . فحدث قومه بما لاعين رأت ولا أذن سمعت .. وحديث البحارة لا يخلو من شجون ولا يخلو كذلك من تهويل وذلك شأن البحارة في كل زمان ومكان .

كتاب عجائب الهند

وقد جمع بعض هذه القصص والحكايات التي تداولت على أفواه الربابنة والتجار ربان يدعى بزرج بن شهريار الرام هرمزي الذي رد كل حكاية منها لراويها وهو غالباً ما يكون تاجراً أوربانا أو ناخذاه أو حتى من صغار البحارة ويسمونهم « البانانية » وهي كلمة هندية تعني الملاحين . وتقع أغلب هذه الحكايات في الفترة بين القرنين الثالث والرابع الهجرى ، وهي الفترة التي ازدهرت فيها التجارة العربية مع الهند والصين وبلاد الشرق الأقصى بعامة وسمى المؤلف كتابه باسم « عجائب الهند بره وبحره وجزائره » . وقد حقق هذا الكتاب منذ مائة سنة على وجه التحديد المستشرق الهولندى فندرليت مع ترجمة فرنسية رفيعة المستوى بقلم مارسيل دفيك ليطبع بمطبعة بريل بليدن ، وأعدت المسودة ليكون الكتاب ماثلا أمام مؤتمر المستشرقين الذي عقد في ليدن في شهر سبتمبر عام ١٨٨٣ ، الا أن الكتاب لم يتيسر طبعه إلا بعد ذلك بثلاث سنوات ، أى في سبتمبر سنة ١٨٨٦ م .

هذا وقد سبق كتاب « عجائب الهند » إلى الوجود كتاب قيم آخر يعرف باسم رحلة التاجر سليمان يرجع زمن تأليفه إلى عام ٢٣٧ هـ (٨٥١ م) وقد نقحه وأضاف إليه أبو زيد حسن السيرافي متقدم الذكر . بيد أن هذا الكتاب يعد أكثر موضوعية من كتاب عجائب الهند ، فهو يصف الطريق الملاحي بين الموانيء العربية وموانيء الهند وكمبوديا وجاوة وسومطرة والصين ومراحله ، كما يصف بعض الظواهر البحرية الطبيعية كالعواصف الحلزونية والأمواج العاتية والتيارات البحرية ولايخلو من سرد طرائف شيقة عن أحوال أهل الهند والصين . وقد نقل عن هذا الكتاب كثيرون من المؤلفين القدامى من أصحاب كتب البلدان أو كتب العجائب نذكر منهم على سبيل المثال ابن الفقيه (٩٥٢ م) والمسعودي (٩٤٣ م) والمقدسي (٩٨٥ م) . كما نقل عن « عجائب الهند » كذلك مؤلفون من أمثال أبو حامد الغرناطي في كتابه « تحفة الألباب ونخبة الأعجاب » (١١٦٢ م) وزكريا بن محمد القزويني صاحب « عجائب المخلوقات » (١٢٨٠ م) وشمس الدين محمد بن أبي طالب الدمشقي (١٢٥٦ ـ ١٣٢٧ م) صاحب « نخبة الدهر في عجائب البحر والبر » .

هذا وقد راجت قصص عجائب الهند على وقتها رواجاً كبيراً وانتشرت بسرعة في العالم المعروف وقتئذ ثم صارت مادة دسمة لقصص السندباد البحرى وما على شاكلتها من قصص ألف ليلة وليلة كحكايات الرخ والأقزام ووادى الحيات ووادى الألماز والزبرجد وقصص وحوش البحر وتواصل أبناء البر وسكان البحر وما إليها . بل تعدت هذه القصص حوافز اللغة فترجمت إلى اللاتينية والأسبانية وصارت الأصل المشترك لمثيلاتها في الآداب الأوربية التي انتقلت إليها في وقت مبكر عن طريق مراكز الحضارة العربية في مصر والشام وصقلية والاندلس . ونشير على سبيل المثال لا الحصر إلى قصة المركب المعطوبة التي لجأت إلى جزيرة صغيرة في بحر الهند ودفعت الضرورة بحارتها إلى المقام فيها ، ففرغوا حمولة المركب إلى الجزيرة وأقاموا مدة حتى أصلحوا عيب المركب ثم ردوا الحمل إليه وعزموا على الخطوف



جزر المحيط الهندى التى زارها كاتب المقال ، وبعضها كان مسرحا لأحداث قصص عجائب بحر الهند

(الابحار) .. ثم أوقدوا ناراً فتحركت الجزيرة من تحتهم وكانوا بقرب النار فرموا أنفسهم إلى الماء وتعلقوا بالقارب والدونيج (القارب الصغير) وغاصت الجزيرة فلحقهم من اضطراب البحر بحركتها ما أشرفوا به على الغرق .. وسلموا بعد تعب شديد وهول عظيم .. وإذا بها سلحفاة قائمة على وجه الماء ولما أحست حر النار ولذعها هربت ! » .

ونفس هذه القصة وردت بحبكتها فى قصص القديس الايرلندى برندان الذى استبدل السلحفاة بحوت عظيم . وللسلحفاة فى قصة بحر الهند دلالة حيث تعيش على بعض جزره سلاحف عملاقة تستطيع الواحدة منها أن تحمل على ظهرها بعض الرجال ، وقد رأيناها عياناً بياناً على جزيرة الدبراء وفى غيرها من جزر المحيط الهندى . ولعدم تصور كاتب أساطير القديس برندان وجود سلاحف بهذا الحجم فقد استبدل بها الحوت فى القصة الأوربية .

شاهد عيان

ونحن لا نستطيع أن نقيم قصص عجائب بحر الهند تقييماً صحيحاً من مجرد قراءتنا للكتاب أو بمقارنة ما فيه بأساطير الاغريق أو غيرهم من الأمم مالم نتفهم الجو والظروف التى أوحت بكتابتها . ولسوف نرى أن ما يعتقده البعض من أنها كانت مجرد أساطير أو قصص بحارة من وحي الخيال هو أمر لا أساس له من الصحة . بل الواقع أن وراء كل قصة أساس من الحقيقة أو ظاهرة علمية أحياناً .

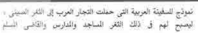
ومنذ عشرين سنة أتيح لكاتب هذه السطور كما أسلفنا القول فرصة الدراسة والحياة على بعض جزر المحيط ومنها جزر الدبراء والبثام والقمر الكبرى وأخواتها الصغرى بين مدغشقر والساحل الأفريقى على خط عرض ١٢ درجة جنوبى خط الاستواء ثم جزر فركور المنعزلة وسط المحيط الهندى ومنها إلى اميرانتى فمجموعة جزر سيشيل الشهيرة التى كانت منفى للزعيم المصرى سعد زغلول منذ أكثر من ستين سنة .

وإذا تغاضينا عن الحياة الآمنة الرضية على ظهر سفينة كبيرة كسفينتنا ، ذات القمرات المريحة والفرش الوثيرة المكيفة الهواء والمعامل المجهزة بأحدث الأجهزة والآلات الملاحية الالكترونية ، والمطابخ الفاخرة التى يقوم على إعداد الطعام فيها طهاة مهرة فرنسيون وصينيون والمكتبة الزاخرة بأحدث الكتب العلمية والروايات المسلية والجريدة اليومية التى تتلقى أخبار العالم بالأقمار الصناعية وتجدها أمامك على مائدة الافطار ـ أقول إذا تغاضينا عن كل هذا الترف ـ فإن شيئاً لم يتغير فى المحيط الهندى عما كان عليه الحال منذ ألف سنة بل منذ آلاف السنين : فالعواصف الحلزونية المخيفة لا تزال تفاجىء السفن والمراكب فى عرض البحر من آن لآخر والويل لمركب الشراع إذا وقعت فى العاصفة وزمجر لها المحيط عن أنيابه . وحتى سفينتنا التى ظننا أنها مدينة عائمة لم تسلم من غوائله ، إذ حدث أن كسر رفاصها على الشعاب المرجانية فتعطلت عن السير ساعات طويلة . ولولا أن نزل الغواصون لاستبداله بآخر جديد فى مياه موبوءة بالقروش والبحارة يرقبونهم من فوق السفينة بحذر مصوبين رصاص البنادق لهذه الوحوش لحدث مالا تحمد عقباه . ومنذ ذلك الحادث لم تجرؤ السفينة على الاقتراب من الشعب المرجانية المحيطة بالجزر بل كانت تلقى مراسيها على بعد أميال منها وننزل بقوارب المطاط الخفيفة للدراسة وجمع العينات . ناهيك بالأضواء الفسفورية التى تتلألأ على صفحة الماء فى الليالى المظلمة ، وبوسعك أن تقرأ صحيفة على ضوئها والتى يصفها صاحب كتاب العجائب منذ ألف سنة بقوله : « فإن الأمواج إذا اضطربت وتكسرت بعضها على بعض انقدح منه النار فيخيل إلى راكب البحر أنه يسير فى بحر نار » وما أصدق هذا الوصف وما أبدعه !

وها هى الأسماك الطائرة لا تنفك تحط على ظهر السفينة أو تصطدم بحواجزها كماكانت تفعل منذ ألف سنة وأكثر ، وستظل تفعل ذلك مالم تنقرض هذه الأنواع من كل الحياة . وشبيه بها أسماك الشراع وأسماك السيف التى تقفز من آن لآخر لعلو بضعة أمتار فوق سطح الماء وانها لتفعل ذلك بقصد التسلية أو هرباً من وحش كاسر يطاردها . وتلك جحافل الثدييات البحرية من دلافين وحيتان تتبع السفن فى سيرها لمسافات طويلة حتى يدركها التعب فتترك الحلبة وتغير اتجاهها . هذا عن الحيوانات المنظورة ، أما تلك



نموذج للسفينة العربية التى حملت التجار العرب إلى الثغر الصينى ، ليصبح لهم فى ذلك الثغر المساجد والمدارس والقاضى المسلم





فى قصص الغرب استبدلوا السلحفاة الضخمة التى ظنها البحارة العرب جزيرة صغيرة ، بحوت عملاق ناسيين أن بحر الهند تعيش على بعض جزره ـ فعلا ـ سلاحف عملاقة !

التى تقطن الأعماق البعيدة كالأخطبوطات العملاقة فلها فى عجائب بحر الهند شأن آخر .

حياة الجزر

وأغلب جزر المحيط الهندى هى جزر بركانية تنبثق من الأعماق السحيقة ، وقد تتجمع على شكل حلقة تحيط ببحيرة ضحلة تسمى « الاتول » وهى فى الأصل فوهة بركان . وبعض جزر المحيط كبيرة الحجم مأهولة بالسكان عليها جبال وأنهار ومدن وقرى وثغور والبعض الآخر لا يعدو أن يكون نقطة ليس لها حدود أو أبعاد ظاهرة فوق سطح المحيط على الخرائط . وأغلب هذه الجزر غير مأهولة بالسكان . ولا تزال على حالتها الأولى من البداوة ، وهى محاطة بسياج من الشعب المرجانية المنبسطة التى قد تمتد لمئات الأمتار ولا تكاد تبين الا بصعوبة أثناء الجزر المنخفض . ولكم تحطمت عليها مراكب الربابنة والنواخيذ . وإذا اتيح لك أن تترجل أو تسبح فوق هذه الشعاب لتصل إلى الجزيرة نفسها فسوف تصوب الحيوانات المرجانية نحو جلدك ملايين الخلايا اللاسعة كطلقات المدفع الرشاش . فإذا نجوت من هذه فقد يداعبك قرش « رذيل » أو تقع رجلك على سمكة الصخر وسمها مميت أو تصادفك أفعى ملونة يفوق سمها سم الكوبرا عشر مرات . وإذا كنت محظوظاً فقد تشاهد عرائس البحر ترعى وسط الأعشاب البحرية الكثيفة على القاع الرملى حول الجزر ولكنها حيوانات ذات حياء وخفر ، نادرة الظهور أثناء النهار !

والمشى فوق الشعاب ليلا فى مياه غريبة منعزلة هو الخطر الجسيم بعينه . ولولا أننا كنا نستعين بضوء البطاريات ونرتدى حلل الغوص لما سلمنا من الأذى !

فإذا ما رافقتك السلامة فى رحلتك فوق الشعاب المرجانية لتصل إلى الجزيرة فستقابلك أشجار النرجيل (جوز الهند) الباسقة على الشاطىء ومن خلفها غابات القندل (نبات ابن سينا) الكثيفة وهى غابات بحرية تغوص جذورها الدعامية فى روبة من الطين المختلط بالماء ، وقد يغوص الانسان فيه إلى عنقه إذا لم يكن حذرا .

ولكأنى بك واقفاً وحيداً قليل الحيلة على شاطىء احدى هذه الجزر المجهولة فى عرض المحيط بعيداً بآلاف الأميال عن شواطىء القارات ترى ماذا يكون شعورك ؟

إنه لموقف يتطلب قدراً كبيراً من الشجاعة ورباطة الجأش فإن الانسان لا يدرى ماذا ينتظره من مفاجآت فى تلك الأدغال . أهى سهام مسمومة تصوب إليه من وراء الأشجار أو ثعبان ضخم يعتصره أو وحش مفترس ينقض عليه فجأة . أو هى جماعات من القرود تحيط به أو ترشقه بثمرات الجوز . إنه لموقف يبعث على الخوف والرهبة فى آن واحد ، وحتى منظر تلك السلاحف العملاقة لو رآها المرء وهى كالدبابات فى صف رتيب لأول مرة لحسبها حيوانات منقرضة من قبل التاريخ .

فإذا ما جن الليل وأنت وحدك على هذه الجزيرة فسوف يتهيأ لك أن جنيات البحر وشياطينه قادمة من كل اتجاه وسيؤصل هذا الاحساس لديك تلك الأصوات الغريبة الحادة التى تشبه الصراخ والتى تنبعث بين الفينة من أعلى الأشجار ومن وسط الأدغال فتبدد سكون الليل وتختلط بأصوات الأمواج الهادرة الرتيبة الايقاع .

على أن الحياة على تلك الجزر ليست كلها موحشة مخيفة ، بل إن من الجزر ما تشم أريج عطرها وأنت على مسافة بعيدة فى البحر وهى روائح الياسمين مختلطة بعطور القرنفل والقرفة والزنجبيل . ناهيك بالجداول الرقراقة والطيور الصداحة ذات الريش المختلف الألوان والأشكال . إنها تلك الطيور التى أوحت للملاحين بقصص السرخ والسمندل والعنقاء ، وإن كانت هذه الأسماء كلها ذات مدلول واحد ، وتمنوا لو تعلقوا بأرجلها لتحط بهم على بر السلامة .

هذا هو جانب من الجو الذى عاشه ملاحو سفن الشراع منذ ألف سنة أو أكثر ولا يزال على حاله التى كان عليها إلى اليوم ، ولابد لنا من أن نتفهمه ليتسنى لنا الاستمتاع بقصصهم ونعيش بخيالنا فى عالمهم السحرى ، ولا بأس من أن نتغاضى عن شطحات لا تنسجم مع العقل والمنطق وردت فى تلك القصص هى بالتأكيد من بنات أفكار ملاح تحطمت مركبته على جزيرة مجهولة .

أنور عبد العليم





الطبيعة الأفريقية الرائعة : التي كانت تحتل شاشات التليفزيون في العالم قبل بروز مشكلة القحط والمجاعة

فتاة إفريقية : من القارة التي تمتلك الثروة الاقتصادية والمصادر الطبيعية والأرض الخصبة ، ورغم ذلك تعاني من الجفاف والجوع !

إفريقيا الرائعة .. جائعة !

الإفريقيون يموتون .. والعالم يتفرّج عليهم على شاشة التليفزيون

قصّة الجفاف والجوع في الساحل الإفريقي

بقلم : الدكتورة كوثر عبد الرسول



الأسواق الافريقية التى تعقد فى أيام منتظمة فى الأرض الفسيحة ولا توجد بها إلا بعض الصناعات اليدوية البعيدة عن تكنولوجيا العصر

افريقيا الرائعة ... جائعة .
وهذا وضع غير مقبول وغير كريم ، وعلى الأفريقيين أن يعملوا على استغلال ثرواتهم الضخمة وانقاذ شعوبهم من هذا المصير ... كما أن الضمير العالمي يجب أن يستيقظ أمام هذه المأساة الكبيرة فيجد الافريقيون عونا جديا على مواجهة المحنة .

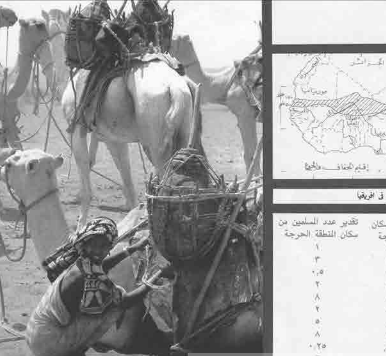
بمناسبة مايحدث الآن من أزمة ومجاعة في أجزاء من أفريقيا . كان لابد من أن نقدم بعض المشاركة في التعريف بأسس المشكلة لعلها تساعد الهيئات التي تسهم في انقاذ المتضررين على استمرار المساهمة في حلول طويلة الأمد .

أين يوجد نطاق الجوع ؟

تمتد البلاد التي يمكن أن تتضرر من الجفاف كل بضع سنوات في نطاق عرضي في افريقيا جنوب الصحراء الكبرى من السنغال في الغرب إلى اثيوبيا والصومال في الشرق . ويسمى هذا النطاق جغرافياً باقليم الساحل وهي تسمية في الأصل كانت تابعة عن القسم الغربي من النطاق . في السنغال ومالي والنيجر . ثم شاع استخدامها حالياً لتعني كل النطاق من السنغال للصومال . ولعل أصل التسمية من القبائل الرعوية الصحراوية التى ترى اقليم الأعشاب جنوب الصحراء كما يرى البحارة اليابسة .

في بعض السنوات يضرب الجفاف بشدة جزءاً معيناً من هذا النطاق ، بينما فاعليته في احداث أزمة اقتصادية تشمل النطاق كله بدرجات أقل . وهذا العام تعاني الأجزاء الشرقية من النطاق ـ السودان واثيوبيا والصومال ـ حدة الجفاف وقمة الجوع . بينما كانت المجاعة منذ بضع سنوات (١٩٧١ ـ ١٩٧٣ ، وأيضاً ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢) على أشدها في الأجزاء الغربية من النطاق ، وبخاصة جمهوريتي مالي والنيجر .

وتوضح الخريطة أن اقليم الساحل يمتد في المناطق التي تتراوح فيها كمية المطر الساقط مابين



خريطة لمناطق الجفاف والجوع في افريقيا

فتاة تحمل على جمال قبيلتها الماء !

الدولة	عدد السكان بالمليون (١٩٨٠)	تقدير عدد سكان المنطقة الحرجة	تقدير عدد المسلمين من سكان المنطقة الحرجة
السنغال	٦,٠	١	١
مالي	٧,٥	٣	٣
الفولتا العليا	٧,٠	١	٠,٥
النيجر	٥,٥	٢	٢
نيجيريا	٨٨,٠	٨	٨
تشاد	٤,٥	٢	٢
السودان	٢٠,٠	٥	٥
اثيوبيا	٣٣,٠	١٢	٨
جيبوتي	٢٥	,٢٥	٠,٢٥
الصومال	[illegible]	٣	٣
كينيا	١٧,٠	٣	١
المجموع		٣٧	٣٣

جدول بعدد المسلمين المتضررين في نطاق الساحل الافريقي

١٥٠,٥٠٠ مليمتر في السنة ـ وكلها أمطار صيفية تسقط خلال أشهر الصيف الثلاثة يولية وأغسطس وسبتمبر. ويشمل النطاق الأجزاء التالية من الوحدات السياسية : شمالي السنغال ، وسط مالي ، شمال فولتا العليا ، وجنوب جمهورية النيجر ، الأطراف الشمالية من نيجيريا ، وسط تشاد ، وسط وشرق السودان ، شمال وشرقي وجنوب شرقي اثيوبيا ، النطاق الحيوي في وسط وجنوب الصومال ، شرق وشمال كينيا ، كما يمتد بدرجة مخففة في وسط شمال تنزانيا.

وفي الحقيقة فإن تزايد الجفاف هي ظاهرة مناخية أكثر اتساعاً من ذلك. فهي تظهر في الحدود الشمالية للصحراء الكبرى من المغرب إلى مصر ، وتمتد إلى الجناح الاسيوي من العالم العربي . وهي عملية تاريخية شواهدها كثيرة في بادية الشام والجزيرة العربية . ولكن مشكلة الجوع لا تظهر في هذه المناطق في شمال أفريقيا أو في هوامش صحاري الجناح العربي الاسيوي لأن عدد السكان في هذه المناطق قليل يتمثل في قبائل بدوية تتحرك باستمرار داخل دول على قدر من التنظيم الذي يسمح بإغاثة البدو في الأزمات دون أن تكون هناك كارثة اقليم الساحل المتكررة . أما لماذا يحدث هذا الموقف المحزن في نطاق الساحل فيرجع إلى الأسباب التالية :

• إن سكان الساحل ليسوا بدوا صرفاً ، بل هم زراع وبدو ، أو زراع فقط ولهذا فإن كثافة السكان في اقليم التصحر في شمال أفريقيا والجزيرة هي من ١ ـ ٦ أشخاص للكيلومتر المربع ، بينما هي في اقليم الساحل تتراوح مابين ٣ ـ ٢٥ شخصي لكم٢ حسب الحرفة الإقتصادية . وتزداد الكثافة أكثر في مناطق معينة كوادي النيجر في مالي وشمال اثيوبيا . وحين تقل الأمطار عن المعدل فإن الضرر يلحق عدداً كبيراً من الزراع والرعاة معاً كما هو حاصل اليوم .

• ان معظم دول نطاق الساحل ذوات موارد محدودة مع قلة مخلة في طرق ووسائل النقل مما يجعل مناطق كثيرة معزولة فعلاً .

• الاستقرار السياسي في غالبية دول الساحل غير متوفر ، بل بعضها يعاني من حروب وثورات أو قلاقل وخاصة تشاد واثيوبيا ، حيث تشتد أزمة الجفاف الآن .

من الصعب حصر أعداد المتضررين من الجفاف المتكرر الحدوث سواء في صورة قمة حادة أو في صورة استمرار انخفاض وذبذبة في كمية المطر الصيفي . ويعطينا الجدول التالي تقديرات تقريبية لأعداد الناس الذين يعيشون داخل النطاق الحرج .

ويتضح من الجدول المنشور على هذه الصفحة أن عدد المتضررين من المسلمين كبير في نطاق الساحل ، والسبب في ذلك أن اقليم الساحل هو أول أقاليم افريقيا المدارية الذي دخل الإسلام بعد عبور المسلمين الصحراء الكبرى .

وفيه نشأت ممالك اسلامية تاريخية هي غانه ـ مالي ـ سنغاي ـ الفولاني ـ الفونج ـ وامارات أخرى كالهوسا والفور وعدال . وساعدت هذه الممالك على تثبيت الإسلام في هذا النطاق ، ونشره جنوباً حتى الغابات الإستوائية أو المستنقعات الدائمة .

وبعد وقوع نطاق الساحل في أيدي الاستعمار الأوربي تدهورت الأحوال الاقتصادية بعد أن ركز الاوربيون على تشغيل موارد النطاق الجنوبي بغرب افريقيا بصورة أساسية بالإضافة إلى مشروعات زراعية محدودة في القسم الجنوبي من إقليم الساحل كفول السوداني والقطن . وهذا التوقف الاقتصادي في اقليم الساحل جعله أقل قدرة على مواجهة آثار الذبذبة المناخية أو إيجاد بدائل حياة للمناطق التي يصيبها التصحر .

كما تسود بعض مناطق النيجر في مالي اسطورة تقول أن هناك لعنة تتسبب في حدوث دورة مناخية تتناوب فيها فترات من الجفاف وأخرى من الأمطار الوفيرة كل سبع سنوات . وعلى أية حال ففكرة الدورة ذات السبع سنوات ليست بعيدة عن منطقتنا الحضارية ، ووردت في القرآن الكريم في تفسير سيدنا يوسف لحلم فرعون . والدورة السباعية هي أيضاً ملاحظة بصورة اجمالية في أمطار الأجزاء الشمالية من الصحراء



حتى غزلان وحيوانات الغابات الجميلة في افريقيا مهددة بالموت نتيجة القحط والمجاعة والجفاف الذي يبيد النباتات ويقضي على كل لون أخضر!

الكبرى .

وفي بحث للجغرافي «ليزلي مسك» من جامعة منشستر (المجلة الجغرافية البريطانية اكتوبر ١٩٨٣) سجل لانحراف كمية الأمطار عن المعدل في اقليم الساحل للسنوات من ١٩٤٠ - ١٩٨٠ . وعلى الرغم من عمومية هذا السجل (١٤ محطة فقط في اقليم يمتد أكثر من خمسة آلاف كيلومتر) فإنه يوضح الفترات التالية :

١٩٤٠ - ١٩٤٩ فترة قلة المطر .
١٩٥٠ - ١٩٥٩ فترة زيادة المطر .
١٩٦٠ - ١٩٦٧ فترة ذبذبة حول المعدل .
١٩٦٨ - ١٩٨١ فترة تناقص كبير في المطر يعادل ضعف فترة جفاف الأربعينات .

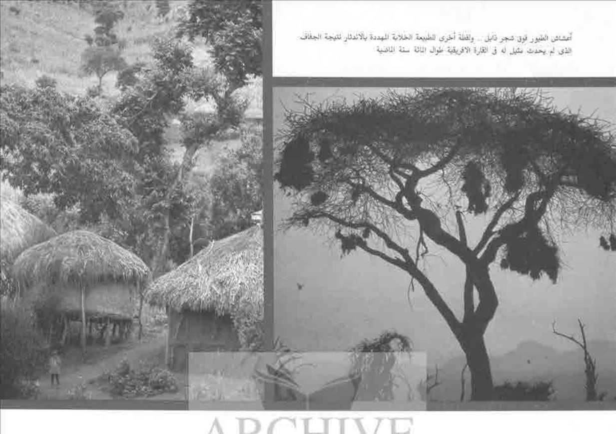
وقد تميزت فترة الجفاف الأخيرة باستمرارية زمنية طويلة من ١٩٦٨ للآن - أي ١٦ سنة متتالية . وخلال هذه الفترة نجد ثلاث فترات بلغ فيها الجفاف حد المجاعة تلك هي ٧١ - ١٩٧٣ ، ١٩٧٦ - ١٩٧٧ ، ٨٠ - ١٩٨٤ . هذه صورة وقائع مطر «الساحل» ، فما هي الأسباب ؟ هناك مجموعة أسباب تنقسم إلى فئتين : الأسباب الطبيعية والأسباب البشرية .

الأسباب الطبيعية خارجة عن متناول الإنسان . فالنطاق الذي نحن بصدده هو الإقليم الانتقالي بين الصحراء الكبرى واقليم حشائش السفانا ، وتتراوح أمطاره بين ١٥٠ - ٥٠٠ مليمتر كما أسلفنا . وحيث أن هذه الأمطار تسقط صيفاً - أي مع موسم الحرارة العليا ، فإن فاعليتها تكون أقل فيما لو كانت تسقط شتاء . وعلى العموم فإن الأمطار في أي من أقاليم العالم لاتسقط بنفس الكمية كل عام ، بل تعتريها تغيرات سنوية بالزيادة أو النقص لاسباب شديدة التداخل بين عناصر المناخ ، خاصة الضغط الجوي والتيارات الهوائية النفاثة في الأجواء العليا وما يحدث من تزحزح لأوضاع هذه التيارات سنوياً أو كل بضعة سنين . وإلى جانب هذا اختلاف التسخين الشمسي لسطح الأرض واختلاف وعمق الجهات الهوائية الباردة والساخنة وسرعة تحركها في مسارات .

ولكن ليست هذه كل عوامل الذبذبة المناخية . بل يترامى إلى الأسماع أن مناخ العالم برمته آخذ في التغير . وفي دوائر التخصصين في علم المناخ ليس هذا الأمر بجديد : فإن مناخ الكرة الأرضية ليس ثابتاً إلا فيما ينسب لعصر أو مرحلة زمنية . وفي المليون سنة الأخيرة تغير مناخ العالم عدة مرات تقلباً بين عصور جليدية ومطيرة وجافة بدرجات شديدة التفاوت في التأثير على بقاع النصف الشمالي من الكرة الأرضية . والذي يهمنا«ن نطاق الصحراء المجدبة التي نعيش فيها الآن والممتدة من موريتانيا إلى أواسط آسيا انما هو تكوين مناخي أخذ صفاته الجافة تدريجياً في بضع آلاف السنين الأخيرة مع ذبذبة بين عصور أرطب قليلا كان آخرها منذ نحو ستة آلاف سنة مضت .

وأسباب التغيرات المناخية عند المتخصصين غير واضحة ولا مؤكدة . وهي تتردد بين أسباب فلكية بحتة مثل تغير موقع القطب الشمالي ، وبين أسباب مناخية بحتة تأخذ مسارا تدريجياً . مثال ذلك النظرية القائلة أن أي تغيرات كمية محسوسة في الحرارة قد تؤدي إلى تركم جليد أكثر من المعتاد ، وهذا التراكم يخلق ظروفاً مناخية جديدة تساعد على مزيد من التراكم الجليدي . ويؤدي ذلك إلى تضاغط أقاليم المناخ وتزحزحها من أماكنها في اتجاهات مختلفة . المهم أن علم المناخ مازال في نشأته ونحن نجهل الكثير حتى الآن .

وحول اتجاه الأوضاع المناخية الحالية يختلف العلماء فيما بينهم ، . فالبعض يرى أننا نسير نحو جفاف أكبر ، وأننا نقع وسط مرحلة زمنية حارة جافة . وأدلتهم كثيرة منها أن الصحاري تتسع لتشمل وتبتلع مناطق لم تكن صحراوية كما هو حادث في اقليم الساحل الإفريقي . ويؤيد ذلك أن مناطق عمرانية قديمة دفنتها أو حاصرتها الرمال . مثل اندثار مروى القديمة في شمال السودان ، ومدينة تمبكتو في جمهورية مالي والتي كانت منذ خمسة قرون مركزاً حضارياً وبها جامعة إسلامية كبرى (زانكورة) وهي - تمبكتو - منذ قرن ونصف ، قرية صغيرة فاقدة لأهميتها نتيجة التصحر .



أعشاش الطيور فوق شجر ذابل .. ولقطة أخرى للطبيعة الخلابة المهددة بالاندثار نتيجة الجفاف الذى لم يحدث مثيل له فى القارة الافريقية طوال المائة سنة الماضية

والبعض الآخر من المتخصصين يرى أن هناك تزحزحا للاقاليم المناخية نحو الجنوب بحيث تزداد برودة أوروبا وتزداد أمطار شمال أفريقيا وتزحف الصحراء جنوباً فى إقليم الساحل . وسواء كان هذا الرأى أو ذاك ، فانه من المعروف أن النقلات المناخية الجزرية ليست سريعة الحدوث ، بل تستغرق تحولاتها عشرات الآلاف من السنين . وتنجم عن تغيرات كمية بسيطة على مئات السنين . وعلى ذلك فإن الميل إلى الاعتقاد بحدوث تغيرات مناخية فى حياة جيل أو عشرة من أجيال الانسان ليس إلا اشاعة عظيمة المبالغة وكل الذى يحدث تحت أعين جيل ليس إلا قدر ضئيل من تغيرات كمية ، أو ربما مجرد ذبذبات مناخية تأخذ ما يشبه الدورات غير المنتظمة . وبالرغم من الدراسات الكمية المتوفرة حالياً ، إلا أنها فى غالبها دراسة متغيرات الطقس (وليس المناخ) فى مناطق المدن (وبخاصة فى الدول المتقدمة) بصفة أساسية . وفى الكثير من الأحيان يجهل الانسان فاعلية عامل أو عدة عوامل .

وبالتالى فإن تفسير المناخ برغم استخدام أجهزة الكمبيوتر المتخصصة منقوص ومشوش ، أو تسلط عليه أضواء اعلامية برغم أنها فى الواقع جزئيات لا تحكى الوقائع التى نحسها ولا تعلمها علمياً . ولكن علينا الا نغفل أننا الآن على عتبة كشف جديد فى علم المناخ نتيجة دراسات الفضاء التى بدأت تعطينا مدخلا جديدا للتشكيلات تيارات الهواء العليا والضغط الجوى وتراكمات السحب واتجاهاتها . والأمل كبير فى تحسن ادراكنا لعناصر المناخ التى لم تكن معروفة من قبل حيث أننا ننظر الآن من أسفل ومن أعلى معاً إلى مكونات المناخ .

عوامل التصحر والانسان

أما مجموعة العوامل البشرية المؤثرة فى المناخ فهى إلى الآن غير معروفة الأثر على وجه الدقة . والأثر البشرى الأكثر وضوحاً هو أن الانسان بتعريته سطح الأرض من غطائها الطبيعى من أجل الحصول على أراضى زراعية أو رعوية ، فى عملية تاريخية استغرقت الألف سنة الماضية ، قد أدى إلى ايجاد متغيرات لم تقدر آثارها البيئية والمناخية إلا مؤخراً ، وفى إقليم الساحل الأفريقى فإن زيادة قطع الأشجار لاستخدامها كوقود (خاصة بعد ارتفاع أسعار البترول) ، والرعى الجائر ـ أى زيادة عدد الحيوانات فوق قدرة المراعى ـ أدى إلى أضعاف نمو الأشجار والحشائش وازدياد السطوح المعراة من النبات ، وازدياد نسبة الأتربة فى الهواء . وكان لهذا أثره فى ابقاء درجة حرارة الهواء شبه ثابتة . وهو ما يساعد على إيقاف حركة الهواء الرأسية لأعلى وفى النهاية يوقف أحد شروط سقوط المطر فى هذا النطاق ومن ثم الجفاف . هذه الجزئية ليست وحدها كافية لتفسير الجفاف ، بل يضاف اليها تفاعلات أخرى من مكونات التيارات الهوائية العليا والتزحزح المكانى لنطاقات الضغط الجوى المرتفعة والمتخفضة بضع درجات عرضية كل بضع سنوات .

وقد ساعد على ازدياد الرعى الجائر أن الحكومات الحديثة فى دول الساحل قد تبنت فكرة حفر آبار عميقة للرعاة مما أدى إلى تثبيت قطعان عديدة حول عدد محدود من الآبار فى موسم قلة المياه . فالقرارات الحكومية ، وان استهدفت تحسين موارد الماء ، إلا أنها كانت قرارات تنظر إلى الموضوع من زاوية جزئية . ومثل هذه: المشاريع الحكومية والخاصة بتوسيع الرقعة الزراعية فى أراضى إقليم الساحل . فالتربة والمناخ هنا يمثلان عناصر هشه لانهما يقعان فى إقليم انتقالى هامشى حدى . والنتيجة فى العديد من التجارب فشل المزارع بعد عدة سنوات وبالتالى تحولها إلى أرض خراب ، فلم تقدر مقوماتها باستمرارها أرضاً زراعية . ولم تتحول بعد هجر المزارع إلى مراع طبيعية لاجهادها . هذه نماذج للتدخل البشرى الذى يميل إلى زيادة التصحر فى أفريقيا باخلاله بقدرات الأرض . وتحويل الناس من متعايشين مع البيئة حسب ميراثهم الحضارى إلى أنماط حياة جديدة هشة تجعلهم فريسة الجوع عند فشل هذه الأنماط .

مجموعة لقطات لمظاهر الحياة على طول امتداد ال
الافريقية التى تمد اليوم يدها إلى العالم كله لعلها
قلوبا انسانية تعاونها على مواجهة مشاكلها الصع

الحدود السياسية وحدة المجاعة

فى الماضى كانت حالات الجفاف والمجاعة متكررة ، ولكنها لم تكن تظهر بالصورة الحالية . فالحدود السياسية الحديثة ـ التى هى نتاج عصر الاستعمار ـ جمدت الناس فى أماكن محدودة ، وصار تحركهم الحر فى المراعى بعيداً عن الأماكن التى تضررت بالجفاف ، كما كان يحدث فى الماضى أمراً صعب المنال ، ومن ثم فإن حركات الجماعات والشعوب قديماً ، وإن كان لها بعض محاذيرها فى ضغوط على أرض الغير ، كانت فى مجملها صمام الأمن الأساسى فى هذا النطاق الحرج ، مانعة لحدوث مآسى اليوم من هلاك للناس والحيوان . وكان هذا واحداً من أساليب الانسان فى التكيف والتأقلم مع ظروف البيئة .

لكن هذه الأساليب لاتزال موجودة وإن أخذت شكلا جديداً . فالطوارق أو غيرهم من القبائل حين يتضررون ، يهاجرون إلى نيجيريا أو غيرها فى صورة تسرب ـ وهى صورة تنافى الأوضاع القانونية الحديثة ـ ويبقون فى أماكنهم الجديدة ولكن سيف الابعاد مسلط عليهم فى أى وقت تراه الدولة مناسباً . ومثل هذا حاصل فى السودان وبقية دول الساحل ، والغالب أن المهاجرين ، وقد فقدوا كل مقومات حياتهم التقليدية من زرع وضرع ، يتجهون إلى المدن الرئيسية حيث يمكن أن تكون هناك فرصة حياة ويشكلون ضغوطاً على الحكومات من أجل الاعتراف بوجودهم واعانتهم . وحيث أن الدول المعنية فى معظمها فقيرة فإن ذلك الضغط يربو على امكانيات الدول ويشكل معضلة حقيقية .

خلاصة ومقترحات

تتكون المشكلة من العناصر الرئيسية التالية :

١ ـ أن علاقة الانسان والعوامل الطبيعية ليست علاقة الند بالند . والمهم مزيد من فهم عناصر التفاعل الطبيعى لكى يتعايش الانسان معها بطريقة أحسن . وفى منطقة الساحل الأفريقى لابد من رصد أموال للانفاق على الدراسات لفهم خلفية الواقع البيئى مناخاً وتربة ومياه جوفية ونباتا طبيعيا . وذلك تمهيد ضرورى قبل البدء بأية مشروعات عمرانية .

٢ ـ الكثير من المشروعات الحالية فى نطاق الجفاف (وفى بلاد العالم الثالث بصفة عامة) إما هى ناجمة عن قرارات سياسية تجسم تصورات عامة دون دراسة شاملة ، أو هى دراسات جزئية لأصحاب المصالح الأجنبية للترويج للخبرة والمنتجات الغربية أو هى مبادرات تأخذ الشكل التعاونى أو الفردى وتستخدم تكنولوجيا حديثة كدق آبار عميقة وضخ مياه باطنية إلى حد النضوب دون دراسة مسبقة .

٣ ـ معظم الدول الحديثة مليئة بمشكلات ميراث عهد الاستعمار . فهى ملتهبة بمشكلات حدود مع الجيران . وملتهبة بمشكلات اقليات أو تجمعات لغوية أو سلالية أو دينية أو كلها معاً . وملتهبة بمشكلات الانحياز إلى كتل دولية مختلفة ، والدسائس الأجنبية التى تستثير القلاقل والثورات والحركات الانفصالية . ومن ثم فإن انفاق هذه الدول على التسلح والأمن يضعها فى دوامة افضليات بين انفاق التسلح وبين الانفاق على البنية الأساسية من تعليم وعلاج وتحديث الانتاج وبناء الطرق ومقومات الحياة بصفة عامة .

هذه هى المقومات . والحلول لابد أنها تنبع أساساً من داخل الداخل فى هذا النطاق ، لأن فهم مقومات المشكلة غالباً ما يؤدى إلى مواجهة الموقف بشكل أفضل . والسياسة الأساسية التى يمكن أن تتبع من أجل حلول طويلة الأجل ليست فى دق آبار وإقامة مشروعات متسرعة ، فهذه حلول إسعافية : انما هى بالضرورة مرتبطة بتنمية الانسان . أى انفاق مكثف على التعليم الاساسى والتدريب المهنى والتغلب على الفجوة بين الحرف والاقتصاد التقليدى والتنمية الاقتصادية الاجتماعية المطلوبة لتحسين نوعية الحياة مهنيا وصحياً وثقافياً .

والمطلوب أيضاً تفاهم مشترك بين دول المنطقة للخروج من شكل الحدود السياسية الجامدة إلى الحدود المرنة التى تقبل تحركات الناس والأفراد فى حالات المجاعة إلى حين تحسن الأوضاع . وذلك كنوع من الممارسات القديمة يضفى عليها صياغة قانونية حديثة لا تتعارض مع سيادة الدول ، علماً بأن الحدود السياسية الحالية غالباً ما قسمت شعوباً وجماعات متجانسة لغوياً وحضارياً .

وفى غير هذه الجوانب تحتاج الدول إلى دراسات شاملة لمقومات البيئة وليس معنى ذلك أن بالامكان إيقاف الجفاف إذا كان هناك تغير مناخى شامل نحو مناخ الصحراء وانما المطلوب هو تقليل أثر الجفاف بمشروعات أقل بريقاً وأكثر دواماً . ويكون ذلك مرتبطا بفهم الطبيعة الانتقالية للإقليم . مثلا رعى أكثر تقدماً من الرعى التقليدى ، لكنه لا يجب أن يكون بالضرورة صورة من الرعى العلمى فى الغرب لاختلاف كافة المقومات البيئية والبشرية والاقتصادية العامة . أو تطور زراعة المطر على منهج الزراعة المتنقلة القديمة مع تحسين البذور وتحسين اداء المزارع بالارشاد والتدريب وليس على منهج الميكنة الزراعية التى تبث ضررها البالغ فى التربات الافريقية وساعدت على تصحر أجزاء من نطاق الساحل الافريقى كانت منتجه بصورة مقبولة ضمن النسيج العام للبيئة والنسان . هذا فضلا عن إقامة صناعات ريفية أو غذائية من النوع الذى يمكن أن يستخدم عمالة كبيرة دون رأسمال كبير .

د . كوثر عبد الرسول
جامعة قطـــر

بقلم : د . عبدالمحسن صالح

شكل (١) مذنب ذو ذنب أو ذيل طويل يبدو منتشرا خلف الرأس الصغيرة .. ويسمى مذنب وست .. نسبة الى مكتشفه ، وتم تصويره من الأرض فى فبراير عام ١٩٧٦

شكل (٢) مذنب «بيشت» الذى رآه الناس فى ريف مصر فى ليال متتالية أثناء حرب الاستنزاف ، وظنوه قمرا صناعيا للتجسس



زائر عزيز يقترب هذه الأيام من أرضنا ، بعد أن ظل ما يقرب من ٧٠ عاماً بعيدا عنا ، ولقد أمكن رؤيته لأول مرة منذ أكثر من سنتين ، وكلما مرت الأيام زاد منا قربا .. وهو يأتينا بغير ذنب ، فاذا اقترب ، ظهر له ذنب ، وعندما يبتعد ، يختفى الذنب .. ثم إن من يراه مرة ، فلن يعيش ليراه ثانى مرة ، ومن أجل هذا يرى علماء ذلك الجيل فى وصوله فرصة ذهبية ، ليتعرفوا عليه أكثر ، ويدرسوه بصورة أعظم ، ولهذه الدراسة مايبررها ، فربما كان يحمل فى رأسه وذنبه لغز نشأة الكون ، ولغز الكوارث التى حلت بكوكبنا قديما وحديثا !

إن زائرنا هذا يعرف باسم مذنب هالي . وهو واحد من عائلة كبيرة تضم ملايين فوق ملايين من المذنبات ، ولكل مذنب صفات تميزه عن المذنبات الأخرى ، فمنها الكبير ، ومنها الصغير ، ومنها ما يزورنا كل بضع سنوات ، أو قد لايزورنا على الاطلاق ، ومنها ماله ذنب ملايين اوعشرات الملايين من الكيلومترات ، لكنها تتوحد فى التكوين ، رغم هذه الاختلافات (شكل ١ وبعض الصور التالية فى المقال) .

ولقد رأى القدماء هذه المذنبات وهى تسبح فى السماء ، ففسروا ظهورها بتفسيرات تختلف عن تفسيرات العلماء ، فحيث اعتبرها الناس نذير شؤم وبؤس وبلاء ، نظر اليها العلماء على انها تحمل فى طياتها سرا من أسرار السماء ، ومن أجل هذا بدأت استعدادات هائلة لملاقاة مذنب هالى فى الفضاء ، اذ لأول مرة فى التاريخ ستتاح الفرصة للانسان لكى يقترب من هذا الزائر من خلال بعثات فضائية مزودة بأحدث ماوصلت اليه تكنولوجيا غزو الفضاء من أجهزة حساسة ، ستتجسس على تكوينه ، لتنقل لنا صورا «تشريحية» وتحليلية دقيقة لكل مايتوق العلماء الحصول عليه . فلعل ذلك يؤكد أو ينفى معلوماتهم السابقة عن هذه الأجسام الهائلة ، أو يقدم لهم صورة واضحة عن أصلها وفصلها وقدرها ، وبذلك يتضح سرها الذى حيرهم ردحا طويلا من الزمان .



شكل (٣) المذنب الكبير الذى ظهر عام ١٥٧٧ وكما تصوره الأتراك ورسموه فى تلك الصورة الغريبة ، ولقد أثار ظهوره هلع الناس ، وكان ذلك سببا مباشرا فى تشييد مرصد استانبول الفلكى .



شكل (٤) صورة فوتوغرافية نادرة التقطت لمذنب هالى فى عام ١٩١٠ ، وهى آخر مرة دخل فيها الى المجموعة الشمسية ، ثم اختفى ، لكنه سيعود العام القادم

المذنبات فى فكر القدماء

على أنه من الأوفق هنا أن نذكر شيئا عن الآراء التى وردت فى تعليل هذه الظاهرة الكونية المثيرة ، وكيف فسرها القدماء أو عبروا عنها فى الآثار التى تركوها .. فأول أثر ظل مسجلا عن المذنبات كان من حوالى ٣٢٠٠ عام ، اذ ترك قدماء المصريين رسما للآلهة الوثنية نوت وقد تهدل شعرها كضفائر تشبه الذنب الطويل ، «وبالرجوع الى كتابات اليونان القديمة ، يتضح أنها قد أشارت الى ان الفراعنة كانوا أول من عبر بالتلميح والاشارة عن العلاقة بين ظهور أحد المذنبات وبين الشعر الطويل الذى ينسدل خلف رؤوس الاناث» على حسب ماذكره بيتر براون تحت عنوان : المذنبات عبر التاريخ !

ولقد نظرت المجتمعات والحضارات المتعاقبة نظرات مختلفة الى المذنبات ، من ذلك مثلا أن البابليين اعتبروها بمثابة لحى سماوية ، وظنها اليونانيون القدامى شعورا متهدلة ، وتخيلها العرب سيوفا ملتهبة ، وفى عصر البطالمة وصفوها بأنها حزم ضوئية ، أو ابواق موسيقية ، او جرار مصقولة (مفردها جرة) .. الى آخر هذه التصورات التى تختلف باختلاف شكل المذنبات ، أو بيئة المجتمعات ! ولقد أعتبر المنجمون القدامى أن ظهور المذنبات تعنى الكوارث والمجاعات والهزيمة فى الحروب ، او ربما ايذانا بزوال دولة أوموت حاكم ، من ذلك مثلا أن زوجة يوليوس قيصر قد ناشدت زوجها ألا يقوم بأية مغامرة فى اليوم الثالث عشر من شهر مارس ، لأنها فى هذا اليوم قد شاهدت مذنبا !

وكانت أوربا فى العصور الوسطى تتلو الدعوات ، وتقيم الصلوات ، عند ظهور احد المذنبات ، ولقد ذكرها الناس على أنها إحدى شرور ثلاثة «ياإلهنا أنقذنا من الشيطان ، ومن الأتراك ، ومن المذنب الذى ظهر فى السماوات» .. ويرجع هذا الابتهال الى عام ١٤٦٦ حيث ظهر المذنب هالى ، واستولى الأتراك على القسطنطينية ، وهى معقل هام من معاقل المسيحية ، واعتقد الناس فى اوربا وقتئذ ان الله لايرسل هذه المذنبات الا ليوضح لهم أنه فى جانب الاتراك ، وانه قد نصرهم عليهم (شكل ٣)

ويذهب أسقف ماجدبيرج ــ ويدعى آندرياس سيليكيوس ــ الى أبعد من ذلك ، ويسجل فى عام ١٥٧٨ اعتقادا غريبا يجىء فيه «ان هذا الضباب الكثيف من خطايا الانسان يصعد الى السماء كل يوم وكل ساعة وكل ثانية وهو مغلف برائحة نتنة ، ثم



شكل (٥) آخر صورة التقطها مرصد حلوان بمصر لمذنب هالى قبل أن يختفى نهائيا عام ١٩١٠ .. لاحظ الرأس وكأنها تتوهج بهالة كبيرة ، وخلفها جزء من الذيل أو الذنب

يتجمع على هيئة كثيفة ، لتكون منه تلك المذنبات ذات الشعر المجعد المجدول . وعندئذ تضرم فيها نيران الغضب » ! .. وهو هنا يفسر سبب اختفائها عن الأنظار ، وكأنما الخطايا التى اتخذت شكل المذنبات قد محاها الله !

وحتى الى عهد قريب نسبيا ، أى عندما ما أعلن العلماء عن قرب وصول مذنب هالى فى عام ١٩١٠ ، انتشرت الاشاعات بين الناس ــ وخاصة الأمريكيين ــ عن قرب نهاية العالم ، لأن ذيل المذنب سوف يحيط بكوكب الأرض ويبث فيه الغازات الخانقة ، والمركبات السامة ، ورعب الناس ناشىء من كونهم قد سمعوا مايردده العلماء من أن المذنبات تحتوى على مركبات السيانور وأول أوكسيد الكربون والميثان .. الخ ، وهذا صحيح ، لكن تركيزه يكون من الضآلة بحيث لايؤثر على سكان الأرض ، وهو أقل بكثير من التلوث الحادث من نفايات السيارات والمصانع ، حتى على فرض أن الأرض قد اخترقت مكونات الذيل . والغريب أن منتهزى الفرص فى امريكا بالذات قد استغلوا رعب الناس ، وأوعزوا اليهم أن لديهم قناعات واقية ، وحبوب مانعة من أى تسمم قد يلحقهم ، وبالفعل أقبلوا عليها ، وحقق الانتهازيون أرباحا خيالية !

وأحيانا ما يفسر الناس ظهور المذنبات تفسيرات تتمشى مع مايشغل بالهم من أحداث ، من ذلك مثلا أن مراسل « التايمز » فى القاهرة بعث بخبر مؤداه أن أهل الريف فى مصر شاهدوا فى اوائل ١٩٧٠ جسماً مضيئا فى السماء ، ولعدة ليال متتالية . ولقد عللوا وجوده وقتئذ بأنه أحد الأسلحة السرية الاسرائيلية الخاصة بعمليات التجسس ، لكنه لم يكن ــ كما ذكر العلماء ــ الا مذنب « بينت » الذى ظهر بالصدفة فى هذا العام من أعوام حرب الاستنزاف بين الدولتين (شكل ٢)

على مسرح الأحداث

ولمذنب هالى الذى بدأت له الاستعدادات من الآن لمقابلته فى الفضاء فى العام القادم شواهد تفصح عن هويته بين المذنبات ، اذ لم يكن لهذا المذنب اسم قبل القرن السابع عشر ، لكنه سمي كذلك نسبة الى عالم الفلك الانجليزى إدموند هالى الذى عاصر العالم الشهير اسحق نيوتن ، اذ عندما ظهر هذا المذنب فى عام ١٦٨٢ ، بدأ كل من نيوتن وهالى فى اجراء الحسابات الفلكية لمساراته

المهم أن هالى كان أكثر تحمسا ، وأعظم نشاطا فى دراسة تلك الظاهرة ، ولقد تقصى آثار المذنب الذى ظهر فى عام ١٥٣١ ، ١٦٠٧ ، ١٦٨٢ (وهذا الأخير ظهر فى عصره) . واجرى عليه حساباته ، وتوصل الى حقيقة هامة : ان هذا المذنب يختفى ثم يعود فى فترات زمنية متساوية ، ولكى يدلل على صدق حساباته ، تنبأ بأنه سيعود فى عام ١٧٥٨ ، وطبيعى ان الرجل قد رآه أول مرة . ولهذا فلم يمتد به العمر ليراه لثانى مرة ، اذ مات عام ١٧٤٢ ، لكن المذنب عاد وظهر عام ١٧٥٨ ــ كما تنبأ تماما . ومن أجل هذا اطلق العلماء عليه اسم مذنب هالى تخليدا لذكراه ، والغريب ان سجلات التاريخ التى ذكرت ظهور هذا المذنب بأوصافة المعروفة ، قد امكن تتبع مسارها الى حوالى الفي سنة مضت ، مع الأخذ فى الاعتبار تكرار عودته كل ٧٦ عاما (او بالتحديد كل ٧٦٫١ عاما) ثم انك لو حسبت تاريخ ظهوره فى العصر الحديث ، اى باضافة ٧٦ عاما الى كل تاريخ سابق ، لتحتم ظهوره فى عام ١٨٣٤ ، ثم عام ١٩١٠ ، وهذا ماحدث بالفعل (شكل ٤) وسوف يعود بعد ٧٦ عاما من هذا التاريخ الأخير ــ أى فى العام القادم .

وطبيعى أن المعلومات التى سيحصل عليها العلماء فى هذا العام والعام القادم ، ستكون أتقن وأوفر واغزر واعمق ، وذلك بفضل التكنولوجيا الحديثة التى مكنت الانسان من غزو الفضاء ، والتجسس على مافيه بأحدث الأجهزة الحساسة والمتطورة . ومع ذلك ، فقد قدم لنا العلماء الذين عاينوا المذنب فى عامى ١٩١٠ ، ١٩١١ معلومات لابأس بها ، خاصة اذا ما قورنت بزمانهم .. من ذلك مثلا أن أقصى قطر لرأس المذنب كان فى حدود ٥٥٠ ألف كيلومتر ، ولو أضيف اليه الهالة التى احاطته ، لبلغ القطر حوالى ٩٧٠ الف كيلومتر (اى اكبر من المسافة بيننا وبين القمر بحوالى مرتين ونصف المرة) .. اما اقصى طول للذيل او الذنب فقد بلغ ٤٨ مليون كيلومتر . ولقد كان من المقدر أن تخترق الأرض ذنب المذنب فى يوم ١٩ مايو عام ١٩١٠ ، لكنها مرت فقط فى حافته الخارجية ، وكان بينها وبين الرأس حوالى ٨ مليون كيلومتر ، أى فى منطقة الأمان التام وزيادة ، ولقد أمكن رؤية المذنب بالعين المجردة لعدة شهور ، لكن المراصد الفلكية ظلت ترصده مابين ذهاب واياب لفترة امتدت لحوالى ٦٤٥ يوما ، وجدير بالذكر أن آخر صورة مرئية واضحة التقطت للمذنب كانت فى يوم ٢٩ أبريل عام ١٩١١ بمرصد حلوان بمصر (شكل ٥) .. إذ ساعد صفاء جوها على ذلك ، ثم أخذ يبتعد ويبهت الى أن اختفى تماما فى شهر يونيو من نفس العام ، وكان وقتها على مسافة تقدر بحوالى ٨٤٠ مليون كيلومتر من الشمس !

وفى بداية هذا العام سوف يبدأ رصد المذنب لأول مرة بالمناظر الفلكية الموجودة فى الأقمار الصناعية ، وستكون الرؤية اوضح ، رغم بعد المسافات التى تمتد الى مئات الملايين من الكيلومترات ، وسوف يظل يقترب ويقترب ، والأجهزة ترصد وتسجل ، الى أن يصل الى اقرب نقطة من الشمس فى يوم ٩ فبراير ١٩٨٦ ، اما أقرب موقع سيصل اليه من الأرض فسيكون يوم ١١ ابريل ، وعندئذ ستكون المسافة بيننا ٦١ مليونا من الكيلومترات ، أى أبعد بكثير من المسافة التى سجلت له فى عام ١٩١٠ ، ومن أجل هذا سيبدو اصغر حجما ، وأقل لمعانا ، ومع ذلك فيمكن رؤيته بالعين المجردة ، الا أنه سيكون أوضح فى نصف الكرة الجنوبى .

أسراب هائلة من المذنبات الهائمة

والواقع أن هالى ليس الا واحدا من مائة الف مليون مذنب تحيط بحافة مجموعتنا الشمسية ، على حسب تقدير العالم الفلكى ج . اورت ، أى كأنما هى اسراب هائلة ، من مذنبات هائمة ، تكون « سحابة » او هالة ضخمة تحيط بمجموعتنا الشمسية من الفضاء البعيد جدا ، اى يفصلنا عنها مسافات تتراوح مابين ١٠٠،٠٠٠ ــ ١٥٠،٠٠٠ وحدة فلكية (والوحدة هنا تساوى المسافة بيننا وبين الشمس . أى حوالى ١٤٩ مليون كيلومتر) .. او مايعادل ١٨،٦٢٥،٠٠٠،٠٠٠ كيلومتر فى المتوسط . ومع ذلك فالمذنبات لازالت بعيدة بمقدار مرتين ونصف عن اقرب نجم الينا فى مجرتنا ،

شكل (٦) مدارات الكواكب والمذنبات حول الشمس ، ويلاحظ أن مدارات الذنبات (المدارات الأربع الحمراء) توجد داخل المجموعة الشمسية ، وبعضها الآخر يتعداها الى الخارج (الرسم هنا لا يتمشى مع النسب الواقعية ، لضيق المساحة)

ومن اجل هذا ينجذب القليل منها الى الأقرب ، أى الى مجموعتنا الشمسية ، وتتجول بين كواكبها ، أو تطوف حول شمسها ، ثم تكر راجعة من حيث أتت ، او قد تسقط فى آتون الشمس ، أو تقع على بعض الكواكب ، خاصة الكواكب الضخمة مثل زحل والمشترى ، ولا مانع أيضا من أن تصيب أرضنا ، فتحدث فيها تخريبا ودمارا هائلا ، وأقربها مثلا ماحدث فى إحدى غابات سيبيريا عام عام ١٩٠٨ ، لكن ذلك موضوع آخر قد نتعرض له فى دراسة قادمة ، فربما يتكرر الحدث بضربة أقسى أو أرحم ، يتوقف ذلك على حجم المذنب !

ولهذه المذنبات مدارات مختلفة (شكل ٦) ، وسرعات متباينة ، وأحجام متفاوتة . ومن اجل هذا قد تأتي الينا على غير موعد ، أو بمواعيد محددة . فأقصر فترة زمنية سجلت لمذنب بين ظهور واختفاء كانت ٣,٣ سنة ، وصاحب هذه الزيارات المتكررة هو المذنب « انكة » ، لكنه باهت ، ولايكاد يرى الا بالمناظير الفلكية ، ومنها مايحل علينا ضيفا كلما مرت عشرات السنوات ، مثل مذنب هالى ، وهو من المذنبات الكبيرة اللامعة ، وقد لاتعود بعض هذه المذنبات الا بعد مرور مئات وآلاف السنوات . فالمذنب كوهوتيك الذى دخل الى مجموعتنا الشمسية ، وتجول فيها فيما بين عامى ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، لن يعود الا بعد مرور ٧٥ ألف عام ، ويقال ان المذنب ديلافان الذى ظهر فى عام ١٩١٤ سيرجع بعد ٢٤ مليون عام ــ أطال الله أعماركم !

لكن سر شهرة المذنب هالى أنه زائر منضبط الى حد بعيد ، ومثله أيضا عشرات من المذنبات التى تروح وتجيء فى مواعيد محددة ، ويعنى هذا وجود مذنبات كثيرة غير منضبطة ، ويرجع عدم انضباطها الى عمليات الجذب التى تتسلط عليها من الكواكب اثناء مرورها بالقرب منها ، مما يؤثر على تغيير مداراتها ، فيحرفها عن طريقها ، ولهذا تتعسر الحسابات الفلكية بشأنها !

طبيعة المذنبــات

والمذنبات اسم على مسمى ، لأنها « أجسام » تكتسب ذنبا عند دخولها الى العائلة الشمسية ، وكلما اقتربت من الشمس أكثر ، صار الذنب أطول ، واذا ابتعدت ، يبدأ الذنب فى الضمور الى أن يختفي تماما ، فاذا عاد المذنب .. ولذلك سبب ، والسبب يرجع الى طبيعة المذنب ، أو بالتحديد الى رأسه أو جسمه ، لأن الرأس نفسه قد يتضخم او يتورم آلاف او عشرات الآلاف من المرات ، او هكذا يبدو للراصدين من الأرض ، اذ قد يكون قطر الرأس وهو فى متاهات الفضاء حوالى كيلومتر أو ربما عشرة او عشرين كيلومترا ، يتوقف ذلك على حجم المذنب ، فاذا اقترب الرأس من الشمس يبدأ فى التمدد ، وتحيط به هالة كبيرة قد يصل قطرها الى حوالى مائة الف كيلومتر (قطر الأرض بالمقارنة حوالى ١٠,٢٠٠ كيلومترا) ، ومن الرأس أيضا يمتد ذنب يتراوح طوله مابين مليون كيلومتر الى اكثر من ١٠٠ أو ١٥٠ مليون كيلومتر ، اى قدر المسافة بين الأرض والشمس بالتقريب !

ومن أين جاءت المادة التى تزيد هذه الرؤوس تورما ، او الأذنات طولا ، رغم ان المذنب ذاته لايزيد قطره عن عدة كيلومترات ؟

الواقع ان طبيعته تختلف عن طبيعة أى جسم سماوى آخر ، فهى من غازات وثلوج وأتربة مكدسة فى نواتها او مركزها ، ونظرا لأن هذه المذنبات تقضى معظم حياتها خارج المجموعة الشمسية ، حيث الفراغات الهائلة ، والبرودة المطلقة ، والظلمات الحالكة ، فلابد لكل شيء ان يتصلب ، أى أن الغازات والأبخرة تتجمد وتتكدس ، فاذا دخلت النواة الى حدود الكواكب الخارجية ، واستقبلت من حرارة الشمس نزرا يسيرا ، فذلك كفيل بجعل المركبات الغازية المتجمدة تتسامى (أى تتحول مباشرة من صلابة الى غاز منتشر دون المرور بحالة السيولة) ، فتتطاير وتنتشر حول النواة مكونة غلالة رقيقة غاية الرقة ، لكنها واسعة غاية الاتساع (شكل ٧) .. حتى اذا وقعت عليها أشعة الشمس ظهرت كهالة لامعة أو مضيئة ، ويظل المذنب يقترب من الشمس ويقترب ، والغازات المتجمدة تتسامى وتنتشر ، والنواة والهالة تتضخم وتتسع . والرؤية تتضح وتتيسر ، الى ان يأتي الوقت الذى يصبح فيه « للرياح » الشمسية المندفعة أثرا متزايد على الهالة ، فتندفع الغازات لتتطاير وراء الرأس . وتتشكل ذيلا طويلا شفافا غاية الشفافية ، وبحيث لايوجد فى الكيلومتر المكعب من مادة الذنب الا بقدر مايحوى الملليمتر المكعب من غلافنا الهوائى من مادة غازية (الكيلومتر المكعب يساوى بليون متر مكعب ، والرياح الشمسية ليست رياحا بالمعنى المفهوم . بل موجات وجسيمات مندفعة) .. ومع هذه الرقة المتناهية فى الذيل ، الا أنه ــ مع ذلك ــ يلمع ، نظرا لعمقه او سمكه الذى يبلغ ملايين الكيلومترات . واحيانا ما تتغير شدة الرياح الشمسية نتيجة لاضطرابات قد تحدث فى جوف الشمس ، فيغير ذلك من شكل الذيل ، فتارة يستقيم ، وتارة أخرى يلتوى أو ينفرج او يضيق ، وهو مايلحظه المشاهد من كوكبنا ، ويراه اكثر ضياء من أى جسم سماوى آخر ، باستثناء الشمس والقمر .

والواقع ان الدراسات والصور الحديثة التى التقطتها بعض الاقمار الصناعية لعدد من المذنبات التى تتردد على مجموعتنا الشمسية ، توضح ان الرأس يتكون من غازات تجمدت فتبلورت ، وخاصة فى جوف المذنب أو نواته ، لكن يبدو أن هذه البلورات ليست مكدسة فى كتلة واحدة ، بل اقرب ماتكون الى الحالة الاسفنجية ، ولهذا فان كثافتها خفيفة ، وقد لاتتعدى عشر كثافة الماء ، كما يبدو أن البلورات الغازية مختلطة بغبار كونى ، ولهذا جاءت داكنة ، وكأنما هى تكونت من شيء عكر ، وحول النواة تتوزع البلورات وكأنما هى ريش خفيف منتشر ــ اى أن كثافتها أخف ، وعندما تسقط الحرارة على الطبقات الخارجية تتحول الى غازات ، ولهذا تظهر المذنبات فى الصور الحديثة وكأنما هى تتكون من طبقات ذات تركيبات مختلفة (شكل ٨) .

ولقد أمكن ايضا تحديد طبيعة المركبات البلورية والغازية من طيفها أو « بصماتها » الكيميائية ، إذ أن لكل ذرة أو مركب خطوط تدل عليه ، وتشير اليه ، ومن هذه الغازات نذكر ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ الميثان والسيلنور الميثيلى (سيانور وميثان فى مركب) وحامض السيانور والايدروجين وأول اوكسيد الكربون والنوشادر (وكلها ــ كما ترى ــ غازات خانقة) .. هذا بجوار آثار من الكربون والحديد والكالسيوم والنحاس والسيليكون والسيليكا (الرمل) والنيتروجين والصوديوم والمنجنيز .. الخ .. الخ .

الاستعداد للقاء المثير

ورغم أن العلماء قد جمعوا بعض المعلومات عن المذنبات بواسطة الأقمار الصناعية في السنوات القليلة الماضية ، الا أن الصيد الأكبر والأعظم سوف يتم من خلال دراسة أعمق للمذنب هالى ، اذ يبدو أن هذا المذنب سيصل في موعده المحدد تماما ، ولقد أمكن رؤيته لأول مرة في يوم ١٦ اكتوبر عام ١٩٨٢ ، ولقد تمت الرؤية من خلال المراصد الفلكية المتطورة ، وهذه أول مرة يتم فيها الرصد والمذنب لايزال بعيدا جدا ، اى كان وقتها على مسافة ١٦٠٠ مليون كيلومتر من الشمس ، وكان يندفع بسرعة تقدر بحوالى ٥٢٠ كيلومترا في الساعة في المتوسط ، أى اسرع بأربع أو خمس مرات من قطار سريع (وسرعة القطار متروكة لتقديرك على أية حال) .. وبعد ٣,٣ سنة من هذا التاريخ سوف يصل الى اقرب نقطة من الشمس ، ولا شك ان العلماء الآن (وقبل وبعد الآن) ينظرون اليه كل فترة زمنية ، كنوع من الاشتياق او الاطمئنان أو حب الاستطلاع والمعرفة !

ولقد بدأت الدول المتقدمة في الاستعداد لهذا الحدث بكل الوسائل الممكنة ، عدا الولايات المتحدة ، اذ لم يستجب الرئيس ريجان لعلماء الفلك بتخصيص بند مالى لدراسة المذنب ، بحجة العجز في الميزانية ، لكنهم سيستخدمون اجهزة الرصد التي تدور الآن في الفضاء (مثل التليسكوب الفضائى أى ام بى ٨ ، والرائد ٧) ودون ان يكون هناك برنامج حقيقى للقاء (شكل ٩) .. لكن الاستعدادات على الجانب الآخر كانت تتم على قدم وساق ، وفى المقدمة الاتحاد السوفيتى واليابان ومجموعة الدول الأوربية ، بواقع اثنين لكل من روسيا واليابان ، وواحد مشترك بين الدول الأوربية ، ولقد اجتمع ممثلو هذه الدول في بودابست للتنسيق ، على أن تنطلق سفن البحوث الفضائية بحيث تقترب من المذنب في شهر مارس عام ١٩٨٦ وهو على مسافة من الشمس تقدر بحوالى ١٤٥ مليون كيلومتر .

ومن المقرر أن يمر قمرا الاستكشاف الروسيان بالقرب من كوكب الزهرة قرب نهاية هذا العام ، ومن كل قمر « أم » سينطلق قمر أصغر ، ليدور حول الكوكب لمزيد من الاستكشاف والدراسة وجمع المعلومات ، ويتابع القمران الأصليان رحلتهما صوب المذنب ، وسيكون أحدهما على مسافة منه تقدر بعشرة آلاف كيلومتر ، والآخر سيقترب الى حدود ثلاثة آلاف كيلومتر ، ويقال إن العلماء الروس قد أعلنوا أنه بالامكان توجيه القمرين الى مسافة مائة كيلومتر لاغير ، واذا صح ذلك فلا شك أنه يعنى الدقة المتناهية للوصول الى الأهداف ، خاصة في هذا التيه الفضائى الذى يمتد حولنا لمئات الملايين من الكيلومترات (ونحن نتحدث هنا عن الفضاء المحلى فقط) ، لكن اليابان قد أعلنت أن قمرها سوف يرصد المذنب وهو على مسافة مائة ألف كيلومتر ، وسيتم ذلك في يوم ٨ مارس عام ١٩٨٦ ، وفى يوليو من هذا العام (أى عام ١٩٨٥) سينطلق قمر مجموعة الدول الأوربية لبحوث الفضاء من كورو بطيانا الفرنسية ، حيث يوجد مركز لاطلاق صواريخ الفضاء ، وسوف يقترب من المذنب لمسافة عدة مئات الكيلومترات في أوائل مارس ١٩٨٦ (شكل ١٠)

ولاشك أن أقمار استكشاف المذنب تحتوى على أحدث ما وصلت اليه تكنولوجيا عصر الفضاء من أجهزة حساسة ودقيقة وذات كفاءة عالية في الرصد وجمع المعلومات ، ولهذا فقد اسند تصنيع كل جهاز الى أحسن الشركات كفاءة في هذا المضمار ، فنرى الاتحاد السوفيتى مثلا يعلن أن أجهزة الكشف في القمرين قد شاركت في تصنيعها دول عديدة مثل فرنسا والمجر وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وبولندا والمانيا الغربية ، بالاضافة طبعا الى تكنولوجيا الاتحاد السوفيتى المتقدمة ، كذلك شارك في تصنيع اجهزة القمر الأوربى كل من سويسرا وبريطانيا وفرنسا وايرلندا والمانيا الغربية .

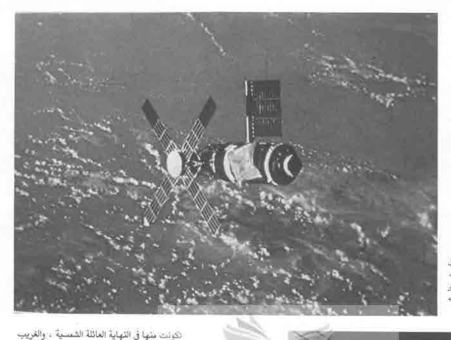
والأجهزة بطبيعة الحال سوف تستقبل وتصور



شكل (٧) صورة لمذنب ايراس التى التقطها أحد الأقمار الصناعية عندما كان في أقرب منطقة للأرض في يوم ١١ مايو ١٩٨٣ . ولم يقترب أى مذنب لمثل هذه المسافة منذ حوالى ٢٠٠ عام ، ولهذا وجدها العلماء فرصة ذهبية لدراسة مذنبية .. لاحظ ضخامة الهالة واتساعها حول نواة صغيرة نسبيا (الخطوط مسارات للنجوم نظرا لدوران الأرض)



شكل (٨) صورة حديثة بالأشعة تحت الحمراء توضح الطبقات المختلفة في رأس المذنب وذيله



شكل (٩) معمل فضائي سيشارك في استقبال مذنب هالي عن بعد ، وسوف يلتقط له صورا أكثر وضوحا ، ويقوم بتحليل تكويناته بأجهزة معقدة وحساسة



شكل (١٠) رسم توضيحي لطريقة اللقاء التي ستتم بين مذنب هالي وبين احدى سفن الفضاء عندما يصبح في أقرب موقع له من الشمس . ومن المقدر أن تقترب سفينة الفضاء لتصبح على مسافة آلاف الكيلومترات من المذنب

وتحلل وتصنف وترسل الى المحطات الأرضية كل مايتوق العلماء الى معرفته . ومن هذه الأجهزة ــ وعلى سبيل المثال لا الحصر ــ كاميرات تليفزيونية متطورة ، وأجهزة حساسة لتحليل الطيف الجسيمي ، ومزودة بقنوات ثلاث ، لتتعرف على نوع ذرات العناصر والمركبات الموجودة في كل من النواة والذيل والهالة وأجهزة مثلها تماما ، ولكنها تعمل بالأشعة تحت الحمراء ، واجهزة لتحليل الغبار ، وعدادات لتقدير توزيع الحبيبات ، وغيرها لتعيين أطياف الغازات المتعادلة ، وثالثة لقياس الجسيمات الذرية ذات الطاقات العالية ، ورابعة للمغناطيسية ، ومجسات ضوئية ، وأجهزة لتحليل المركبات المتأينة (أى التى تحمل شحنات كهربية موجبة أو سالبة) . ومحللات للبلازما الموجية ، وكاميرات للألوان المختلفة ، وعقول اليكترونية لتنسق بين هذه الأجهزة ، وتحدد لها أهدافها ، ومحطات ارسال واستقبال ... الى آخر هذه الاستعدادات التى ترصد أقرب ، وترى أحسن ، وتحلل أسرع ، وتحسب أتقن ، وتستنتج أكفأ ، وتشعر بكل مايخفى عن حواسنا القاصرة .

ولماذا كل هذا ؟

للمعرفة باسرار الكون ، وكيف نشأ ، إذ أن هذه الهائمات الفضائية الرقيقة والبسيطة لازالت على حالتها القديمة جدا ، أى أن خامتها البدائية لم تتشكل في أقمار أو كواكب أو شموس او ماشابه ذلك ، اذ ينظر اليها معظم العلماء على أنها بقايا من سحابة ضخمة غاية الضخامة ، وأن هذه السحابة كانت منذ حوالى خمسة بلايين عام رقيقة غاية الرقة ، لكنها بدات تتجمع شيئا فشيئا ، حتى تكونت منها في النهاية العائلة الشمسية ، والغريب أن تكوين هذه المذنبات يحمل معظم العناصر والمركبات البسيطة التى يكتشفها العلماء في السحب الكونية البعيدة ، والتى لازالت في مراحل تكوين مجموعات شمسية وليدة .

فكأنما هذه المذنبات قد قدر عليها التشرد والتيه في فضاء واسع ، في حين أن معظم مادة السحابة (وهى ليست كسحبنا بطبيعة الحال) قد استقر في شمس تدور حولها كواكب ذات تكوينات محددة ، ومدارات مقدرة ، وحركات منضبطة ، لكن بعض هذه المذنبات قد تزورنا بين الحين والحين ، ثم تتجول قليلا في ذلك الملكوت القائم ، وكأنما هى تحن اليه ، لأنها لازالت من ذاته وأصله . ثم هى قد تنجذب أحيانا الى اجرامه ، وتقع فيها ، وتصبح جزءا منها ، وكأنما هى استقرت بعد أن ظلت ضالة هائمة لملايين أو مئات الملايين من السنين ، لكن وقوعها على اى كوكب من كواكب المجموعة الشمسية قد يتمخض عن كوارث رهيبة ، خاصة اذا كان كوكبا معمورا بمخلوقات عاقلة او غير عاقلة ، ومن اجل هذا وغيره ، كان لابد من مقابلة المذنب القادم ، فربما وجدنا فيه مزيدا من الأسرار التى تقربنا من معرفة لغز نشأة المجموعة الشمسية خاصة ، والكون عامة ، ثم هو قد يبصرنا بطبيعة الكوارث التى حلت بأرضنا حديثا وقديما ، إذ قد تأتينا احداها بغتة ، دون ان ندرى او نشعر ، اذ ما اكثر مايخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد من خفايا الكون والحياة .

عبد المحسن صالح



البوابة الرئيسية للجامعة الأردنية ، ويبدو فيها الطراز المعماري الاسلامي

الجامعة الأردنية

نافذة حيّة على الثقافة والتعليم في العالم العربي

١١ ألف طالب وطالبة .. وثاني أكبر مكتبة في الشرق الأوسط .. ومستشفى جامعي على مستوى عالمي

بقلم : نبيل خالد الأغا

في احدى أجمل ضواحي العاصمة الأردنية وأبهاها ، ووسط أحضان الخمائل البديعة لأشجار الأثل والسرو والصنوبر ، تتربع الجامعة الأردنية الوارفة العطاء ، واحدة من أعظم جامعات الوطن العربي وأسماها . صرح عربي شاهق ، تنبعث من كافة قواعده وجنباته أضواء العلم والمعرفة ، فتنير قلوب العازمين ، وعقول الطامحين .

كان يوم ميلادها حدثاً مشهوداً في مسيرة المملكة الأردنية الهاشمية ، ففي الثاني من سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ م تقرر إنشاء الجامعة الأردنية لتوفير فرص التعليم ، وزيادة المعرفة الانسانية ، ودراسة التراث والثقافة العربية الاسلامية والحفاظ عليهما ، ومواكبة الركب الانساني في مجالات الفكر والانتاج والابداع بمنهجية علمية تهدف إلى بناء المجتمع الأردني ، وخدمة الأمة العربية الاسلامية .

ولم تكن الطريق لتحقيق هذه الارادة سهلة ولا ميسرة المسالك ..



بعض طالبات الجامعة بالزي الاسلامي في رحلة الى منطقة الجسور .

كانت القدرات المادية الأردنية يومذاك محدودة ، ومقننة .. لكن الطموحات لم تكن أبداً كذلك ، وبناء الانسان روحياً وعقلياً كان — وما زال — من اسمى الأهداف ، وأنبل الغايات .

وفي إحدى المناسبات العلمية عبر العاهل الأردني عن ظروف إنشاء الجامعة فقال « .. انني أذكر كيف نما هذا الصرح الجامعي من بدايته المتواضعة ليصبح قاعدة للعلم والتعليم نعتز بها في اردننا الحبيب ، ونفخر بها في وطننا العربي الكبير ، وفي منطقتنا بأسرها ، ومن هذه التجربة المحسوسة المتطورة نتعلم في وطننا كيف أن الارادة الانسانية والتصميم يصنعان من الموارد المحدودة وفي أصعب ظروف الضيق انجازات عظيمة تتجاوز الموارد والتوقعات ، وتفتح الآفاق الكبرى أمام الوطن والأمة » .

والبداية المتواضعة تبدو لنا في الصورة التالية : الجامعة الأردنية « كلها » عبارة عن كلية واحدة هي كلية الاداب .. والتحق بها يومئذ ١٤٩ طالباً ، و١٨ طالبة !

اما عدد الأساتذة فثمانية ، المتفرغون منهم ثلاثة فقط ، والباقون غير متفرغين !

وبالنسبة للميزانية فلم تكن تتعدى الخمسين ألف دينار !

ولم يكن بالحرم الجامعي سوى مبنيين صغيرين .

وبعد أثنين وعشرين عاماً تطالعنا صورة ناطقة للجامعة الأردنية في إطار باهر من الاعزاز والمهابة ، وهي بالقطع ليست الصورة الأمثل في أذهان المسئولين الأردنيين ، لكنها على كل حال صورة نقية معبرة تماماً عن ارادة الانسان العربي الأردني وتصميمه ، ونجاحه .

فما هي الملامح الدقيقة لهذه الصورة اليوم ؟

أصبح عدد الكليات ثلاث عشرة تتوزع ما بين العلوم الانسانية والعلوم البحتة والتطبيقية .

في العلوم الانسانية توجد كليات : الآداب والتجارة والاقتصاد والتربية والشريعة والحقوق والتربية الرياضية . وفي العلوم البحته والتطبيقية توجد كليات : العلوم والطب والتمريض ، والزراعة ، وهندسة التكنولوجيا والصيدلة ، وكلية طب الاسنان التي أعلن افتتاحها في العام الماضي ، وتضم هذه الكليات مجتمعة أكثر من خمسين قسماً أكاديمياً يدرس فيها ما يزيد على ثلاثة آلاف مادة دراسية في العام الواحد .

اما بالنسبة للعدد الاجمالي للطلبة فقد بلغ في عام ١٩٨٣ — ١٩٨٤ (١١٥١٨) طالباً وطالبة . منهم ٥٨١١ من الذكور و٥٧٠٧ من الأناث ، وقد تم قبول ٢٧٨٢ طالباً وطالبة من المستجدين في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي الحالي ٨٥/٨٤ ، ويبلغ عدد أعضاء الهيئة التدريسية ٦٢٧ عضوا من المتفرغين وغير المتفرغين

وقدرت النفقات لعام ١٩٨٣ بما يقرب من أربعة وعشرين مليون دينار ،

كما تجاوز عدد مباني الجامعة الاربعين .



حرية الطالب

وقد جهد المسئولون في الجامعة الأردنية منذ البداية ببنائها وتوسيعها وتطويرها على أساس مخطط تنظيمي ، واضحت مساحة الأرض ضعف المساحة التي خصصت للجامعة ابتداء .

وترسخ الجامعة مفهوم الحرية والمشاركة كأساس متين قامت عليه منذ تأسيسها ، حرية الطالب في أن تكون له أراؤه وتطلعاته ، حريته في أن يسهم في تطور العملية الجامعية إلى الأمام ، حريته في أن يحدد مستقبله المهني عن طريق ما يختاره من فروع الاختصاص ، وأن يختار المواد التي يرغب بدرسها ومن يحب أن يدرس على يديه من مدرسين أكفاء .

وكما تعنى الجامعة بتنمية معرفة الطالب وتدريبه العلمي ، فهي تعني أيضاً بتنمية شخصيته ، وابراز مواهبه الدفينة ، ومن وسائل هذه التنمية نشاطات الطلبة من خلال الجمعيات العلمية الطلابية ، واقامة المعارض والمجلات والرحلات الجماعية واللقاءات المختلفة .

وتتبع الجامعة نظام الساعات المعتمدة الذى يوفر للطالب المرونة في التخصص واعطائه الحرية في الاختيار والتغيير ، كما يساعد على التوفير في الجهد ، والتفاعل بين طلبة مختلف الكليات باجتماعهم في مواد يدرسونها حسب الخطة الدراسية التي يتبعونها ، وفي مواد اختيارية حرة ينتقونها حسب ميولهم ورغباتهم .

وتعتبر الجامعة الأردنية أن من أهم أهدافها القومية خدمة الوطن العربي وابنائه حيثما كان ذلك ممكناً ، ويتجسد هذا الهدف بقبول اعداد متفاوته من الطلاب والطالبات العرب في مختلف الكليات سنويا .

وانطلاقاً من التوجه العربي للجامعة فان مجلس امنائها يضم ستة من كبار المسئولين العرب ، يشاركون في اتخاذ القرارات والتوجيهات مثل اخوانهم الاردنيين في المجلس .

وهؤلاء السادة هم : معالى الاستاذ عيسى غانم الكوارى (قطر) ، معالى الشيخ أحمد زكي يمانى (السعودية) ، معالى السيد أحمد السويدى (الامارات) ، معالى السيد يوسف الشيراوي (البحرين) معالى السيد عبد اللطيف الحمد (الكويت) ، معالى السيد قيس الزواوى (عمان) .

اما أعضاء مجلس الامناء الأردنيون فهم السادة :

دولة السيد أحمد اللوزى (رئيس المجلس) ، معالى وزير التربية والتعليم ، معالى السيد عدنان أبو عوده ، معالى رئيس الجامعة الأردنية ، معالى الدكتور محمد سعيد النابلسي ، معالى السيد سليمان السكر ، معالى السيد أحمد الطراونة ، معالى السيد فريد السعد ، معالى الدكتور محمد نورى شفيق ، رئيس جامعة اليرموك ، سعادة الحاج محمد علي بدير ، معالى السيدة ليلى شرف .

في رحاب الجامعة

تلقيت مكالمة هاتفية تحدد موعد لقائي مع الأخوين الكريمين وليد المورهلي مدير العلاقات العامة ، ونبيل المجالي رئيس شعبة الأعلام . الساعة العاشرة من ضحى يوم صيفي ساطع



العاهل الأردني في لقطة تذكارية مع طلبة جمعية الخدمة العامة بالجامعة

الضياء ، وبمجرد أن تخطيت عتبات البوابة الرئيسية للجامعة اعتراني شيء قليل من الرهبة وشيء كثير من الهيبة ، فهذه أول مرة أدخل فيها هذا الصرح العلمي الكبير .

ان أول مايثير انتباه المرء عشرات .. بل مئات من الطلبة والطالبات متناثرون في انحاء مختلفة من الجامعة ، في الشوارع ، والطرقات الجانبية سائرون زرافات ووحدانا ، وعلى المسطحات الخضراء واقفون أو جالسون ، داخلون أو خارجون من المكتبة ، والمطعم ، والكلية ، وعمادة شؤون الطلبة ، ومكتب البريد ، والبنك ، وصالون تزيين الشعر ..

كل هذه المظاهر الجامعية استرعت انتباهي ، برغم أن الدراسة يومئذ صيفية . وعدد الطلاب عادة يكون أقل من معدله في أيام الدراسة الاعتيادية . ورغم ذلك فعدد الطالبات يكاد يكون مساويا لعدد الطلاب ، والكثير من الطالبات «يدنين عليهن من جلابيبهن» فيظهرن بملابسهن الشرعية في صورة مهيبة تبعث في جنان المرء الدفء والسكينة .

وعدد من الطالبات يرتدين أحدث الأزياء والمبتكرات التي انتجتها أعظم دور الأزياء في أعظم عواصم العالم تحضرا وتمدينا ، ولكنك على كل حال لا تملك الا أن تحترمهن لأنهن ينضوين تحت لواء العلم والمعرفة .

بعض الخريجين والخريجات بعد استلام شهادات التخرج في الحفل السنوى المعتاد

وخلال ترددي لعدة مرات خلال عدة أيام التقيت بعدد من كرام المسئولين والطلبة والطالبات . وكان لقائي الأول مع الدكتور رزق الرشدان مدير مستشفى الجامعة ، وقد حدثني عن تأسيس المستشفى وأقسامه وتطوره فقال :

تم تشييد المستشفى عام ١٩٧٣ ، وكان يعرف حينئذ بمستشفى عمان الكبير ويتبع وزارة الصحة .

وفي أول يوليو عام ١٩٧٥ ضم رسمياً إلى الجامعة وأصبح يعرف بمستشفى الجامعة الأردنية .

ويضم المستشفى حاليا ٥٥٠ سريراً ، يمكن زيادتها في الحالات الاضطرارية إلى ٦٥٠ سريراً موزعة على تسعة طوابق ، إضافة إلى طابق خاص بأمراض النساء والتوليد ، وثلاثة طوابق للخدمات العامة والمكتبة .

أما عن الهيكل التنظيمي للمستشفى فيضم

الملكة نور الحسين في زيارة لطلبة جمعية الخدمة العامة خلال يوم عمل



الملكة نور الحسين في زيارة تفقدية لمستشفى الجامعة ويبدو في الصورة الدكتور رزق الرشدان مدير المستشفى والاستاذ الدكتور قنديل شاكر

الأقسام التالية :

أولاً : قسم الأمراض الداخلية

ثانياً : قسم الجراحة العامة

ثالثاً : قسم الجراحة الخاصة

رابعاً : قسم الأطفال

خامساً : قسم التوليد وأمراض النساء

سادساً : قسم العيادات الخارجية ، وقسم الطوارىء ،

اما بالنسبة للتدريب الداخلي فهو يشمل إعداد الأطباء المقيمين ، واطباء الامتياز ، ومدرسة الممرضات المساعدات .

وبالمناسبة فان عدد الأطباء المقيمين بالمستشفى يزيد عن التسعين وعدد اطباء الامتياز يزيد عن الخمسين ، وأكثر من مائتين وعشرين ممرضة وممرضاً ، ويوجد نفس العدد تقريباً من الممرضات والممرضين تحت التدريب .

اما عدد أطباء الاختصاص من أعضاء هيئة التدريس فقد بلغوا ٧٢ طبيباً يقومون بتدريس الطلبة ويشرفون على تدريبهم العملي داخل المستشفى .

واشار الدكتور الرشدان إلى أن المستشفى يحصل على نسبة من ميزانيته من الدولة لأنه يؤدي خدمات الرعاية الأولية ،بمبالغ زهيدة إذا قيست بالنسبة للقطاع الخاص . ويعالج المستشفى جميع المحولين إليه من وزارة الصحة نظير اعفاء تصل نسبته إلى تسعين بالمائة أحياناً .

ان الجامعة الأردنية تتطور باستمرار ، وعلى الأخص في الأقسام العلمية التطبيقية ، كما أن الخدمات الطبية في الأردن تتطور كما ونوعاً .

ولقد تم انشاء مركز تعليمي لتنمية القوى البشرية العاملة في الحقل الصحي . وتمتد خدماته لتشمل منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط بالتعاون والتنسيق مع منظمة الصحة العالمية . ويدير المركز بكفاءة واقتدار الأستاذ الدكتور : قنديل شاكر شبير .

تراث الأمة وحاضرها

حرصت أن أزور كلية الشريعة نظراً لما تتمتع





الدكتور ناصر الدين الأسد
اول رئيس للجامعة



الدكتور عبد السلام المجالي
الرئيس الحالي





الدكتور راجح الكردي نائب
عميد كلية الشريعة



خلف الطراونة : احدث
ماجستير في الجامعة

اروى محمد الجمال طالبة
من الارض المحتلة

به من سمعة جيدة تخطت أسوار الجامعة، وحدود الأردن، لتضع أسرة الكلية وخريجيها في مرتبة سامقة من التقدير والاحترام. وما نزال نتذكر كلية الشريعة كلما استمعنا لرأى أو محاضرة أو قرأنا كتاباً أو مقالا لأحد أقطابها الكرام من أمثال، الدكتور مصطفى الزرقاء، والدكتور ابراهيم زيد الكيلاني، والدكتور عبد العزيز الخياط، والدكتور فضل عباس والدكتور إسحاق الفرحان وغيرهم.

يقول الدكتور راجح الكردي عميد كلية الشريعة بالنيابة متحدثاً عن الكلية: تأسست الكلية عام ١٩٦٤، والهدف من إنشائها ـ بصفة عامة ـ وصل حاضر الأمة بتراثها وحضارتها الإسلامية، وتخريج جيل من العاملين للاسلام والداعين إليه. والوفاء بحاجة المجتمع الأردني والبلاد العربية والإسلامية من المعلمين والوعاظ والمرشدين والخطباء وقضاة المحاكم الشرعية.

عندنا الآن بالكلية حوالى ٩٠٠ طالب وطالبة تقريباً. ستون بالمائة منهم من الاناث، وأربعون بالمائة من الذكور. ونظراً لاقبال الطالبات خاصة على الكلية لجأت الجامعة إلى تحديد نسبة القبول بمعدل خمسين بالمائة للطلبة ومثلها للطالبات.

كما نستقبل في كل عام جامعي في حدود مائتي طالب وطالبة. وبلغ الحد الأدنى للقبول في العام الماضي ٨٠ بالمائة للطالبات و ٧٨ بالمائة للطلاب.

وتخرج من الكلية منذ انشائها وحتى اليوم ما يقارب ١٦٠٠ طالب وطالبة.

والحقيقة أن وجود كلية الشريعة في الجامعة الأردنية هو وجود في موضعه الطبيعي، إذ أن الكلية تكرس قضية عدم انفصال الدين عن الحياة، وللكلية أثرها الذى لا يخفى في محيط الجامعة بشكل خاص، ونحن نعتز بأن طالباتها ونسبة لا بأس بها من طالبات الجامعة يرتدين الزي الشرعي بمنتهى الاختيار والحرية. فطالبنا ولله الحمد يمارس حقه تماماً في التوجه إلى تراثه وإلى حقيقة انتمائه لأمته. وكلية الشريعة كلية أكاديمية وعلمية الا أنها تمثل في نفوس الناس العودة إلى الانتماء، وهى تتجاوز كونها مهنة يأخذ بها الطالب وثيقة العيش إلى أن يصبح صاحب رسالة.

وعن نشاطات الكلية ومساهماتها في خدمة المجتمع الإسلامي قال الدكتور راجح: لقد أسهمت الكلية من خلال بعض اساتذتها في صياغة القانون المدني الأردني المستمد من الشريعة الإسلامية الذى هو الآن طور التطبيق العملي في الأردن.

كما أن الكلية تدعم بشكل مباشر الجامعة الاسلامية في غزة المحتلة وذلك باعارتها عضوى هيئة تدريس كل عام. كما أن للكلية علاقات وثيقة ومباشرة مع جامعة الأمير عبد القادر بمدينة قسنطينة بالجزائر الشقيقة. ونحن في كل هذا سعداء لأننا نؤدى جزءاً يسيراً من واجبنا.

ويشعر الطالب اسامة محمد الزميلي الطالب بالسنة الثالثة بأن سعادته غامرة لانتمائه الى هذه الكلية، ويقول: لقد تم قبولي في احدى الكليات العلمية، ونجحت في السنة الأولى، ولكنني وجدت نفسى بعيداً عن السعادة. فحولت أوراقى إلى كلية الشريعة فوجدت سعادتى في دخولها لأنها ستساعدني ـ عملياً وعلمياً ـ في الدعوة إلى رسالة الإسلام العظيمة. التى وهبت لها كل ذرة في كياني، وكل شهيق وزفير في حياتي.

طالبات من البلاد العربية

يوجد في الحرم الجامعى منزلان مخصصان لإقامة الطالبات يستوعبان ١٠٤٦ طالبة، حيث يستوعب منزل الزهراء (٥٤٢) طالبة، ومنزل الأندلس (٥٠٤) طالبة، ويتولى عملية الاشراف على المنازل مشرفات ومساعدات مشرفات. وكل المقيمات في هذين المنزلين اما اردنيات تسكن أسرهن خارج العاصمة، أو عربيات من أقطار عربية متعددة.

وبترتيب مع الأخ نبيل المجالي رئيس شعبة الاعلام ذهبت لزيارة منزل الزهراء، والتقيت بالطالبة القطرية الأخت عائشة الأنصاري التى تدرس بالسنة الثالثة بكلية الصيدلة، وتحدثت عن ظروف اقامتها ودراستها فقالت:

لقد كيفت نفسي مع الظروف والأجواء الجامعية منذ البداية، واستطعت أن أبني علاقات ممتازة مع بعض الزميلات من أقطار عربية عديدة سواء في السكن أو في مقاعد الدراسة.

ونحن على اتصال مستمر مع السفارة القطرية، ونحصل على الصحف والمجلات القطرية لنتابع أخبار وطننا وأهلنا.

ولما سألتها عن سبب اختيارها لكلية الصيدلية قالت: أشعر بمتعة حقيقية في دراستها. والذى يضاعف هذه المتعة أن أساتذتنا يتعاملون معنا باحترام. برغم انهم اشداء، وحازمون، ولا يتساهلون على الاطلاق، ولا يترددون في تطبيق القوانين الجامعية بحذافيرها. وهذا القول ينطبق على كافة كليات الجامعة الأردنية. وادعو الله أن يأخذ بيدى وأعود إلى قطر العزيزة لأساهم في نهضتها وتقدمها. وفى نفس الزيارة التقيت بالطالبة الفلسطينية أروى محمد الجمال التى حضرت من قضاء جنين بفلسطين المحتلة لتدرس في كلية الآداب بالجامعة. وقالت في معرض حديثها: لم أشعر بأية غربة في الأردن. ففلسطين والأردن بلد واحد، ومن يقول غير هذه الحقيقة فهو أساساً يجهل التاريخ، ولا يعرف الجغرافيا.

بالنسبة لنظام الدراسة هنا فصارم وحازم، واما نظام الإقامة في بيت الطالبات فهو نظام وحدوي، بمعنى اننا نلتقي هنا مع طالبات من جنسيات عربية مختلفة، وهو ما يجعلنا أكثر قرباً وودا.

عندما انتهى من دراستى بعد سنتين إن شاء الله سأعود إلى قريتي العزيزة وأعمل مدرسة في إحدى مدارسها حتى اشارك في تعليم الجيل الفلسطيني الجديد الذى يتعرض لعملية تجهيل

الشخصيات العربية في مجلس امناء الجامعة



مدير مستشفى الجامعة يتحدث الى المحرر



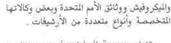


عزت زاهدة مدير دائرة التصنيف بالمكتبة



محمد عبد العزيز الغنيمين احد خريجي الجامعة

هنا وليد شواش احدى الخريجات





جناح قطر في المهرجان السنوي للجامعة الأردنية

صهيونية كبيرة ولئيمة.

انني أناشد كل اخواننا العرب، من خلال مجلة الدوحة أن يقدروا ظروف اخوانهم في الوطن الفلسطيني الأسير، وأن يقفوا إلى جانبنا في محنتنا الرهيبة.

مكتبة الجامعة

ان أية زيارة يقوم بها أحد الضيوف للجامعة الأردنية تعتبر ناقصة وغير مكتملة إذا لم تشمل مكتبة الجامعة التى تعد أكبر مكتبة فى الأردن، وثاني أكبر مكتبة فى منطقة الشرق الأوسط بعد مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت والتى يزيد عمرها عن مائة وعشرين عاماً.

وخلال زيارتي للجامعة توجهت إلى المكتبة، واستمعت الى شرح شيق عنها من الأستاذ عزت عوف زاهدة مدير دائرة الفهرسة والتصنيف حيث قال:

تتألف مكتبة الجامعة من المكتبة الرئيسة واحدى عشرة قاعة فرعية فى كليات الجامعة. وهى تعتبر مكتبة قومية، واكاديمية، ومتخصصة، يبلغ عمرها الآن ٢٢ عاماً. وقد تطورت خلال هذه الفترة تطوراً ملحوظاً. ويعمل بها حوالى ١١٠ موظفين، تتراوح مؤهلاتهم بين شهادة الدكتوراه والثانوية العامة. وتضم ٣٥٠ ألف مجلد، وتشترك فى حوالى ٣٧٥٠ دورية منها ٨٠٠ دورية عربية، والباقى دوريات أجنبية. كما تحتوى المكتبة على مجموعات خاصة متعددة من الكتب النادرة والمخطوطات وأشرطة الميكروفيلم والميكروفيش ووثائق الأمم المتحدة وبعض وكالاتها المتخصصة وأنواع متعددة من الأرشيفات.

وتزداد مجموعة المجلدات فى حدود عشرين ألف كتاب سنوياً عدا الدوريات. تفتح الجامعة أبوابها فى الأيام العادية لمدة ١٣ ساعة يومياً، وتستقبل روادها من مختلف الفئات بما فيهم أناس من خارج الجامعة، ولمدة ستة أيام فى الأسبوع.

ويتراوح عدد روادها يومياً من خمسة آلاف إلى ستة آلاف.

هذا وتضم المكتبة حالياً خمسة دوائر هي: دائرة التزويد، ودائرة التصنيف والفهرسة، ودائرة الدوريات، ودائرة المراجع والمجموعات الخاصة، ودائرة الاعارة.

اما على الصعيد الدولى فالمكتبة تتلقى بشكل منتظم مطبوعات العديد من المؤسسات الدولية مثل منظمة الأمم المتحدة فى نيويورك، ومنظمة الصحة العالمية فى جنيف، ومنظمة الزراعة والأغذية الدولية فى روما، والبنك الدولى للانشاء والتعمير فى واشنطن، ومنظمة اليونسكو فى باريس، ومنظمة نزع السلاح فى ستوكهولم، ومنظمة جامعة الأمم المتحدة فى طوكيو. وغيرها..

وبعــــد:

فإن الجامعة الأردنية التى تقف اليوم شامخة بين جامعات الوطن العربى ما كان لها أن تصل إلى هذا المستوى وأن ترقى إلى هذه المرتبة لولا العناية المستمرة التى تلقاها من العاهل الأردنى شخصياً، ومن رؤساء الحكومة الأردنية المتتالين، ومن أعضاء مجلس امنائها الذين آمنوا بأهداف هذه الجامعة ورسالتها فعملوا مع رؤساء الجامعة المتعاقبين للحفاظ عليها ورقيها، وتقدمها لتصبح فى مصاف الجامعات المتقدمة فى العالم.

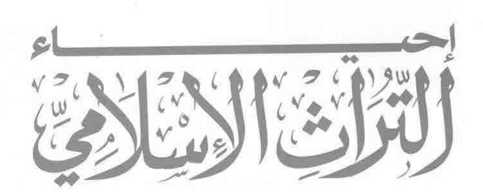
كما أن لكافة هيئات التدريس المتلاحقة أياد بيضاء فى غرس الفضائل النبيلة والمعارف العميمة فى أذهان الطلبة والطالبات الذين ادركوا مسئولياتهم بفهم وعمق وغندما تخرجوا وحملوا شارة الجامعة الأردنية عملوا على الوفاء لجامعتهم ومبادئهم. فصنعوا لاسم الجامعة اطاراً من المهابة والتقدير فى كافة الأوساط العلمية والتربوية على امتداد الساحة الأردنية.. والخارطة العربية.

رؤساء الجامعة الأردنية

الدكتور ناصر الدين الأسد	من عام ١٩٦٦ م إلى عام ١٩٦٨ م
الدكتور عبد الكريم خليفــة	من عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٧١ م
الدكتور عبد الســـلام المجالى	من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٧٦ م
الدكتور اســـحاق الفرحان	من عام ١٩٧٦ م إلى عام ١٩٧٨ م
الدكتور ناصر الدين الأسد	من عام ١٩٧٨ إلى عام ١٩٨٠ م
الدكتور عبد الســـلام المجالى	من عام ١٩٨١ م وحتى الآن.

نبيل خالد الأغـا

في الدوحة مركز هام للإشعاع الديني والحضاري



● الشيخ عبد الله الأنصاري .. قصة حياة حافلة في خدمة الدين والعقيدة والتراث

● قصة أول معهد ديني في قطر .. وجهود واسعة لبناء العديد من المساجد في الهند وباكستان

● إنشاء أحدث مدرسة إسلامية و٧٤ مركزاً لتحفيظ القرآن

● حصر شامل لكتب التراث في البلاد الإسلامية والغرب

بقلم: السيد حجازي ● تصوير: أمين بدوي

الرجل غني عن التعريف ، فهو فضيلة الشيخ عبد الله بن ابراهيم الانصارى .. الداعية الاسلامى الكبير ..

وأما الادارة فهى ادارة حماية التراث الاسلامى التى يتولى شئونها ..

وبين الرجل وهذه المهمة ، حماية التراث ، علاقة تاريخية طويلة ..

فقد نذر حياته لها ، ومن أجلها تفقه فى أمور الدين ، وأصبحت شاغله الشاغل ، يجوب من أجلها الأقطار والممالك ، ويمنحها الوقت والجهد والمال ، ولا يفكر الا فى أحوال الدعوة ، واعلاء كلمة الله ، ورفع شأن الاسلام والمسلمين ، وبناء المساجد وحضور مؤتمرات السيرة والسنة .. وغيرها من جلائل الأعمال ..

وحياته حافلة بكل ما يستحق أن يروى ..

فقد ولد الشيخ الانصارى فى مدينة الخور بقطر سنة ١٣٤٠ هـ فى كنف ورعاية والده صاحب الفضيلة الشيخ ابراهيم بن عبد الله الانصارى .. وكان قاضياً بالمدينة فى ذلك الوقت .

وقد رباه والده تربية دينية صادقة ..

حفظ القرآن على يد والده عندما وصل الى سن الثانية عشرة ، كما درس عليه أيضاً مجموعة من كتب الفقه وألفية ابن مالك وغيرها من الدروس والكتب ..

وفى سن السادسة عشرة استأذن والده فى الرحيل الى مدينة الاحساء فى المملكة العربية السعودية ، للاستزادة من العلم . وتم له ما أراد . ثم استقر به المقام بعد ذلك فى مكة المكرمة لنفس الغرض ، فقضى بها خمس سنوات ، وانتقل بعدها الى مدينة الدمام طلباً للعمل ..

مدرس وخطيب

واستقر به المقام فى احدى القرى المجاورة للمدينة تدعى قرية دارين ..

كان يؤم المصلين ويخطب فيهم أيام الجمع ، ويقدم دروسه الدينية بانتظام لأهالى القرية ، فالتف حوله الناس وأحبه الشباب ، وبعد عدة شهور كان يدير أول مدرسة فى القرية ..

وقد جاءت هذه الخطوة بناء على طلب الأهالى أنفسهم ..

كانت المدرسة شبه رسمية .. لكنه قبل مهمة التدريس فيها برحابة صدر ، وكان يقدم لتلاميذها كل ما تعلمه من دروس التفسير والحديث والنحو والصرف وعلم الحساب ..

وبعد عام من انتظام المدرسة طلب إليه قاضى القطيف فى ذلك الوقت أن يساعده فى عمله ..

وفعلا قضى سنة كاملة يعمل فى مجال القضاء بمدينة القطيف ، لكنه مالبث أن عاد الى قرية دارين بعد أن قامت وزارة المعارف السعودية بافتتاح مدرسة رسمية فيها ، وعينته مديراً لهـا ..

وقد قضى فى هذا العمل ثلاث سنوات ، كان خلالها يقوم بالتدريس ، ويعمل إماماً وخطيباً للمسجد الجامع فى القرية ، ويتولى معالجة الخلافات التى تنشب بين الناس ويبت فى قضاياهم .. كما كان أيضاً ينهض بمهمة اتمام عقود الزواج والطلاق وكل ما يتعلق بالأحوال الشخصية داخل القرية ..

أول معهد دينى

وعاد الشيخ الانصارى بعد ذلك الى قطر ، واستقر فى مدينة الدوحة ، لتبدأ مرحلة حافلة من حياته فى خدمة العلم والدين ..

فقد استأذن صاحب السمو المغفور له الشيخ على بن عبد الله آل ثانى بافتتاح أول معهد دينى فى البلاد . وكان ذلك سنة ١٣٧٤ هـ . وخرجت الفكرة فعلا الى حيز الوجود . فقام بإدارة المعهد والاشراف عليه ، والتدريس لتلاميذه ..



فى مراكز تحفيظ القرآن بدولة قطر : المعلم يقوم بدور هام مع شباب الغد



ثلاثة من الصبية يقرأون آيات مباركة فى المصحف الشريف

وقد استمر هذا المعهد الدينى لمدة ثلاث سنوات ، ثم ضم إلى إدارة المعارف آنذاك ، وتحول الى مدرسة ابتدائية باسم المدرسة الجديدة الابتدائية ، ثم عرفت بعد ذلك بمدرسة صلاح الدين الأيوبى الابتدائية ..

وقد ترك الشيخ الانصارى المعهد بعد أن أسندت إليه إدارة حديثة أفتتحت فى ذلك الوقت هى إدارة الشؤون الدينية والقروية ، وكانت تابعة لوزارة المعارف ، ومسئولة مسئولية مباشرة عن القرى التابعة لقطر فى كل شئونها .. من الاشراف على العلوم الشرعية وكتبها ومناهجها ، وما يتعلق بها من تعليم وخدمات عامة فى الطرق والمواصلات والاسكان وغيرها ..

إدارة مستقلة

وفى عام ١٣٧٩ هـ أنشئت إدارة مستقلة باسم إدارة الشئون الدينية على مستوى دولة قطر ، وأسندت إدارتها لفضيلته ..

كانت هذه الإدارة الوليدة حينذاك تختص بالوعظ والإرشاد ، ونشر التراث الاسلامى ، وطباعة الكتب الاسلامية وتحقيقها ومراجعتها ، وانشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم . وقد استمرت الإدارة على هذا النهج لمدة عشرين سنة ..

وفى عام ١٤٠٢ هـ تحولت هذه الإدارة بمرسوم أميرى إلى إدارة احياء التراث الاسلامى وبنفس التخصصات والأهداف .. وأخذ الشيخ الانصارى فى تدعيم جهودها ، ونشر أعمالها فى الداخل والخارج ..

وانطلاقاً من وجوده فيها ، ومن دوره الدينى الكبير ، أصبح الشيخ الانصارى عضواً هاماً فى عدة روابط ومجالس ولجان ، منها على سبيل المثال : رابطة العالم الاسلامى ، ومجلس أمناء المركز



الشيخ الانصارى : وقته مشغول بالرد على الاستفسارات وحل المشاكل

الاسلامى الأفريقى . ولجنة تحكيم الشريعة الاسلامية : ولجنة التحكيم لاتحاد مجاهدى أفغانستان ، ومجلس ندوة العلماء فى لكنهو فى الهند ، واللجنة التحضيرية للمؤسسة الخيرية الاسلامية العالمية فى الكويت ، والمجلس الأعلى العالمى للمساجد فى مكة المكرمة ..

العناية بالتقويم

ولا يقف نشاط الرجل عند هذا الحد ..

فالى جانب تأسيسه لأول معهد دينى فى قطر ، فهو يشرف على الوعظ والارشاد واحياء المناسبات الدينية . وهو أيضاً يعنى بالتقويم فى قطر بصورة خاصة وفى الخليج والمملكة العربية السعودية بصورة عامة . وقد بدأ التقويم القطرى منذ عام ١٣٧٦ هـ والى العام الحالى ..

وقد رأس أيضاً لجنة تبرعات مجاهدى أفغانستان . وشارك فى مؤتمر السيرة والسنة النبوية الأول والثانى ، واعد ورأس مؤتمر السيرة والسنة النبوية الثالث الذى انعقد فى الدوحة عام ١٤٠٠ هـ .

وافتتح الشيخ الانصارى عدداً من المراكز الاسلامية فى كوريا الجنوبية والهند واليابان والفلبين ، وأشرف على البعثات العلمية المرسلة من قطر الى كوريا والهند واليابان ، كما أشرف على بناء تسعة مساجد فى باكستان ، وأربعة فى الهند ، ووضع الحجر الاساسى لمركز سلمان الفارسى الاسلامى فى كراتشى ..

وقد أفتتح كذلك الكلية الاسلامية العربية فى كوتيادى كيرالا بالهند عام ١٤٠١ هـ ، وأشرف على رئاسة بعثة الحج القطرية لمدة خمس عشرة سنة ، كما أشرف على تحقيق ونشر وطبع مختلف الكتب الاسلامية واحياء كثير من كتب التراث والمخطوطات المنوعة ، واظهارها فى شكل طباعى ملائم ..

الندوة القرآنية

وقام الانصارى أيضاً بشراء وتوزيع أمهات الكتب الدينية فى كافة أنحاء العالم الاسلامى على رجال العلم والقضاء وأرباب الفكر الاسلامى . وأسس الندوة القرآنية الاسبوعية فى مسجد الندوة عام ١٣٨٢ هـ ، وتابع استمرارها حتى يومنا هذا فى اداء رسالتها خدمة للقرآن الكريم ، وشارك رجال القضاء فى دولة قطر فى كثير من الحالات القضائية وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية والطلاق والزواج ..

وكان وراء تأسيس مراكز تحفيظ القرآن الكريم والاشراف عليها من عام ١٣٩٠ هـ للبنين والبنات فى دولة قطر . وقام بالاشراف على مسابقة حفظ كتاب الله الكريم ، وتقديم المكافآت القيمة للفائزين فيها .

وكان دائم العناية ولا يزال بطباعة القرآن الكريم فى طبعات متعددة وبأحجام مختلفة وتوزيعها على العالم الاسلامى ، كما أشرف على انشاء عشرة مساجد فى مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف ، وشارك فى ملتقى الفكر الاسلامى فى الجزائر ، ومؤتمر الأدب الاسلامى فى لكنهو بالهند ، ويقدم الأحاديث الدينية الأسبوعية عبر الاذاعة والتليفزيون ، وفى كل المناسبات الدينية ..

ورجل بكل هذه الصفات وهذا التاريخ الحافل فى خدمة الاسلام والمسلمين والحاضر المعطاء فى هذا المجال الهام والكبير ، يصبح الحديث معه ضرورة



انهم منصرفون الى التلاوة والتجويد والحفظ.. وهم مثل طيب الشباب المسلم

وفائدة . والانصات الى كلماته من أكبر النعم ..

وقد حرصت على أن يكون حديثي مع الشيخ الانصاري حاملاً لكثير من النقاط ، شاملا للعديد من الموضوعات ..

وكان الرجل واسع الصدر كعادته ، فياضاً في الاجابة ، لم يبخل بجهد أو وقت ..

مراكز تحفيظ القرآن

وعندما سألته في البداية عن الأعمال التي يعتز بها دون سواها من أعمال الادارة ، قال على الفور ان مراكز تحفيظ القرآن الكريم تحتل مكانة عزيزة خاصة في نفسه ، تليها أو تساويها في المكانة أعمال احياء التراث الاسلامي في مجالات التفسير والسيرة والعقيدة ..

وهو سعيد سعادة بالغة بالطلبات التي ترد الى الادارة من مشارق الأرض ومغاربها ، تطلب المطبوع من كتب التراث . وهو يسعد نفس السعادة عندما يزور العديد من البلاد ويشاهد بنفسه المشروعات الوليدة وقد تحولت الى واقع حي ملموس ، يرفع راية الاسلام ،ويفيد المسلمين ..

من هذه المشروعات بالذات يخص بالذكر دور الأيتام ..

في الهند مثلا توجد أربع دور منها تحت اشراف الادارة . وهناك مؤسسة خيرية يقف هو وراء انشائها في العام الماضي في الهند أيضاً ، تتولى اعداد دور الأيتام وانشاء المساجد . وهناك كذلك المؤسسة الاسلامية بتايلاند ، وهي وغيرها تعتبر من الأعمال الخاصة التي يتولاها بنفسه ، ويرعى انشاءها بجهد ذاتي ..

ونفس الشيء بالنسبة لعدد كبير من المساجد تحت الانشاء في باكستان والهند ..

بل انه قرر البدء في مشروع منظمة جديدة في كراتشي باسم الشيخ محمد بن جبر آل ثاني ، تتولى تنفيذ عدد من المشروعات المهمة : انشاء مسجد ومستوصف في كراتشي ، ومسجد كبير في إقليم بشاور ، وجامعة لتحفيظ القرآن ..

وهناك أيضاً كما قال فضيلة الشيخ الانصاري مسجد جامع تابع لمحمد عبد الله العطية ، في حي جهلم من احياء اسلام أباد ..

والمشروعات التي يعتز بها الرجل كثيرة ، لكنه لا يريد تعديدها ، فهي لوجه الله والمسلمين وخشية الاطالة على القراء أيضاً ..

وحين يتحدث عن سفراته يقف وقفة خاصة عند رحلته الأخيرة الى السودان ..

هناك حضر مؤتمر تطبيق الشريعة الاسلامية في الخرطوم . وكان ذلك بالنسبة له مصدر سعادة . كما كان تطبيق الشريعة الاسلامية في السودان مصدر اعجاب وتقدير من جانبه ، وياحبذا كما قال أن تحذو دول أخرى حذوها ..

مؤتمر خاص

ويرحب الرجل ترحيباً بالغاً بتوحيد جهود احياء التراث الاسلامي على مستوى الدول الاسلامية كلها ..

وهو يرحب بخطوة هامة في هذا الطريق : مؤتمر خاص تحضره كل الجهات والهيئات العامة في هذا المجال ..

كما يرحب أيضاً بعقد هذا المؤتمر في قطر ، وهو واثق من وقوف سمو الأمير حفظه الله في صف هذه الدعوة من أجل احياء التراث الاسلامي بشكل موحد ، وشامل ومكثف ..

وعن الجهود المماثلة التى تقوم بها جهات أخرى لاحياء التراث الاسلامى تحدث ..

قال ان هناك اهتماماً ملحوظاً من جامعتين هما جامعة أم القرى وجامعة الامام محمد بن سعود .. ان كلا منهما تهتم اهتماماً بالغاً بجمع المخطوطات ..

لكنه يضيف نوعاً من التمنى أن يسعى فى احياء هذه المخطوطات التى يتم جمعها . ويعود لما اقترحه من قبل بعقد مؤتمر خاص بهذا العمل يضم الباحثين فى الجامعتين ، والمهتمين باحياء التراث ، على أن تتولى احدى الجامعتين رئاسته ، مفضلا هو الابتعاد عن كرسى الرئاسة كعادته ، لأن ما يهمه هو الوصول الى الهدف ..

الشباب والمرشد

ويعتقد الرجل أن لدى الشباب المسلم الآن اقبالا على سلوك الطريق الصالح ، وعلى احياء معالم الاسلام ، وعلى الاقتداء بالسلف الصالح ..

لكن ما ينقص هذا الشباب الحاجة الى موجه والى مرشد ..

وهو لذلك يأمل من أهل الدراية والمعرفة أن يهتموا بهذا الجانب ، وأن يكون التوجيه صالحاً ، يتمشى مع المنهج الاسلامى الذى خططه لنا القرآن ..

وسألته عن دور الادارة فى إرسال دعاة الى بعض البلاد فى أفريقيا وآسيا ، لشرح الدعوة ، وحماية التراث ..

ويأخذ الرجل فى الاجابة بتواضع شديد ..

ان الادارة فعلا لا تقصر فى هذا المجال .. فقد أرسلت دعاة الى كثير من البلاد وبطريقة مباشرة ..

لكن هذا يحدث فى حدود استطاعتها ..

ان هناك مثلا دعاة ومعلمين وموجهين فى كل من كوريا والهند والفلبين والجابون وفى بريطانيا أيضا ..

وهؤلاء ينتشرون فى هذه البلاد فى رمضان وفى غير رمضان .. وكان الأمل ولايزال أن يزداد عدد هؤلاء الدعاة ، وطرح هو الموضوع فى كثير من المؤتمرات ، ولقى الاستجابة .. وبقى التنفيذ ..

لكنه يشير هنا الى جهد ملموس فى هذا المجال ، تبذله رابطة العالم الاسلامى والمجلس الأعلى للمساجد وإدارة الدعوة والإرشاد ..

ان لهذه الجهات عدداً لايستهان به من الدعاة فى آسيا وأفريقيا . ويكفى القول هنا بأن للرابطة مثلا فى أندونسيا حوالى ثمانمائة داعية . وهناك أعداد أخرى فى ماليزيا وبقية الدول الأسيوية والأفريقية ..

العلم الصالح

ويوجه فضيلة الشيخ الانصارى فى نهاية حديثه معى النصح الى الشباب المسلم بسلوك النهج الصحيح ، والاهتداء بالكتاب والسنة والسيرة النبوية ، وتمثل العلم الصالح ، والابتعاد عن الكتب الضالة والمضلة بنظرياتها المفسدة .. ولا ينسى وهو يختم الحديث بأن يسأل الله بأن يهيىء للاسلام الشباب الصالح الذى يرفع علم الشريعة ويعمل بـه ..

واذا كان الحديث قد دار حتى الآن عن الرجل ومعه ، فماذا عن الادارة التى يتولى شئونها ، إدارة احياء التراث ؟ ..

ماذا قدمت وماذا تنوى أن تقدم ؟ .. كيف بدأت واستمرت والى أين تنوى أن تسير ؟ ..

ما هى أعمالها الملموسة داخلياً وخارجياً ؟ .. وما هو التقييم الحقيقى لدورها الذى قامت به حتى الآن ؟ ..

وهل نجحت حقاً فى أداء رسالتها ، وما هى مقاييس هذا النجاح ؟ ..

وبداية فقد حددت اللائحة الداخلية للإدارة ثلاثة أهداف كبيرة تنهض بها ، وينبغى عليها تحقيقها .

ويتمثل الهدف الأول فى الاهتمام بشئون القرآن الكريم وحفظه وطباعته بصفته الدستور الحقيقى لأمتنا حتى يظهر فى أبهى حلة وأكمل صورة . لأنه المصدر الأساسى لتراثنا القائم بين أيدينا نأخذ منه الزاد ..

ويبرز الهدف الثانى فى جمع ما يمكن جمعه من انتاج المفكرين والعلماء من المسلمين قديما وحديثا ، مما يمثل روح الأمة الاسلامية وحكمتها وتجاربها وابداعاتها فى مجال العلوم والآداب على مر الزمان ..

أما الهدف الثالث فهو المساهمة برعاية هذا التراث باعتباره ثروة علمية قومية والمحافظة عليه من الاندثار أو التحريف أو التبديل أو الضياع ..

وانطلاقاً من هذه المفاهيم تركزت نشاطات الادارة فى عدة مجالات هامة ..

انها تهتم بإجراء التحقيق المنهجى الأمين لما يتوفر جمعه من التراث ، الذى يعتمد على الدقة العلمية ، وتأمين السهولة واليسر للقارىء والمراجع ..

وهى تعمل على نشر التراث بعد تحقيقه فى صورة فنية رفيعة من حيث الطباعة والتنظيم والتعليق والتنسيق ، مما يجعله مجالا طيباً لعرض الفكر والحضارة الاسلامية بصورة لابأس بها ..

ثم أن الادارة ترصد الكتب العلمية الاسلامية القديمة وبخاصة المخطوطات القيمة التى تفرقت فى مكتبات العالم المختلفة ، وتعمل على الحصول عليها أو تصويرها وحفظها ، تمهيداً لدراستها ونشرها حسب برنامج معين ..

ومن نشاطات الادارة أيضاً العمل على انشاء مكتبة مركزية متخصصة للتراث الاسلامى ، يراعى فى انشائها أن تكون قائمة على أحدث الوسائل لحفظ التراث ، ومزودة بما يجعلها تؤدى دورها بفاعلية ، حتى تكون مرجعاً وعوناً للباحثين والمتخصصين . ومن النشاطات أيضاً اصدار نشرة علمية متخصصة فى شئون التراث الاسلامى ، تعمل على التعريف به ، ونشر أبحاث الدارسين ..

وتقوم الادارة أيضاً باعداد المواسم الثقافية وعقد المؤتمرات والندوات العلمية والحلقات الدراسية ، للتعريف والبحث والحوار فى أهم الموضوعات التى تتعلق بالتراث الاسلامى جمعاً وتحقيقاً ونشراً ..

وهى كذلك تعمل على رصد انتاج المستشرقين فى مجال التراث ، وتبصير الأجيال بأهداف حركة الاستشراق ، وتقرب بين التراث الاسلامى والشباب ، وتقوى الصلات مع الهيئات والمؤسسات ومراكز الأبحاث التى تعمل على جمع التراث ..

الواقع الحي

وقد انعكست كل هذه النشاطات فى عدة خطوات عملية ، ترجمت الأهداف الى واقع حى ، نابض بالحركة والحياة ..

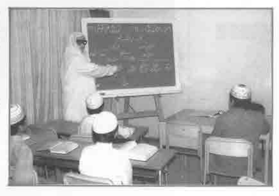
ويستعرض معى الأستاذ محمد الشافعى مساعد الشيخ الانصارى العديد من الأعمال فى كافة المجالات ..

فقد قامت إدارة احياء التراث بإنشاء مدرسة قطر لتحفيظ القرآن الكريم ، ولديها خطة طموحة لتطوير هذه المدرسة . فهى تعمل على أن تكون أحدث مدرسة اسلامية فى المنطقة ، يدخلها الطالب الصغير فى بداية سن التعليم ، ويتخرج منها بعد ست سنوات ، حافظاً للقرآن الكريم عن ظهر قلب ، وحاصلا على الشهادة الابتدائية ..

وهناك دراسة شاملة لانجاز هذا المشروع فى



الشيخ الانصارى أثناء حديثه لمجلة الدوحة



داخل الصف في مدرسة قطر لتحفيظ القــــرآن : المدرسة الأولى بالمنطقة

أقرب وقت ..

كذلك قامت الإدارة بالعمل على انتشار مراكز تحفيظ القرآن الكريم للبنين وللبنات على كل أرض قطر .. ويبلغ عددها للبنين ٦٤ مركزاً وللبنات عشرة مراكز ..

وفي الوقت نفسه قامت بتحقيق ونشر كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن العطية الغرناطي الأندلسي المتوفى سنة ٥٤١ هـ . وهذا الكتاب يعتبر موسوعة في علم التفسير لما حواه من أقوال وآراء السابقين وتعليقات المؤلف عليها . فهو لم يترك شاردة ولا واردة الا أوضحها ، وبين رأيه العلمي الرصين فيها ، حتى علم القراءات يجده القارىء متضمناً له بشكل واضح ..

وقد أنجزت الإدارة سبعة مجلدات من هذا الكتاب حتى الآن ، وينتظر أن يصل الى أحد عشر مجلداً . مع الفهارس ..

كما أن هناك الى جانب هذا العمل مجموعات طيبة من مطبوعات التراث استطاعت الإدارة انجازها في وقت قياسي ..

نشر الكتاب الاسلامي

وجهود الإدارة في مجال نشر الكتاب الاسلامي تستحق وقفة خاصة ..

فهي تقوم بتوزيع الكتاب الاسلامي محلياً وخارجيا ، كما يقول الأستاذ الشافعي ، بين الأخوة المسلمين . لمساعدتهم على الاستزادة والمعرفة الاسلامية في أمور دينهم الحنيف ، ومواجهة الحملات التبشيرية في بعض البلاد ..

وهناك كتب اسلامية قامت الإدارة بطبعها بأكثر من خمس عشرة لغة أجنبية ، وأبرزها الانجليزية والفرنسية والفارسية والأردية وغيرها . وهي تتناول العديد من الموضوعات ، مثل تعليم الصلاة ، والاسلام تحت المجهر ، وعقيدة المسلم ، والوصية الواجبة في الشريعة الاسلامية ، وفقه محمدي ، وشرح الأربعين النورية ..

وتتنوع الكتب وتتعدد ..

هناك مثلا كتب خاصة بالعلماء وهي المراجع التي يحتاج إليها الباحثون ، وأخرى لكل مستوى من الثقافة . كما أن هناك كتباً للمرأة المسلمة ، وأخرى في تربية النشء في الاسلام ..

والشيء الملفت للنظر في هذا المجال وجود كتب لم يكتب لها الظهور الا في دولة قطر ..

من هذه النوعية : الكتب المخطوطة التي تقوم الإدارة بتكليف العلماء الاجلاء بتحقيقها ، مثل كتاب تفسير مجاهد . وهو من تحقيق الشيخ عبد الرحمن السورتي . وكتاب العذب الزلال في مباحث رؤية الهلال ، وهو من تحقيق الشيخ عبد الله الانصاري نفسه ..

وهناك أيضاً كتب أخرى حديثة لمؤلفين مازالوا على قيد الحياة ، مثل مصرع الشرك والخرافة وصيحة الحق والكشاف الفريد ، وموضوع هذه الكتب الثلاثة الأساسي هو التوحيد وعدم الشرك بالله . تضاف إليها كتب لمؤلفين راحلين مثل كتب ابن قيم ومنها طريق الهجرتين ، واظهار الحق لرحمة الله الكيرانوي وهو عبارة عن مناظرة بين قسيس مبشر بالهند والشيخ المؤلف ..

وقد بلغت الكتب التي قامت بطبعها الإدارة نحو مائة وخمسين كتاباً ، منها ما قامت هي بتحقيقه ، والباقي طبع باشرافها محلياً أو بالاشتراك مع بعض دور النشر ، مثل كتاب البيان والتحصيل وهو عبارة عن فتاوى بالفقه المالكي ، ومازال تحت الطبع بالاتفاق مع احدى دور النشر ببيروت ..

ميزانية محددة .. ولكن

لكن من أين للإدارة بالأموال التي تنفقها على أعمالها وبالذات على طبع هذا الكم من الكتب ؟ ..

طرحت السؤال خلال وقوفي على نشاطات إدارة احياء التراث ، وخلال لقائي بالعاملين فيها ، وبالتجول في أقسامها ومراكزها المختلفة ..

وجاءتني الاجابة بشكل محدد ودقيق ..

انها إدارة حكومية لها ميزانية محددة ، ومقسمة الى بنود ، ومنها بند لطبع الكتب ..

لكن هذا البند بطبيعته محدود لا يكفي لطبع جميع الكتب التي تشرف على طباعتها .. فماذا تفعل في مواجهة هذا الموقف ؟ ..

انها تتجه الى راعي نهضة هذا البلد حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ..

عندئذ يقوم مشكوراً بطبع ما يتم عرضه عليه من كتب على حسابه الخاص . ولو قدرت تكاليفها لفاقت عدة أضعاف البند المخصص بالميزانية ..

ويهتم سموه بطباعة القرآن الكريم ، وقد قام بطبع عدة طبعات مختلفة من كتاب الله على نفقته الخاصة ..

ويقوم سمو ولي العهد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني بجهد مشكور في هذا الصدد أيضاً ..

انه لا يدخر وسعاً في القيام بطبع الكتب التي تعرضها عليه الإدارة على نفقته الخاصة ..

ولقد قامت الإدارة فعلا بطباعة القرآن الكريم طبعة خاصة على نفقة سمو ولي العهد الى الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدنية المنورة (٢٠٠ر٠٠٠ نسخة) وزعت على كافة مساجد الحرمين ..

ويقوم بعض رجال الخير وفي مقدمتهم سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثاني وزير التربية والتعليم بتحمل تكاليف بعض المطبوعات ، كان أخرها طبعة أنيقة مباركة من كتاب الله ..

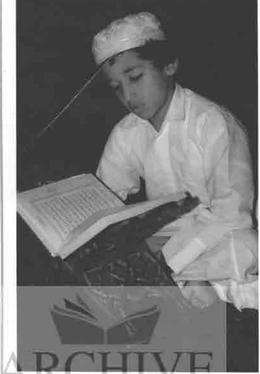
وهناك طبعة خاصة سميت طبعة « الحفاظ » وهي طبعة قديمة من مصر ، أرسلت الإدارة منها ٧٥٠٠ نسخة الى الأزهر الشريف والأوقاف والجمعيات العلمية الأخرى في مصر ..

ولقد قامت الإدارة خلال عام ١٤٠٤ هـ بإرسال ٩٠٨٠٣ من الكتب الى ٢٧ دولة عربية واسلامية وأجنبية في شتى البقاع ، بما في ذلك الكتب المرسلة الى اخواننا في الأرض المحتلة ..

والملاحظ أن الإدارة تتحمل تكاليف شحن هذه الكتب الى الأماكن المرسلة إليها ، والى أقرب مطار منها ..







صبي مجتهد من أبناء مدرسة قطر لتحفيظ القرآن أثناء التلاوة المباركة

طموحات المستقبل

هذه هي بعض لا كل نشاطات الإدارة وأعمالها الإيجابية ..

أجل فالحديث عن كل الأعمال يطول. ويكفي أننا قدمنا ملامح من الصورة الحية التي تجسدها هذه الإدارة ذات الأهمية الخاصة ..

لكن الملاحظ ــ وهنا وجه العجب والتفاؤل أيضاً ــ أن الإدارة برئاسة الشيخ الأنصاري وبمعاونة نفر من الرجال المخلصين لقضية التراث مازالت تطمح الى الكثير من الأعمال في خطتها المستقبلية ..

انها مثلا تريد أن تجعل من انشاء مكتبة التراث حقيقة، على أن تكون متخصصة في كل ما يهم التراث الاسلامي ..

وتريد أن تطور مدرسة قطر، وأن تدخل الكمبيوتر في أعمالها، لتسهيل مهمة الباحث، وأن تتعاون مع المهتمين بالتراث الاسلامي والعاملين في مجاله في المنطقة وفي سائر البلاد الاسلامية، لحصر الموجود من كتب التراث في البلاد الاسلامية ودول الغرب ..

وهي تريد أيضاً أن يخرج مشروع المجلة أو النشرة الدورية التي تعنى بالتراث وشئونه الى حيز الوجود، حتى يتوجه الباحثون الى مالم ينشر، ولا يرهقوا أنفسهم بما تم نشره في المشرق أو المغرب وهم لا يعلمون. ومن خلال هذه المجلة أو النشرة يمكن للإدارة أن تعمل على رصد أقوال المستشرقين التي تمس تراثنا أو عقيدتنا، وتفند أقوالهم وتدحضها بالأسلوب الديني العلمي الصحيح ..

.. وما تريده الإدارة كثير برغم ما حققته خلال عمرها القصير، اذ لم يمر على انشائها سوى عامين فقط .. وهي بكل المقاييس قادرة على تحقيقه، من خلال ما قدمته وتقدمه خدمة لقضايا التراث والعقيدة والاسلام والمسلمين ..

ولنحيي هذا الرجل وادارته والمخلصين العاملين معه. ولنرقب معه عما قريب هذا الحدث الكبير وهو انعقاد المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية في القاهرة ..

ان هذا المؤتمر المقبل هو امتداد للمؤتمر الثالث الذي عقد في الدوحة، ولا يزال فضيلة الشيخ الأنصاري يتشرف برئاسته، حتى يسلمه للأزهر الشريف في الربيع المقبل ..

انه عمل جديد وكبير من أعمال الرجل والإدارة ندعو له بالتوفيق والسداد .. ولتستمر مسيرة الخير من أجل احياء تراثنا الاسلامي الخالد ..

السيد حجازي

الدوحة

في
العدد القادم
والأعداد التالية

تلتقون
بهؤلاء
الكتاب

- د. سعيد إسماعيل علي
- د. محمد البسيوني
- علي الملك
- فتحي رضوان
- سعد مكاوي
- د. يحيى رجب
- د. رشاد الشامي
- محمد إبراهيم أبو سنة
- كمال النجمي
- حسني شحادة
- فاروق أباظة
- عبد الرحمن محسن
- د. سامي عزيز
- د. أحمد زكريا الشلق
- أحمد رأفت بهجت
- سمير صبحي



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

التوكل على الله

إن الانسان أمام (المفاهيم) في اللغة يختلف وضعه من القوة الى الضعف ، ومن الضعف الى القوة . فالأصل في المفهوم أن يعطي مدلولا محددا ، يمليه الجو الذى قيل فيه . ولكن قد يسقط الانسان هذا الجو المحيط بالمفهوم ، ويقف به عند اللفظ وحده ، وعندئذ يكون قد انتقل المفهوم عن المدلول الأصيل لمدلول آخر ، وهو أقرب أن يكون لفظيا ولغويا ، أي أقرب الى أن يكون شكلا لايحمل معنى اطلاقا .

والمفاهيم الدينية لايختلف شأنها عن بقية المفاهيم الأخرى . طالما الانسان هو الذى يغير موقفه منها ، وطالما هو الذى ينقلها مما تحمله أصلا من طابع عملي ، الى أشكال لاتحمل أي واقع إطلاقا .

والقرآن بمبادئه من أجل ذلك قد يوجد في حياة المؤمنين به ، إن قوي ارتباطهم به ، وقد يرتفع من حياتهم العملية ويصبح ألفاظا ومفاهيم ينطقون بها ويتحدثون عنها : ولكن لايجدون لها أثرا في التطبيق والواقع الذى تسير عليه حياتهم ، وذلك عندما يخفف الايمان به أو يتحول الى شعار فقط .

وكثير من المفاهيم الدينية اليوم في مجتمعات المسلمين تختلف عما يريده القرآن الكريم لها ، وتختلف أيضا عما طبق من قبل في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وحياة المؤمنين حقا برسالة الله .

فالتوكل على الله ــ كما يفهم من جو القرآن الكريم ــ هو قوة نفسية لها فاعليتها وتدفع في غير تردد على مايصمم على تنفيذه . نقرأ قول الله تعالى في قصة نوح عليه السلام في مواجهته لقومه : « واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه ياقوم : إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت (أى شق عليكم نفسيا وجودى فيما بينكم وترديدى لرسالة الله في مواجهتكم فأنا رغم ذلك مستمر فيها ومتوكل على الله) فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة . ثم اقضوا الى ، ولاتنظرون . (أي ولكم أن تتفقوا على الخطة فيما بينكم التى تواجهونني بها ، وأن تتفقوا أيضا على أن تستعينوا بشركائهم ضدي ، على أن يكون الأمر في ذلك واضحا لكم ، ثم اقضوا بما تشاءون علي ــ ولو بالموت ــ وواجهوني بما تقضون به ، ولا ترجئوا لحظة واحدة تنفيذ ما حكمتم به) (يونس : ٧١) . فنوح في موقفه من قومه الذين ينكرون عليه رسالته يعلم تمام العلم مدى تحديه لهم على هذا النحو ، ولكن ايمانه برسالة الله ، وعزمه على الفناء في سبيلها ، كان أقوى من تحدى قومه اياه . وقد أضاف إيمانه برسالة الله ، توكله على الله واستعانته به ، فزادت قوة مواجهته ، وتحدى الموت لو قضوا به عليه ، وطالب بعدم إرجاء مايحكمون به عليه .

فهنا : التوكل على الله قد سبقه إيمان قوي ، وتصميم مؤكد على الاستمرار في الدعوة لرسالة الله ، وهي رسالة ضد الباطل ، ورسالة الخير ضد الشر ، ورسالة الروحية ضد المادية الطاغية .

ويزيد في توضيح هذا المفهوم للتوكل على الله ، وانه نهاية لايمان وعزم سابقين على تنفيذ أمر خير ، حق قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين » (آل عمران : ١٥٩) .

فهاتان الآيتان يوجههما القرآن الكريم لرسول الله محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ناصحا إياه :

أولا : في أن لايستمر في غضبه على ذلك الفريق من المسلمين الذى تخاذل في غزوة « أحد » ضد المشركين في سبيل الايمان بالله . وانصرف الى الغنيمة فور أن بدرت بادرة في نصر المؤمنين عليهم ، وأن يعفو عنهم ــ جمعا لصفوف الأمة ــ ويستغفر الله لهم .

وثانيا : في أن يستشيرهم في أمور الأمة . فاذا خلص ــ من المشورة ــ إلى رأى معين ، وعزم وصمم عليه . فليتوكل على الله وليثق بنصره ومعاونته .

فالتوكل على الله ــ الذى طلبه القرآن هنا من الرسول عليه الصلاة والسلام ــ هو خطوة تلى قيامه بمشورة أمته ، واستخلاصة الرأى المتفق عليه ، وعزمه وتصميمه على تنفيذه .

والتوكل على الله ــ أو الثقة في الله وفي نصره ومعاونته ــ يكون مثمرا للانسان المتوكل وذا إيجابية في حياته ، إذا تقدمه إيمان قوي بالحق في نفس من يتوكل على الله ، وتقدمه كذلك في نفسه أيضا : تصميم على تنفيذ مايؤمن به .

فهنا عنصران لجعل التوكل ذا فعالية وذا أثر في حياة الانسان ، وهما :

الايمان بالحق وبالخير ...

والعزم والتصميم ...

فاذا انعدم الايمان ، أو كان الأيمان بغير الحق وبغير الخير ، أو انعدم العزم والتصميم على تنفيذ الايمان ، فالتوكل على الله لايفيد من يعلن توكله عليه . ولهذا : اعلان التوكل على الله غير مجد في حياة من يعلنه ، اذا افتقد عنصرا من هذين العنصرين . وتوكل المسلمين اليوم على الله لايصاحبه النجاح المؤمل فيه ، لأنه إعلان (لشعار) فحسب دون أن يكون في نفس المعلن لهذا الشعار إيمان بما لله في رسالته . وبذلك يختلف التوكل على الله ، الذى هو مصدر للعون في النصر والرعاية ــ كما يتحدث عنه القرآن ــ عن التوكل على الله الذي يعلنه المسلمون في حاضرنا شعارا وقولا ، دون أن يكون له واقع في نفس المعلن إياه « فتوكل على الله ، إنك على الحق المبين » .. بهذا يعلل القرآن طلب التوكل على الله من رسوله صلى الله عليه وسلم .. يعلله بأنه على الحق المبين .. أي على الايمان به وعلى العزم والتصميم في الدعوة اليه .

إن التوكل على الله ليس لفظة سحرية ينطق بها الناطق فيجاب الى مايرغب . إن التوكل على الله يستلزم قوة الايمان بالله ، كما يستلزم صلابة العزم والارادة على العمل : في غير ضعف : أو تردد : أو انقطاع .



رحلة صعبة .. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها

القسم الثاني من المذكرات ②

.. وعرفت فَرَح السجين بالخروج إلى الفضاء والنور

أيامي في انكلترا لاتنسى .

أجمل احساس هو احساس المرء بأنه في سلام مع نفسه . هاهو الزمن يمد الي يد المصالحة . يد كريمة تفصلنى عن ماضى حياتى التى سلفت والتى ماشعرت يوما بالحنين اليها . ان الحنين الى الماضى يصبح جزءا من حياة الانسان حين يكون ذلك الماضى محملا بالذكريات السعيدة فقط .

ليس هناك أجمل من الشعور بالحرية والتحرر من المنغصات المحيطة . التحرر من العلاقات البشرية المضنية ــ المفروضة علينا فرضا والتي يستحيل الفكاك من براثنها الا بالبعد الجغرافى . لقد عرفت فى انكلترا فرحة السجين بلحظة الخروج الى الفضاء والنور . لايحس بجمال الحرية وبروعة امتلاكها الا أولئك الذين حرموا منها . ماكنت أصدق أنني سأنطلق يوما خارج أبواب تلك العلاقات الكئيبة وأقفالها . كانت أبوابا وراءها أبواب وكنت اقبع خلفها أسيرة اليأس الممزق للنفس والروح ، يملؤنى شعور مستمر بأننى قد أُلقي بي الى عالم أقوى مني .

في احدى رسائلى التى كنت أبعث بها الى شقيقتى « أديبة » فى الكويت كتبت احدثها عن الغبطة التي تتفجر وتنشر العافية فى كل ذرة من ذرات كيانى . قلت لها : « ... ان حياتى هنا جميلة بشكل غير معقول ، كثيفة الزخم بشكل غير معقول ، شديدة الحلاوة بشكل غير معقول ... : لقد قرأت ذات يوم هذا القول لأحدهم : لاطعم للحلوى في فم تعود مذاق العسل ــ وأختك التى ماتعود فمها الامذاق المرارات عرفت اليوم مذاق عسل الحياة وحلواها ... »

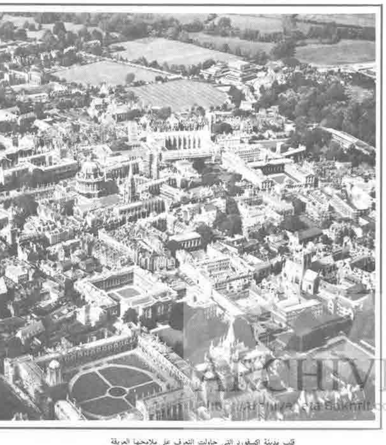
* * *

بقيت في اكسفورد فى ضيافة فاروق مدة عشرة أيام أو تزيد قليلا . أكرمني خلالها إكراما كبيرا . لقد أتيح لي معه التعرف لأول مرة على ملامح تلك المدينة العريقة وأهمها جمال الكليات وروعتها . ان للهندسة المعمارية لكليات الجامعة شهرة عالمية . وفيها يحس المرء بروح اكسفورد تسكن الجدران العتيقة وتسكن باحات الكليات وحدائقها وممراتها .

كان ينطلق بي أحيانا نحو الريف حيث المطاعم الصغيرة المسقوفة بالقش فنتناول طعامنا فى أحد مطاعم تلك الأرياف ، والمطاعم فى الريف تتميز بطابع ذى حميمية خاصة .

لقد أخذت بسحر اكسفورد شاير وبما تضمه تلك المقاطعة من إرث عظيم من الأراضى الحرشية الواسعة والأعداد الهائلة من الأشجار الجميلة . لقد عرف الانسان فى تلك البلاد الخضراء كيف يسيطر على تقطيع الأشجار ويحافظ بعملية التحريج على هذا الارث الثمين . فهو لايتشر شجرة قبل أن تكون قد طلعت بجانبها ونبتت شجرة اخرى .

قبل أن يأخذنى لشاهدة كليته (نيوكوليج) أى « الكلية الجديدة » كنت أظن وكما يوحى اسمها ،



قلب مدينة اكسفورد التى حاولت التعرف على ملامحها العريقة

أننى سأشاهد كلية حديثة الى حد ما ، ولكنى فوجئت حين علمت أن تاريخها يرجع الى ستة قرون مضت . وكما لفت فاروق ، نظرى فان الزائر يحس فيها بذلك المزج بين القديم والحديث فهناك مقابل معمار غوطى ينتصب تمثال ضخم لعازر نحته قبل سنوات النحات المعاصر الشهير أبستين . وكان أكثر ما هزنى من المشاهد ذلك النصب التذكارى للحرب العالمية الأولى ، فعلى هذا النصب التذكارى قرأت مايلى :ـ

(فى ذكرى طلاب هذه الكلية الذين دخلوا فى ارث هذا المكان قادمين من بلد غريب ، ثم عادوا ليحاربوا ويموتوا من أجل وطنهم فى حرب ١٩١٤ ــ ١٩١٨)

أما الطلاب ضحايا الحرب الذين سجلت أسماؤهم على ذلك النصب التذكارى فقد كانوا جميعا من الألمان الذين تركوا الكلية وماتوا فى ساحة الحرب مقاتلين ضد انكلترا . لقد وجدت فى هذا الذى قرأته أقوى تعبير عن روح تلك المدينة الجامعية العريقة .

دعيت مع فاروق الى حفلة مسائية اقامها فى الكلية بعض زملائه الطلاب ، تعرفت فيها على أصدقائه وصديقاته . وكان أكثر مالفت انتباهى الهدوء المخيم على الجو بالرغم من كون عدد الحضور لايقل عن ثلاثين طالبا وطالبة . كانت الأحاديث تدور بين المجموعات المتناثرة هناك بصوت خفيض ، مما جعلنى أستحضر فى ذهنى قول نيتشه : « كلما ارتقى عقل الانسان قلت رغبته فى الضجة » .

ويوم سألت فاروق عن مكان الجامعة استغربت حين قال لي إنه ليس هناك جامعة فى اكسفورد بمعنى جامعة منشستر مثلا أو جامعة برستول ، ذلك أن اكسفورد مثلها مثل كمبردج هى مجموعة كليات ، كل واحدة منها ذات ادارة ذاتية ومستقلة ، فالجامعة هى جسم ادارى فقط ينظم المحاضرات ويرتب الامتحانات ويعطى الدرجات . فالكليات هى اكسفورد الحيوية الحقيقية ، وكل كلية تضم طلابا من جميع الانواع ، أى أن المرء لايجد كل طلاب العلوم فى كلية ، وكل طلاب القانون فى كلية اخرى ، ففى كل كلية طلاب فى الفنون والعلوم والطب والهندسة وبالطبع فأن كل طالب يتبع فى الدراسة مساقه الخاص وبما أن المحاضرات تنظم بواسطة ذلك الجسم الادارى الذى اسمه الجامعة ، وليس بواسطة الكليات لذلك فان أى طالب يستطيع حضور أية محاضرة فى أية كلية إذ انه عضو فى الكلية وفى الجامعة معا . وهذا مما يتيح للطالب اكتساب الكثير من المعرفة من خلال تعايشه مع أولئك الذين يمثلون كل الفروع الأخرى .

استقر بى المقام المؤقت لدى عائلة فيرنيش فى بوديكوت ، إحدى ضواحى بلدة بامبرى ، البلدة لا حياة فيها بالمعنى العميق والرائع ، ولكن التجربة كانت غنية بالنسبة إلى . أحاطنى السيد فيرنيش وزوجته بالرعاية والمودة . كنت أدفع فى نهاية كل اسبوع مبلغ سبعة جنيهات وسبعة شلنات مقابل المبيت والطعام والخدمة . وسرنى أن المبلغ لم يبهظ دخلى المتواضع ولم يتجاوز حدود امكانياتى المادية .

كانت تسعدنى النزهات الخارجية يومى السبت والأحد من كل اسبوع ، من خلال تلك النزهات تعرفت على عدة من المدن الواقعة وسط انكلترا . كانت زيارتى لبلدة سترا تفورد أبون آيفون أول تلك النزهات المتعة . قال لى السيد فيرنيش ونحن فى طريقنا لمشاهدة البيت الذى ولد فيه شيكسبير ، شاعر الدراما العظيم ، والواقع فى شارع هنلي وسط البلدة : « قليلة هي الأماكن التى لها مثل الجاذب الذى يشد السياح الى ستراتفورد ، حوالى ثلاثمئة ألف سائح يفدون كل عام اليها من مختلف أنحاء العالم . »

ان شكسبير هناك فى كل مكان ، ترافقه من البيت الذى ولد فيه ، الى البيت الذى توفى فيه ، الى المدرسة التى تعلم فيها الى الكنيسة التى دفن فيها ، الى بيت « هولز كروفت » الواقع فى البلدة القديمة فى الطريق الى الكنيسة ــ وهو بيت ابنته سوزانا وزوجها الطبيب هول ــ الى مسرح شكسبير على نهر آفون ، الى تمثال الشاعر المنتصب على قاعدة عالية تحيط به أربعة تماثيل لأربع من شخصياته الرئيسية ، قبعوا هناك يراقبون معه آلاف الزائرين وهم يعبرون جسر كلوبتون Clopton العتيق ابن الخمسة قرون . أليس جديرا بستراتفورد أبون آفون أن يصبح أسمها شكسبير أبون آفون ؟ انه ابنها ومن قلبها وحضوره أبدى فيها .

أما الحديقة الخلفية للبيت الذى ولد فيه فتموج بالأشجار والأزهار والحشائش التى ذكرها شكسبير فى مسرحياته .

أخذنا طريقنا الى القرية الصغيرة شوتارى Shottery والتى تبعد عن ستراتفورد مسافة ميل

.. وعرفت فرح السجين
بالخروج إلى الفضاء والنور

فقط لمشاهدة كوخ زوجته آن هاثاوى هناك الكوخ كما تؤكد أقدم صورة لم يتغير فيه شيء منذ زمن شكسبير : الكراسى العتيقة بجانب المدفأة الحجرية ــ حتما كان الشاعر يجلس في ذلك المكان ــ الصحون التى تناول فيها طعامه ــ ربما ــ الزق الجلدى الذى كانت آن تصب منه الجعة لشكسبير . في ذلك البيت يشعر المرء كما لو أنه يعيش في القرن السادس عشر . وقفت مخطوفة مرهفة السمع . فلم يبق الا أن يطرق أسماعنا وقع خطوات الشاعر وهو يقبل علينا من الدرج الضيق .

حين غادرنا البلدة في المساء كنت على يقين من أننى سأعود اليها أكثر من مرة . فلا بد من مشاهدة بعض مسرحياته التى تمثل باستمرار على خشبة مسرح شكسبير الملكى . هذا المسرح الخاص بعرض أعمال الشاعر المسرحية .

لقد شهدت فيما بعد . وعلى مدى مايقرب من عامين . الكثير من الاماكن التاريخية في انكلترا واسكوتلندد . كما قمت بزيارة بعض المنازل الكبيرة الفخمة في المناطق الريفية والتى لم تعد ملكا خاصا لأفراد . بل تعتبر تراثا قوميا يباح التمتع بمشاهدته لأفراد الشعب مقابل قروش قليلة تدفع عند الدخول . أقول على الرغم من مشاهدتى العديد من مواطن الجمال الباهرة والأماكن ذات التاريخ . غير أننى ماشعرت قط بمثل الهزة التى عرتنى وأنا أقف بضريح شاعر الكون : ذلك الخالد . مالئ الدنيا وشاغل الناس ما بقيت الحياة .

وفي أيام الأحد كثيرا ما اصطحبنى السيد فيرتيش في جولة ريفية وبرفقتنا ولده جون ، ١٢ عاما . كان يترك سيارته على كتف أحد الشوارع ثم نمضى مسافة أميال على الاقدام . ان رياضة المشي في ريف انكلترا من أروع وأمتع أنواع الرياضة . أكثر ما أثار دهشتى وانبهارى أمام الريف الانكليزى هو ذلك الامتداد والتنوع : مزارع ، حقول . أحراش . غابات ووديان . لقد اكتشفت أن الريف في كل جزء من انكلترا قريب من المدينة أو البلدة . فهو يعطى مباهجه بسخاء ليتمتع بها كل الناس . هناك يجد رجل المدينة راحته . كما أن ساكن الريف يحب الروائع المحيطة به ويحميها بالحفاظ عليها . ان الخضرة هي فرح الناس في انكلترا . والغابات في الريف من أهم ملامح البيئة الطبيعية . انها طبيعة يحرصون على الحفاظ عليها كل الحرص .

ما أقوى احساسى بالطبيعة وما أشد حدته . لا أزال منذ طفولتى اندمج فيها وأشعر كأننى جزء منها . أتخيلها كائنا حيا وأحس بدبيبها ونبضاتها . ويا لذلك الجمال الخارق في طبيعة الريف الانكليزى . كيف أصفه ؟ من يستطيع وصف الجمال بالكلمات . مهرجان أخضر . لهيب بارد زبرجدى يمتد ولا حدود لامتداده . صمت المراعى . سكون الطرقات الريفية الضيقة . الخراف البيضاء . الأكواخ الوادعة الداخلة في الطبيعة الخضراء والمندمجة فيها . الهواء النقى الطازج المحمل برائحة الشجر والمطر والتراب . ان روح الريف حاضرة في العشب والماشية والزهر وفي بذخ النباتات الحرجية . والجمال هناك يهدى نفسه اليك كيفما التفت . أما أروع روائع الريف فهو ذلك الهدوء الشامل . هدوء يهدهد الأعصاب كترنيمة طفل .

بحكم وظيفته في مدينة اوكسفورد كان السيد فيرتيش يغادر اليها كل صباح ويعود بعد الخامسة . كنت في بعض الأيام أصطحبه اليها . ليمضى هو الى مكان عمله ولاشرع أنا في التجوال هنا وهناك . أكتشف وأستطلع . وفي الظهيرة أتناول قطعة سندويش مع فنجان قهوة في أحد المقاهى ثم أمضى الى إحدى المكتبات ومنها الى احدى الحدائق اذا كان الطقس مشمسا . أقرأ ساعة وأتأمل أخرى . وعند الرابعة أنتقل الى متحف . اشموليان لقضاء وقت ممتع مع أعمال مشاهير الفنانين . كان أشموليان أول متحف للفنون التشكيلية أشاهده في حياتى . ومنذئذ أصبت بالادمان على التردد على المتاحف كلما أتيحت لى زيارة لندن أو سواها من عواصم اوروبا .

عند الساعة الخامسة أكون قد أخذت مكانى خارج باب المتحف في انتظار السيد فيرتيش للعودة الى بوديكوت وقد ملأنى الشعور بالرضى .

لكى أتمكن من تمديد إقامتى في انكلترا كان على الالتحاق بدورات تعليمية أستطيع معها الحصول

● وتذكرت قول نيتشه : كلما ارتقى عقل الإنسان قلت رغبته في الضجة !

● ثلاثمائة ألف سائح يزورون بيت شكسبير ومدينته كل عام

على إذن إقامة طويلة . مثل هذه الدورات متاحة هناك لكل انسان وعلى مختلف المستويات والأعمار . وقد زودتنى السيدة فيرتيش بنشرة صادرة عن مدرسة سانت كليرزهول باكسفورد تتضمن معلومات عن دورتين صيفيتين لعام ١٩٦٢ . الأولى خلال شهر يوليو وتجرى في كلية كرايس تشيرش إحدى كليات جامعة اكسفورد . والثانية تجرى في اغسطس في مدرسة سانت كليرزهول نفسها . لم أتردد لحظة واحدة . فها هي الفرصة الذهبية تقدم نفسها الى . ومن خلال المراسلة بينى وبين تلك المدرسة تم التحاقى بالدورتين .

هنا بدأت أعرف ما أريد . فقررت الالتحاق بعد الدورتين بمدرسة لمدة عام كامل قابل للتمديد . كما قررت أن تكون مدينة اكسفورد هي المكان المختار . أما مدينة لندن فسوف أوليها المقام الأول فيما بعد .

وغمرنى شعور بالتفتح والانتشاء لايمكن وصفه .

* * *

في صباح اليوم الأول لافتتاح الدورة الأولى ودعت السيدة الطيبة وأطفالها . وكان السيد فيرتيش لطيفا جدا وكريما جدا . اخذنى بسيارته الى اكسفورد . وفي تمام الساعة التاسعة كنا أمام بوابة الكلية . قدمت اسمى للموظف المسؤول هناك فسلمنى مفتاح غرفتى المرقم برقمها . كما طلب من أحد العمال مرافقتى بالحقيبة الى الغرفة . أما مستر فيرتيش فلم يغادر الا بعد أن تأكد من أن كل شيء ماض على أتم وجه . ثم ودعنى بمودة أخوية وبأجمل التمنيات .

عدت فهبطت الى الساحة رباعية الزوايا والمحاطة بأبنية الكلية . كانت الساحة قد بدأت تنبض شيئا فشيئا بالوافدين من الطلبة والطالبات الملتحقين بالدورة . الغربة تكتنف الجميع . فلا أحد منا يعرف الآخر . ثم سرعان مابدأت لقاءات التعارف العفوية تتشكل حلقة حلقة . كل واحد يسأل الآخر : من أين ؟ وتتعارف الجموع وتأتلف . وتصبح النظرات الودودة والبسمات الصافية هي اللغة المشتركة . إحساس جميل . في ظرف جميل ومثير ومليء بالتوقع . إحساس يؤكد الشمول الأخوى في المجموعات الانسانية حين ينسى أفرادها عصبيتهم العمياء وينفتح القلب لاحتواء الانسانية كلها في أعماقه .

حان وقت المقابلة مع هيئة الامتحان . كل طالب على حدة . وعلى ضوء المقابلة تقرر المستوى الدراسى المناسب لكل منا . كان موقعى في القسم المتوسط . وكان ضمن المنهج المقرر لهذا القسم

● عندما عرفت لأول مرة
مذاق عسل الحياة وحلواها
● كيف يمكن القضاء
على لعنة الحروب وما تخلفه
من مشاعر البغضاء والنقمة
في نفوس البشر
● الأدباء الغاضبون يثيرون
الانتباه ويلفتون الأنظار

كتاب مزرعة الحيوان Animal Farm لجورج اورويل ورواية ، غرفة فوق السطح ، Room at the Top لجون برين Braine ثم مجموعة شعرية بعنوان ، شعراء مابعد الطبيعة ،

حوالى أربعمئة طالب وطالبة قدموا من مختلف أنحاء أوربا وآسيا وأفريقيا . أعمارهم تتراوح بين الثامنة عشرة والأربعين ، وبالطبع كانت الشبيبة هي الأكثرية الغالبة . آوت الكلية حوالى المئتين . لكل طالب غرفته الخاصة كما لكل طالبة ، وكانت مباني الكلية الخاصة بالمبيت قد قسمت الى قسمين ، للذكور قسم ، وللاناث آخر . أما باقي الملتحقين بالدورة فكانوا موزعين بين عائلات انكليزية تكفل لهم المبيت والطعام .

قبل ساعة العشاء بدقائق بدأنا نتجمع أمام قاعة الطعام مغلقة الأبواب في انتظار لحظة فتحها على المصراعين . وحانت اللحظة وبدأ تدفق الجموع داخل القاعة . قاعة ــ كما قيل لنا ــ هي الأكبر والأكثر إدهاشا وروعة بين قاعات الكليات الأخرى . علقت على جدرانها صور زيتية لرجال عظام نالوا تحصيلهم الجامعي في كرايس تشيرش . الشاعر سير فيليب سدني ، وليم بن مؤسس مستعمرة بنسلفانيا في امريكا الشمالية ، السياسي الانكليزي سير روبرت بيل Peel الواعظ الانكليزي جون وسلي مؤسس مذهب الميثوديست جون لوك الفيلسوف الانكليزي ، وليم غلادستون السياسي البريطاني ، جون رسكين Ruskin الكاتب والناقد الانكليزي ، تشارلس دودغسون الكاتب والعالم الرياضي المعروف باسمه المستعار لويس كارول ومؤلف كتاب (أليس في بلاد العجائب) المشتمل على أكثر أقاصيص الأطفال اثارة ، تلك الأقاصيص التي رواها المؤلف للطفلة الصغيرة ابنة صديقه عميد الكلية خلال رحلة نهرية . لقد قيل لنا ان كرايس تشيرش تفخر بكونها أعطت انكلترا خمسة رؤساء وزارة في قرن واحد عدا العظماء الآخرين الذين تخرجوا فيها على مدى تاريخها الطويل .

كان مقعدي على مائدة العشاء الكبيرة مجاورا لمقعد فتاة ألمانية في مثل سني ، بدأنا نتبادل الحديث عن تلك التجربة المثيرة . في مثل هذه المناسبات سرعان ما تحصل الألفة لاسيما بين الأفراد المتقاربين في السن . عرفت منها أنها معلمة للغة الانكليزية في بلدها وقد التحقت بتلك الدورة الصيفية رغبة منها في اكتساب المزيد من المعرفة باللغة من جهة ، وبهدف قضاء عطلة صيفية ممتعة من جهة أخرى ، ومنذ ذلك العشاء الأول أصبحنا : أورسلا وأنا رفيقتين .

بعد وجبة العشاء الدسمة عدنا فانتشرنا في الساحة مربعة الزوايا. كانت بعض زهرات اللوتس تطفو أمام عيوننا على مهل في بركة الماء المستديرة الكبيرة المغشاة جدرانها بالطحلب . في الدقيقة الخامسة بعد التاسعة فوجئنا بدقات جرس لم تتوقف إلا عند الدقة الواحدة بعد المئة دقة ، وعكست العيون علامة سؤال كبيرة . ماذا تعني هذه الدقات [illegible]

وعرفنا القصة .

من (برج توم) الذي صممه المهندس الشهير كرستوفررن لكرايس تشيرش يقرع جرس توم الكبير مئة دقة ودقة في الدقيقة الخامسة بعد التاسعة من كل مساء ، وذلك احياء لذكرى المئة تلميذ وتلميذ في الكلية زمن الملك هنري الثامن الذي أتم تشييدها بعد وفاة الكردينال ولسي Wolsey في القرن السادس عشر ، والذي لاتزال الكلية تحتفظ بقبعته وكرسيه الى اليوم .

صعدت الدرج الضيق العتيق الى الدور الثاني حيث غرفتي المطلة نوافذها على الساحة ، والتي تقع على ظهر كنيسة الكلية او بالأحرى كتدرائية مدينة اكسفورد فهي اقدم من الكلية ويرجع عهدها الى اثنى عشر قرنا .

درت بنظري في أرجاء الغرفة ، كل ما فيها يشير الى أنها تخص واحدا من الطلبة الأصليين والذين يمضون الآن اجازاتهم الصيفية لدى ذويهم . ترى كم من طالب شهدتهم وعرفتهم جدران الغرفة الصامتة والمشبعة برائحة الزمن . كم احتضنت من مشاعر وأحاسيس لأولئك الطلاب خلال حياتهم الجامعية على مدى القرون الأربعة . الأماني ، والمطامح ، والأحلام ، ماتحقق منها وما لم ... النجاح الفشل ، السعادة ، الاحباط ، الدموع ، البسمات ، الحب ، الألم ، الى كل مايختلج في النفس البشرية من انفعالات ومشاعر وصراعات . ما أقوى احساسي بالأمكنة القديمة التي مرت عليها مركبة الزمن ، إنها تضعني وجها لوجه أمام قوة الزمن ، أمام المصير الزائل للانسان ، أمام اللاديمومة لكل شيء في الحياة .

أيقظتني في الصباح طرقتان على الباب وصوت أجش يهتف : السابعة والنصف ، السابعة والنصف ، ثم وقع خطوات تنأى عن الباب ، ثم الصوت الأجش نفسه مصحوبا بطرقتين على الأبواب المجاورة بابا بابا . كانت تلك وظيفة صباحية لأحد العمال هناك لايقاظ الطلاب كل يوم في السابعة والنصف .

التمت الجموع في قاعة الطعام العتيدة . كانت الموائد المستطيلة حافلة بأباريق القهوة والشاي ، وبالزبد ومربى البرتقال والخبز المحمص (توست) ، بعد ذلك تأتي وجبة الفطور الانكليزية الشهيرة ، البيض المقلي والبيكون (لحم الخنزير المملح) . تركت شريحة البيكون على حالها . كانت القهوة والزبد والمربى والبيضة المقلية وجبة صباحية كافية وممتازة .

في صباح اليوم التالي وفيما أنا أحتسي قهوتي مستمتعة بنكهتها العطرية والأخوة والأخوات حولي يتمتم البعض للبعض الآخر : من فضلك ناولني السكر ، اذا سمحت ناوليني الملح ، فجأة

أحسست بقلبي يهوى بين جنبي وأنا أسمع اسمي يهتف به الأستاذ احمر الشعر المشرف على الدورة. وقفت وتطلعت اليه بتساؤل صامت. قال: من فضلك دعيني أراك بعد الانتهاء من الفطور.

خيرا يارب. ماذا هناك؟ برقية؟ مصيبة؟ رحمتك يارب.

حين ذهبت اليه قال: نراك لم تتناولى صباح أمس شريحة البيكون. لعلك مسلمة؟: نعم مسلمة..

وتنفست عميقا. الحمد لك يارب.

منذ ذلك اليوم اختفت قطعة اللحم الحمراء من صحني في وجبة الصباح.

وعي استهلاكي عجيب يتمتع به الانكليز، كل الانكليز. وهو وعي قلما عرفناه، نحن العرب. هذا ما لاحظته خلال إقامتي في انكلترا. كل شيء مقدر ومحسوب مهما قلت قيمته المادية، وكلمة «تبذير» موجودة فقط في القاموس الانكليزي، أما عمليا فلا أثر لها في حياتهم. تقف المرأة الانكليزية بدكان البقالة لتطلب نصف خيارة، حبة بندورة، ربع فرخة، فلا تشتري أكثر مما يكفيها.

قبل الدخول الى صفوف الدراسة طلب الينا التجمع في الساحة المكشوفة ثم أقبلت علينا رئيسة مدرسة سانت كليرزهول. امرأة بل آنسة في منتصف العمر، على وجهها آثار جمال لاشك في أنه كان باهرا. أما عيناها فقد انعكست فيهما أطياف حزن ناعم دفين.

كانت جالسة على كرسي ذى عجلات تدفعه من الخلف فتاة في الثلاثينات من العمر. وكان على النصف الأسفل لجسم الرئيسة غطاء صوفي يتدلى حتى القدمين.

دقيقتان أو ثلاث، وكسر الصمت المخيم صوت تلك الانسانة المرهفة المقعدة مرحباً بنا أولا، ثم شرعت تحدثنا عن الأسباب التي حدت بها الى ترتيب مثل هذه الدورات الصيفية لتعلم اللغة الانكليزية. حدثتنا عن أهوال الحرب العالمية الثانية والمآسي التي مر بها البشر خلال تلك الحرب، حدثتنا عن القنبلة التي بترت ساقيها في إحدى الغارات الجوية عام ١٩٤١. ثم تطرقت الى أهمية تعارف الشعوب وتحقيق التفاهم بينها. من هنا انبثقت لديها فكرة ترتيب دورات ينعكس فيها بشكل رائع روح اللقاءات التي تساهم في تحقيق التفاهم، وفي اقامة جسور الصداقة بين مختلف الشعوب، وفي القضاء على لعنة الحروب وما تخلفه من مشاعر البغضاء والنقمة في نفوس البشر.

● أدباء إنجليز يعارضون الاستعمار ويرفضونه ويحملون عليه
● كلمة "تبذير" موجودة في القاموس الإنجليزي وليس لها وجود في الواقع

* * *

كانت الدورتان مكثفتين وممتعتين بما رافقهما من نشاطات وزيارات ورحلات ونشوء صداقات جديدة. أما عن الحصص الدراسية فقد كانت الحصة المخصصة للادب الانكليزي أكثرها متعة واثارة بالنسبة لي. فمن خلالها أخذت فكرة واضحة عن الحركة الأدبية في الخمسينات ومطلع الستينات، حيث ظهر أدب يكاد يكون من خلق أولئك الشباب الذين أطلق عليهم اسم «الشباب الغاضب» والذين فتحوا عيونهم على تفجر الثورة التحررية في العالم والسخط على القيم البورجوازية والأوضاع الاجتماعية وما يسودها من ظلم. لقد عكست حركة الشباب الغاضب رفضاً قاطعا للمجتمع القائم كما عكست الثورة ضد القيم السائدة في الأدب والفن والسياسة وعدم الاهتمام بقيم الامبراطورية وبسيادة كنيسة انكلترا. وأدهشني وسرني سرورا هائلا، أنا التي نشأت في ظل الاستعمار البريطاني البغيض لبلادي أدهشني وسرني أن أعرف أن هناك كتابا وأدباء وشعراء وفنانين معاصرين لا يؤمنون بالاستعمار ويبغضون العنصرية، كالشاعر ديلان توماس مثلا والكاتب جورج اورويل والرسام ديفيد هوكني. هؤلاء وسواهم كرهوا الاستعمار وكانت لهم ميول تحررية كأكثر معاصريهم.

قبل الشروع في قراءة رواية «غرفة فوق السطح» للكاتب الشاب جون برين أشار أستاذ الحصة إلى ما اطلق عليه اسم رواية اللابطل، أو بمعنى أوضح الرواية التي لابطولة لدى بطلها، فهو انسان عادى جدا. ثم انتقل الى الحديث عن التحول الاجتماعي الذى حصل بعد الحرب العالمية الثانية وعن انعكاس هذا التحول على الرواية الانكليزية الحديثة وعلى مختلف الفنون الأخرى فالموضوعات الاجتماعية هى التى تستقطب اهتمام الروائيين الشباب، كحياة الطبقة العاملة والفوارق الطبقية، والاهتمام بالتغير الاجتماعي، والتأكيد على قيمة الفرد الخ..

في تلك الفترة، ولحسن الحظ، جرى على أحد مسارح اكسفورد عرض لسرحية جون اوزبورن (انظر وراءك في غضب) تلك المسرحية التي اكسبت مؤلفها شهرة واسعة في بريطانيا وأمريكا والتي جعلت اسمه يتربع على رأس قائمة كتاب المسرح المعاصرين بما أعطت للمسرح من دم جديد وعنيف راح يتدفق في شرايينه بعد خمود وجمود.

أحصى الأستاذ عدد الراغبات والراغبين في مشاهدة المسرحية، وفي مساء اليوم التالى كانت مقاعدنا المحجوزة تنتظرنا في الوقت المحدد.

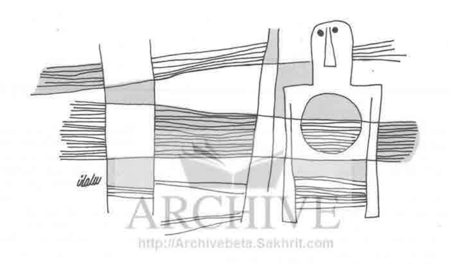
كان الأستاذ قد تحدث الينا عن موضوعها في النهار لكى يضعنا في جوها فتزداد متعتنا بمشاهدتها. وقد ظلت عيوننا وآذاننا مشدودة الى مايجرى وما يدور على خشبة المسرح منذ ارتفعت الستارة عن الفصل الاول الى أن أسدلت على آخر مشهد من الفصل الأخير. كان البطل صورة مجسدة للثورة والغضب والنقمة على القيم والاوضاع السائدة في المجتمع الانكليزى، وكانت المسرحية في كل فصولها تنبض بالحيوية والحركة.

منذ ذلك الحين استقطب جون اوزبورن اهتمامي. وقد شهدت بعد بضعة اعوام في لندن مسرحيته «غرب السويس» التي رسم فيها صورة رمزية للامبراطورية التي انهارت وغربت عنها الشمس. وفي قصيدتي (في المدينة الهرمة) إشارة الى تلك المسرحية.

«بقية المذكرات في العدد القادم»

قصيدتان ..

شعر: عزت الطيري



١ ــــ (حزن)

حين أعود إلى البيت ،
فى آخر الليل
أطرق .. يفتح لى الحزن بابى ،
ويدخلنى غرفة للجلوس ،
يقدم لى شايَه
ثم يدخل بى غرفة النوم ،
يجلس بالقرب منى ،
وحين يداعبنى النوم ،
يدخل ما بين طيات حلمى ،
وفى الفجر يوقظنى
كى ينام !!

٢ ــــ (وهكذا ..)

حين يخبرنى الأهل أنك قادمة
يبدأ البيت رحلته للنظام
كل شىء يغادر موقعَه
الفؤاد ، الأوانى ، الحنين ، الملاءات ،
نافذة الحجرة المقفله
ثم تحدث فى داخلى الصلصله
ثم تأتين ، أصمت ..
يمضى بنا الوقت ، تمضين للباب ،
أهمس فى داخلى :
سأحدثها المرة المقبله
مهزله ! !

مابين الطَّبَريّ وابن خَلْدون

بقلم: أحمد العناني

لقد أوصل الطبري الأسلوب التاريخي المحكم الصلة بالنزعة الدينية الاسلامية . وبالنزاهة العالية والتحرج في إثبات الحقيقة التاريخية مرحلة الأوج . فلاعجب أن جرى الكثيرون في دربه ، وحاولوا إكمال مسيرته وأخذوا يضعون حوليات تمد أمد حولياته .

وعلى الذين يعنون بخصائص الأمة الاسلامية أن يعرفوا أن عناية المسلمين بالتاريخ لايمكن تبريرها بمجرد الدوافع المتصلة بتدوين الأحاديث وتاليا تدوين سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسير أصحابه . وطبقات التابعين من بعدهم .. فما الذي إذا كان يحملهم على العودة بروايات التاريخ إلى منشأ الخليقة إلا روح التوجه القرآني الذي يشير مراراً وتكراراً ولاسيما في سورة كالشعراء مثلا إلى الحكمة الآلهية في نشوء الأمم ورفعتها وسقوطها . إن فهم التاريخ هو حاجة أساسية في ثقافة المسلم وتقواه .

والمسلمون صادقون مع أنفسهم ومع كتابهم حين يبحثون عن سنن الله المعززة لبقاء الأمم لأن الأمة الاسلامية هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولو هانت وانحلت واستحال تعديل التوجهات الخاطئة الطارئة عليها فإلى أين يكون مصير البشرية . وقد انتهت الرسالات جميعاً برسالة الإسلام ؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشى في بدر أن تتوقف في الأرض العبادة الحقة السليمة لله الواحد الأحد لو هلكت تلك الفئة المسلمة التي وقفت في بدر تدافع عن كلمة الله في الأرض لتكون هي العليا وكلمة الكفر السفلى ؟ ويرى المسلمون أن الخير فيهم وفي أمتهم إلى أن تقوم الساعة . ولذلك فقد ظلت الثقافة التاريخية جزءاً مكونا من الثقافة الاسلامية بعامة . وقد أدت محاولة المؤرخين المسلمين إيجاد قصة متماسكة الحلقات لتاريخ الإنسان في الأرض إلى دخول عديد من الروايات الاسرائيلية والنصرانية وأحيانا من أخبار الأمم المشكوك فيها كالفرس والسريان . ومن هنا فإن رجال السنة المتشددين كانوا لايرتاحون إلى التوسع في الروايات تحت ستار التاريخ . وكان بعضهم يرفض ذلك كله ، ويتشاءم من الدخول فيه ، ويستمسك بتوثيق الكلمة أمتن توثيق .

توجهات المؤرخين منذ عصر المسعودي

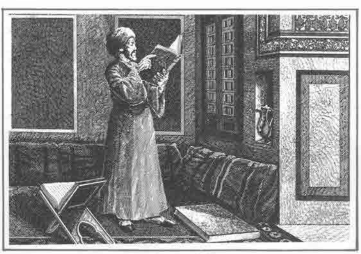
إنه لمن أسف بالغ أن معظم مؤلفات المسعودي قد ضاعت فيما ضاع من تراثنا الهائل ولكن النتف الباقية تكفي لاثبات حقيقة تحول المؤرخين الى اعتماد المعلومات الجغرافية ومزجها بالتاريخ خاصة في تقويم البلدان وفي ذلك دلالة على الشروع في معاملة التاريخ على أسس عقلانية بمعنى استخدام العقل في التوسع في العلوم التي ترتبط بالتاريخ ارتباطا عقليا لا نقليا .. وبهذه الكيفية يمكن أن ترد رواية في التاريخ على أنها غير منقولة لأن فيها مخالفة لمنطق الإقليم الذي يؤرخ له ، أي منطق البيئة والمناخ والأحوال الطبوغرافية .

النزعة الإقليميـــة

لم يكن عجيبا أن تظهر بعد عصر السعودي تلك النزعة الإقليمية في الاهتمام بمنطقة معينة وبعد سرد حقائقها الجغرافية تسرد الأخبار المروية عنها بمواءمة واضحة بين منطق الإقليم ومايمكن أن يكون معقولا عنه . ولاشك في أن هذه النزعة كانت مرآة لتدهور الأحوال السياسية في العالم الإسلامي اعتبارا من منتصف القرن الرابع للهجرة . ولايمكن في الواقع حصر المؤلفات التاريخية الإقليمية لكنه من الممكن إيراد طائفة من أفضل الأعمال التي أنجزت في هذا الاتجاه مثل «تاريخ بغداد» أو «مدينة السلام» للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . وحيث أن بغداد شهدت فترات العز والقوة من عصور العباسيين فقد أصبح هذا الكتاب مصدراً جيداً للفترة الممتدة بين تأسيس بغداد في عهد أبي جعفر المنصور (١٤٥ للهجرة) وحتى سنة وفاة المؤلف في ثلاث وستين وأربعمائة للهجرة . والحقيقة أن هذا السفر المطبوع في أربعة عشر مجلدا من الطباعة الحديثة يعتبر معرضا فذاً لمشاهير وأعلام بغداد خلال ثلاثة قرون كاملة . وفي مجال التاريخ يعتبر البيروني (أبو الريحان الخوارزمي العالم الفلكي الشهير) مؤرخا إقليميا لما كتبه من تاريخ خوارزم والهند . وقد توفي البيروني عام (٤٤٠) للهجرة . وهناك أيضا تاريخ بخاري للترشحي (٣٣٠ هـ) «وتاريخ أصفهان» للمافروخي و «طبرستان» للبرزادي .. وانه لمن أسف بالغ أن الكثيرين كانوا قد بدأوا رحلة التخلي عن التأليف بالعربية ، والكتابة بالفارسية أو غيرها في القليل النادر

تدهور الأسلوب التاريخي

لم يكن التدهور قاصرا منذ القرن الخامس للهجرة فما بعده على النزعة الإقليمية دون الإنسانية الأممية الإسلامية ، ولا على هجر العربية أجمل لغات الدنيا وأوسعها رحاباً وأعظمها فصاحة ورهافة موسيقية علاوة على أنها لغة القرآن المجيد . ولكن المتعرضين للتأليف لم يعودوا من العلماء الحاملين أمانة العلم على أعلى درجات المسئولية وانما هم أخلاط وأمشاج من خلق الله .



العالم العربي ابن خلدون

ولاسيما الموظفين في الدواوين .. وبطبيعة الحال كان لابد من ضياع أسلوب التنقيب العلمي والرواية الموثقة .. وفي بداية التدهور أصبحت تجد إشارات عابرة للمصادر لكن ذلك الثوب المنافق سرعان ما انشق وطوى وأصبح «المؤرخون» المتطفلون يلقون بالكلام جزافاً دون أية إشارة لمصدر أو وثيقة

وباتت الحوليات التاريخية قصراً على أمير بالذات أو حاكم متنفذ في موقع كائنا ماكان أصله أو توجهه . طالما أنه يسره أن يشغل الناس به ويأجر على ذلك أجراً حسنا.

خروج التاريخ من دائرة العلم

وشيئا فشيئا خرج التأليف التاريخي من دائرة العلم إلى دنيا الخيال والرومانسية والأهواء المضطربة . وأصبح التبرير المقدم لتلك النزعة هو التذرع برسم نماذج فاضلة لأبطال لابأس لو كانوا خياليين . لكنه لابأس أيضا عند مؤلف سقيم الذوق لو جاءوا على شكل ذوقه السقيم أو خياله المريض .. ولو قد كان في ذلك الزمان المتقدم تفريق واضح بين ماهو علم لايخرج عن منهجية العلم . وبين ما هو إعلام يستهدف تزيين الزين فوق زينه وتشويه البشع فوق تشويهه لهان الأمر ولكن الذين باتوا يؤلفون أموراً من القصص الخيالي كانوا ينسبون صناعتهم إلى التاريخ وبالتالي إلى العلم .

وكما هو شأن الاعلام الذي لامفر له لكي يعيش ولو حياة عارضة موقوتة أن يستند إلى ذرة من الحقيقة مهما يبلغ به الخيال والتحسين كذلك فإن أولئك القاصين المحسنين كانوا في الغالب يستندون الى رواية أمر يعجبهم دون أن يعنوا بتمحيصها طالما أنها توافق هواهم الاعلامي ثم يبنون عليها ماشاء لهم الخيال والهوى أن ينسجوه.

ولكي نكون منصفين فإن نفراً من هؤلاء كانوا يستهدفون مجرد اللهو والتسلية . فيما كان البعض يأخذ برواية أو خبر فيضيف إليه من محسنات أسلوبه ما يرجو أن يجعل به قبوله ميسوراً لاسيما عند العامة ومحببا إليهم ليكون أفعل في تقويمهم .

وهنا لابد لي ان أذكر القارىء بمقالي الأول في هذه السلسلة حيث بينت أن التاريخ باعتباره أدبا . أو الأدب حين يكون تاريخا فذلك مما يهدف له المعلمون والوعاظ لتحسين الأمور وتقريبها إلى قلوب التلاميذ والعامة .

وكان من أشرف أصناف هذا التوجه التاريخي كتابة التراجم والسير وكما أسلفت من قبل فإن السير التي كتبها الفقهاء كانت أقرب إلى علم التاريخ منها للأدب التاريخي .. خذ على سبيل المثال سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لابن عبد الحكم فإنك تجده هنا ملتزماً التزاما يكاد يقارب التزام كتاب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث الحرص على الأسانيد والتزام مسئولية الكلمة التزاما دقيقاً في حق ذلك المؤمن العظيم .

ولكن ذلك الالتزام أخذ يخف بالضرورة ويعتو لعوامل الزمن . وثمة فرق واضح مثلا بين حرص ابن عبد الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه والتزام أبي نعيم الأصفهاني (٤٣٠هـ) صاحب الكتاب المعروف بـ «حلية الأولياء» صحيح أن فيه أسانيد لكنك لاتستطيع أن تكون مطمئنا إلى مستوى التنقيب في الحقائق في حق كل تلك الأعداد الضخمة من الصالحين الذين يروي أخبارهم . كما أنك أحيانا تتوقف لتسائل نفسك «أحقاً يمكن أن يكون أحد من الناس على هذا الوصف أو أن يكون هذا قد حصل .. إنه أمر يصل في المثالية حدا لا يجعله إنسانياً» .

وقبل أن يتطاول العهد بنا وبالمؤلفات الإقليمية كان ينبغي لي وقد ذكرت الخطيب البغدادي أن أشير إلى ابن عساكر صاحب كتاب التاريخ الكبير لدمشق والمتوفي عام ٥٧١ للهجرة . والحقيقة أنك تستطيع أن تضع مؤلفي البغدادي وابن عساكر مع التراجم لكثرة من ترجما لهم من علية القوم في بغداد ودمشق .

بين العلم والأدب في صناعة التاريخ

لقد انهمك العالم المثقف الاسلامي أو سمه عالم المثقفين والمصنفين في القرنين الخامس والسادس للهجرة بخاصة في تأليف المطولات في كل اتجاه .. ولم يقتصروا على تقسيم مادة التاريخ على الأقاليم والمدن . ولكنهم أيضا قسموا التراجم والسير والموضوعات على سير للأدباء . وأخرى للمغنين وأهل الأصوات . وتاليا الأطباء والفلكيين وربما كان كتابا الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ومعجم الأدباء لياقوت من أعظم ماكتب في هذا الاتجاه .

وفي هذه الأثناء بدأت اللغة العربية تقاسي لا من مجرد إعراض شرائح ضخمة من المسلمين عن الكتابة بها كما فعل الفرس . ولكن أيضا من انحطاط الأساليب العربية بصيرورة المحسنات اللفظية أمراً واجباً للتزيين مما سارع باللغة إلى التكلف والتخشب . ولكنها قبل أن تقع في حفرة الشكلانية السجعية إلى قرون عديدة أدت مهام أخرى في التأليف التاريخي . لقد كان أملنا أن ننتهي الى عصر ابن خلدون ولكن طول الفترة التاريخية بينه وبين المسعودي لم يجعل ذلك ممكنا .



فوزية رشيد والعالم الحزين في قصصها

منيرة الفاضل .. العالم الداخلي للمرأة



أصوات نسائية في أدب البحرين

١- في القصة القصيرة

بقلم: أحمد محمد عطية

● فوزية رشيد :
عالم حزين موحش ومعذب

● منيرة الفاضل :
العالم الداخلي للمرأة

تتميز المرأة البحرينية بدورها البارز في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية ، منذ إسهامها في العمل بمجتمع الغوص على اللؤلؤ قبل ظهور النفط ، حتى توليها الوظائف العامة كأستاذة جامعية ومديرة وصحفية وأديبة في مجتمع البحرين الحديث .

يذكر الدكتور محمد الرميحي في كتابه « البترول والتغيير الاجتماعي » : « ان المرأة قد شاركت في الغوص بنفسها إلى جانب الرجل ... » (ص ٣٧) . بل لقد شاركت المرأة البحرينية الرجل في كل الأعمال الشاقة . كأعمال البناء والزراعة ونقل المياه .. وعانت معه الفقر والبؤس في مجتمع ما قبل ظهور النفط . ولعل هذا ، بالإضافة إلى تجربة تعليمها المبكرة في الداخل والخارج ، هو الذي دفع بالمرأة البحرينية إلى المشاركة في الحياة العامة ، وساعدها على « تحقيق شخصيتها ودخولها مجالات العمل » . كما يذكر الشاعر البحريني علوي الهاشمي في كتابه « ما قالته النخلة للبحر » (ص ٢٤) .

شاركت المرأة البحرينية في الحياة الاجتماعية بالجمعيات النسائية ، وفي الأحداث السياسية والثقافية البارزة في الحياة البحرينية الحديثة والمعاصرة . ومن هنا ظهرت الأصوات النسائية في كل مجالات أدب البحرين الحديث ، في القصة القصيرة والشعر والرواية والمقالة الأدبية ، كما ظهرت أيضاً في ندوات أسرة الأدباء والكتاب الخاصة والعامة وفي الفنون التشكيلية وأجهزة الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة وتليفزيون ، وشغلت حيزاً هاماً من صحافة الخليج الثقافية .

وفي هذه الدراسة نتناول بالتعريف والتحليل والنقد . أهم النماذج في الأدب البحريني النسائي في القصة القصيرة والشعر .

فوزية رشيد

إذا كان اشتراك المرأة البحرينية في العمل ، ومشاركتها للرجل في أعمال الغوص والبناء والزراعة ونقل المياه ، قد دفعها إلى المشاركة في الحياة السياسية والأحداث العامة ، فإن النشأة الاجتماعية ومساهمة الأديبة البحرينية فوزية رشيد في العمل الاقتصادي والمالي والفكري قد دفعاها إيضاً إلى الرؤية السياسية التي برزت في فنها القصصي والروائي .

ففوزية رشيد ، أديبة شابة شديدة الطموح والحساسية . تعد بحق أنموذجاً مجسداً للأديبة البحرينية والمرأة البحرينية الجديدة . هي ابنة لعامل في شركة النفط . ومن هنا فهي تنتمي إلى قاع مجتمع النفط . وهي تعمل بأحد البنوك التي انتشرت مؤخراً في البحرين بعد تحول سوق المال من بيروت إلى البحرين وغيرها من عواصم المال والتجارة والانفتاح . وهي متزوجة من الأديب البحريني عبد الله خليفة . كما انها من أنشط أفراد أسرة الأدباء والكتاب في البحرين . ويدفعها طموحها الفكري والأدبي إلى اقتحام التجارب الثقافية الجديدة ، في القصة والشعر والرواية والمقالة الأدبية ، والمشاركة بحيوية في الندوات الفكرية والثقافية . فبالاضافة إلى كتاباتها المنتشرة بالصحافة الخليجية الثقافية ، صدر لها حديثاً ، عن دار الفارابي في بيروت ، كتابان : أول مجموعة قصصية عنوانها « مرايا الظل والفرح » ، وروايتها الأولى أيضاً « الحصار » . وسأتناول في هذه المقالة ، المخصصة للقصة النسائية في البحرين ، مجموعة فوزية رشيد القصصية ، ونرجىء الحديث عن روايتها إلى دراستنا المقبلة عن الرواية في البحرين .

في سلسلة مقابلات أجريتها مع أدباء وأديبات البحرين ، سألت فوزية رشيد عن تجربتها الأدبية وعن طموحاتها ومشروعاتها في هذا المجال . فأجابتني بكلمات شاعرية تعبر عن حساسيتها وطموحاتها ومكانة القصة القصيرة الأثيرة لديها ، قائلة : « يظل الكاتب يبحث عن حالة الوهج وديناميية اللحظة المتفجرة بينه وبين ذاته وبينه وبين العالم على امتداد مساحة وعيه ليجسد حلمه في دخول لحظة الوهج تلك .. يولد فيها كبرعم ويزهو فيها زهرة برية وسط عنفوان العطش الصحراوي الممتد في داخله وفي واقعه ، ومن ثم يبدأ بحثه المضني في عالمه الداخلي .. حبه .. قهره .. حلمه ، ومن ثم أيضاً تبدأ روعة التدفق عبر عوالم أخرى أكثر حميمية مما يعيشه .. هو عالم الفن بكل امتداد مساحة الألوان فيه .. بالطبع هذا لا يعني أن الفن منفصل عن الواقع ، ولكنه دائماً الوجه الآخر الأكثر نقاء وصدقاً . ان الفن في أعمق لحظاته يغدو المساحة الشاسعة التي يحاول الكاتب فيها أن يخلق من خلال التحامه بها ومن ثم رفض ما حوله وإعادة بنائه .. دخولاً في عالمه المقهور وتجسيدا لذاته المتطلعة لتغيير ما حوله .. ومن هنا تتشكل كل العوالم الداخلية بكل ما يحمله من قيم ونقاء » (« أخبار الخليج » عدد ٥ نوفمبر ١٩٨٢) .

وأضافت فوزية رشيد قائلة : « ومن هنا بدأت تجربة الكتابة في القصة القصيرة لدى رغم أن كثيراً منها في البداية جاءت غير مستوعبة لطامحي الفنية ورؤاي فيها . لا أدرى بالضبط لماذا جاء التعبير عما يتفجر في داخلي تجاه ما أعيشه بشكل قصة وليس أي شكل أدبي آخر .. رغم انه كانت لدى محاولات ساذجة في الشعر . ان كل ما أدركه أن القصة القصيرة استطاعت أن تمسك الخيط الممتد بين مخزون الذاكرة والمحتوى على هجس القهر الانساني عموماً وبين إرهاصات الحصاد المتجسد في كل ما يحيط انسان هذه المنطقة .وبعد فترة بدأ البحث لدى في شكل أكبر يستوعب الارهاصات التي أخذت تتسع بالتدريج ، ولم تعد القصة القصيرة تستوعبها . فاتجهت إلى الدخول في تجربة الكتابة الروائية وكتبت رواية (الحصار) » .

للأدب دور اجتماعي

وهكذا ففوزية رشيد تؤمن بالدور الاجتماعي للأدب والفن . وتطمح للتغيير نحو الأفضل ، وتتخذ من فن القصة القصيرة الحساس الأداة الأدبية للتعبير عن حساسيتها وطموحاتها ورؤاها الفكرية والسياسية والاجتماعية التقدمية . ومن القصة القصيرة تقدمت كاتبتنا صوب الفن الروائي ، وإن ظلت متمسكة بفنها القصصي الأثير .



غلاف المجموعة القصصية «مرايا الظل» لفوزية رشيد

في مجموعتها القصصية «مرايا الظل والفرح» تقدم فوزية رشيد عالمها القصصي بأحدث الوسائل الفنية تعبيراً عن شخصياتها المعذبة والمطحونة والمقهورة، مراعية، دقة التعبير المكثف من خلال لحظات وأحداث محدودة وبجمل قصيرة ذكية تعبر بها، من خلال الصور والجوس في باطن شخصياتها، عن عالمها القصصي المبن. فشخصيات فوزية رشيد شخصيات وحيدة حزينة معذبة مادياً وروحياً.. فهي تعاني من القهر المادي والفكري، من الجوع والاضطهاد والحصار.

فقصتها «وجوه في الرماد» تصور عذاب طفل يتيم مع أمه من جراء الجوع والفقر والوحدة، من خلال بناء فني حديث يعبر بالصور وباختلاف رؤى الشخصيات، ويستغني عن السرد التقليدي والحكاية المسلسلة: وينتقل بين الوعي واللاوعي، ويمزج بين الأمكنة والأزمنة والشخصيات، مستخدما تيار الوعي والمونولوج الداخلي والحوار القصير المكثف والمتقطع.

فالطفل اليتيم يعمل في جمع والتقاط قطع الزجاج والورق والحديد القديم والأحذية من النفايات: وتأتي المفارقة عندما يلتقطونه لتمثيل دوره في إحدى حفلات الجمعيات الخيرية الصاخبة.. فيتفجر تيار وعيه بالذكريات الأليمة لفقره وجوعه وسؤاله المتكرر لأمه عن أسباب غيابها وعن صلاتها الغريبة. حتى اختفت لتتركه للوحدة والفقر واليتم. في حين تغوص القصة في الوجه الثاني للأم البائسة المعذبة التي اضطرت لبيع جسدها منذ هجرها زوجها. بينما تعذبها أسئلة طفلها، وبخاصة سؤاله المتكرر: «أمي لماذا يقبلك هذا الرجل؟!» (ص ١٠) وفي لحظة احتجاج درامية تقدم الأم على طعن أحد هؤلاء الرجال: وتختفي خلف قضبان السجن رافضة أن تطلع طفلها الوحيد على نهايتها الفاجعة؟!

وتصور قصة «لحظة لم تكتمل» القهر الفكري الذي يعانيه بطلها الرسام وإحساسه المرير بالحصار. الذي تمثل في مطاردته لإبراز هويته وإجباره على تفسير معنى لوحته «حصار»؟! هذا الحصار الذي أخذ يهدد حبه ويصيبه بالفتور حتى قالت له حبيبته: «أشعر أنك أصبحت غريبا عني..» (ص ١٨) وتقدم القصة هذه المطاردة كعامل مؤثر تأثيرا سلبيا في مجرى حياة الرسام الفنان. فحبيبته تشعر به غريبا عنها ولوحاته غدت ناقصة ولم يعد قادرا على إكمالها وإنجازها. وبعد حيرة وتردد وجد في التعبير عن مأساته بداية جديدة لإبداعه الفني، غير مبال بأية تهديدات، ولكنهم كانوا يتربصون به في انتظار هذه اللحظة. وهكذا لا يتمكن بطل القصة الرسام من إتمام لوحته، التي توسم فيها الخلاص من أزمته وعذابه فغدت لوحة غير مكتملة.

وفي قصتها «من أرشيف الوحدة» تصور فوزية رشيد وحدة المرأة العربية في مجتمع الرجال. فعندما أرادت بطلة القصة الخلاص من وحدتها وقادت سيارتها إلى الشاطئ». فوجئت أيضاً بالحصار والمطاردة: فاضطرت للعودة إلى البيت قائلة: «أنا امرأة! حتى في التوحد.. ليس من حقي.. ودون ان أستمر في حزني ركضت مسرعة وعدت أدراجي إلى جحيم البيت» (ص ٢٢) وعندما توهمت أنها وجدت حبيبها ورجلها من خلال حوار فكري معه فوجئت به يصفعها وينظر إليها نظرة الرجل الشرقي للأنثى: «حاولت مرة انتشال ما تبقى من فرحي بأن أعلنت غضبي.. صفعني!.. أدركت: ان حضوري حوار متطاير بيننا فقط. أدركت أيضاً: ان الميعاد بين الحلم والواقع لا يزال بعيدا. أدركت أخيراً: انى لازلت بالنسبة إليه أنثى فقط» (ص ٢٤).

ويشكو بطل قصة «الوجه الآخر» للطبيب النفسي من الأرق وعدم النوم. ولكن الطبيب يطالبه أولا بالتوقيع على اعتراف بتحريضه للطلبة في الخارج. فيرضخ لأنه لا فائدة بعد سنتين من المعاناة الأليمة. ويحاول الطبيب استدراجه لمعرفة بداية أزمته وسر عذابه. فيدلنا تيار وعيه المتدفق على ذكريات اضراب العمال وتوقيع عرائض الاحتجاج واضطراره للصمت المؤلم لنفسه، وليكتفي بعلاج الحبوب الصفراء والخضراء.. حتى يتمكن من النوم. ويقع بطل القصة في عذاب الروح والضمير بين الترهيب والترغيب، ويحاول أن يقضي على هذا العذاب بتناول الحبوب المنومة قائلا: «يجب أن أنام.. يجب أن أنام لأستعد للسفر.. والترقية».

غير ان الرؤية السياسية والاسقاط الفكري قد يحولان بعض قصص فوزية رشيد إلى أعمال مخططة هندسياً. كما فعلت في قصتيها «عذابات جلجامش الجديدة» و«خطوات في الظل». عندما حاولت، في القصة الأولى، تطويع الأسطورة المعروفة لعذابات المنفى. وفي القصة الثانية لعذاب الفقر وقلق الحاجة. دون أن تجسد ذلك في أحداث وأفعال، مكتفية بالكلمات المباشرة في الحوار والسرد. فتبدو القاصة فوزية رشيد، في هاتين القصتين، أسيرة الرؤية الفكرية والسياسية، مما حد من حساسيتها وعفويتها وانطلاقتها المتدفقة. كما فعلت في سائر قصصها الأخرى.

أين هو الفرح؟

وتلمع فوزية رشيد في أفضل لحظاتها الفنية تألقا عندما تقدم شخصياتها الوحيدة مع الطبيعة. كما تفعل بطلة قصتها «وحشة الأقبية» معبرة بالصور عن وحدتها بين طيور الطبيعة: «جذبني مرأى الطيور تشكل مهرجانا ساحرا في السماء وهي تعلو.. وتعلو.. بإصرار.. يداهمني شعور الوحدة من جديد.. منذ زمن وهو يتهالك بشراهة واطمئنان في شرايين. العيون ترصدني.. تضحك وحدتي.. كم مر من الزمن وأنا أنفث نفسي كالسيجارة..» ثم تأخذ هذه الشخصية الوحيدة المعذبة في استعراض تجاربها الماضية عن طريق الارتداد للخلف (الفلاش باك). فتجد أخاها يتقدم ويتزوج وينجب ابناً بينما هي تكبر وتظل في محلها بلا تقدم. تخاطب الطيور والنجوم فـ«لا شيء غير التوحد!» (ص ٥٨) وتركض الصور معبرة عن تجاربها الفاشلة مع الشباب حتى بلغت عامها الأربعين دون زواج. وظلت تكدح لتنقذ أسرتها من الجوع وتفيق على صفعة قوية من أخيها مصحوبة بصياحه: «وقحة!» (ص ٦٢).

وبالرغم من كل هذا الحزن الذي يلف عالم فوزية رشيد القصصي وشخصياتها الوحيدة المعذبة المقهورة المحاصرة والجائعة بشكل أو بآخر. بسبب افتقادها للحب والتواصل الانساني

والطمأنينة والأمن والحرية . وبالرغم من هذا العالم الكئيب الحزين ، فقد أسمت فوزية مجموعتها القصصية « مرايا الظل والفرح » . فأين هو الفرح في هذا العالم الحزين الموحش والمعذب ؟!

منيرة القاضل

منيرة القاضل انموذج للفتاة البحرينية الحديثة وللأديبة البحرينية الجديدة أيضاً .. فهى من خريجات البعثات الخارجية في التعليم العالى ، إذ درست اللغة والأدب الانجليزيين بجامعة الكويت ، وعادت لتلقى محاضراتها ودروسها في تلك المواد على طلبة وطالبات الكلية الجامعية في البحرين كمدرسة بهذه الكلية . وهى تكتب القصة القصيرة بحرص على الاضافة والتجديد في أدب البحرين ، مستفيدة من دراستها للآداب الأجنبية ومن معايشتها لحياة المرأة في البحرين ، ومع انها مقلة في الانتاج وفي الظهور بالحياة البحرينية العامة الا انها قدمت ثانى المجموعات القصصية النسائية في أدب البحرين ، مع مجموعة فوزية رشيد « مرايا الظل والفرح » . المجموعة بعنوان « الريمورا » وقد صدرت مؤخراً عن دار الربيعان في الكويت . فطالعتنا قصصها بصوت نسائى فريد ومتميز في أدب البحرين .

تتميز قصص منيرة القاضل بالجرأة في تناول قضية المرأة ، والجوس في عالمها الداخلى ، وبالحداثة في تشكيل البناء القصصى . وقد اعترفت منيرة القاضل في مقدمة قصتها الرئيسية التى منحت المجموعة عنوانها « الريمورا » (وهى سمكة مزودة بأسطوانة ، امتصاص تمكنها من الانتقال وهى ملتصقة بأسماك أخرى) قائلة بأن « الجرأة في حد ذاتها عامل أساسى ، وهى ككفل قد تكون في لحظة بطولة ، وفي لحظة أخرى ، وقاحة غير محتملة » (ص ٧) .

ويبين من عنوان القصة ومفرداتها . استعانة القصاصة برموز من عالم البحر ، ذلك العالم الذى يزخر به تراث الخليج عامة وأدب البحرين خاصة . أما « الريمورا » ، تلك السمكة التى تعلق بأكثر من سمكة ، فهى الزوجة التى طال انتظارها لزوجها الغائب حتى تعلقت بأحد أصدقائه . ويكتشف الزوج هذا الحدث الأليم في عيد زواجهما السابع باعتراف زوجته . وقد شيدت منيرة القاضل قصتها على شكل التنقل بين الأزمنة والأمكنة والشخصيات .. فتارة بنساب المونولوج الداخلى ليكتشف أحداث الماضى ، وتارة يتقدم السرد والحوار ليصورا الواقع في الزمن الحاضر ، وتارات يتم المزج بين كل هذه الأدوات الفنية لإثراء القصة وتنويعها .

وهكذا تدور قصص منيرة القاضل المجموعة في كتابها « الريمورا » حول العلاقة بين المرأة



غلاف المجموعة القصصية « الريمورا » منيرة القاضل .

والرجل ، فهى قضيتها المحورية الأثيرة . وفي هذه القصص تتعرى العلاقات الخلقية والجانبية بين المرأة والرجل ، فتتكشف خيانة الزوجة في القصة الأولى « الريمورا » ، وخيانة الخطيبة في القصة الثانية « الومض » ، وفي القصتين تصور الأديبة المرأة في موقف المخدوعة ، وتتناثر معها بعض العبارات الجريئة (١٣) .

ولعل قصتها « تداخل الأزمنة المعتمة » هى أكثر قصص المجموعة تعبيراً عن نهج منيرة القاضل القصصى والموضوعى ، من حيث الحداثة والجرأة في التعبير . فالقصة ، كما يقول عنوانها ، تعتمد أسلوب تداخل الأزمنة للتعبير عن أزمة لفتاة بلغت سن الثلاثين وظلت حبيسة جدران البيت ، سجينة القرن العشرين . كما تصف نفسها بمونولوجها الداخلى .. أخوها يرفض السماح لها بالعمل لأن البيت هو مكان المرأة الطبيعى ، وأمها تطاردها حتى لا تنفرد بنفسها في حمام المنزل ، وهم لا يسمحون لها بالزواج بمن تريد ، والبقال يغازلها .. وتنتقل القاصة ، بمهارة وسرعة وجرأة ، بين هذه الشخصيات والأمكنة والأزمنة والضمائر لتكشف عذاب ضميرها الذى يطالبها بألا تفعل ذلك « مرة أخرى » .. هكذا تتلاحق الصور في التعبير عن العالم الداخلى للفتاة العانس ، حتى يخرجوها من الحصار في النهاية ليصحبوها إلى الطبيب الذى يقرر في اطمئنان انها « مازالت عذراء » .

وتجوس قصة « نبضات في الداخل » لتصور عذاب فتاة حامل لحظة رقادها في غرفة العمليات لاسقاط الحمل الحرام في شهره الرابع ، وتستخدم القصاصة منيرة القاضل المونولوج الداخلى وتيار الوعى للتعبير عن هذا العذاب المادى والنفسى ، وتعميق بؤرة الرؤية ، منذ بدء العملية الجراحية حتى إتمامها بإخراج الجنين غير المكتمل النمو .

وتتراوح قصص المجموعة بين الطول والقصر : وبين القصة واللوحة القصصية والأقصوصة . وتتكرر بعض موضوعات القصص عند منيرة القاضل ، مثل قصتيها « القرار » و « المعادلة » عن ظروف العمل السياسى السرى وصعوباته ومخاطره . غير انها قصص تعج بالتقريرية والمباشرة والتسرع في تسجيل المواقف .. فالسياسة ليست عالم منيرة القاضل . وتظل قصصها النفسية أعظم فنياً وأكثر تعبيراً عن العالم الداخلى للمرأة .

وبعد ، ان فوزية رشيد ومنيرة القاضل ليستا كل الأصوات النسائية الجديدة في القصة البحرينية القصيرة ، فثمة أسماء أخرى بدأت السير في هذا الدرب الأدبى الجديد . ولكن فوزية ومنيرة نجحتا في إبداع صوتين قصصيين متميزين ، كما انهما انفردتا بإصدار المجموعتين القصصتين الوحيدتين في أدب البحرين النسائى حتى اليوم ، وهى محصلة محدودة ولكنها واعدة . أما الأصوات النسائية في شعر البحرين فهى أكثر وفرة وثراء وتنوعاً . وهذا هو موضوع مقالنا التالى في الجزء الثانى من هذه الدراسة .

أحمد محمد عطية

في العدد القادم

أصوات نسائية في أدب البحرين « الشعر »

دراسة عن : حمده خميس ـ إيمان أسيرى ـ فتحية عجلان

.. وفى العاصمة يحاول أن يقابل المطربة الكبيرة لكن الخدم يقفون فى وجهه .. ويهددونه إذا لم يبتعد أن يطلبوا له البوليس .. وفجاة تبرق فى ذاكرته فكرة .. ماذا لو أرسل لنفسه خطابا على أنه من المطربة الكبيرة ؟ !

أحلام عم السيد

بقلم : صـــلاح عبد السـيد

ويهل عم سيد .. متأرجحاً فى مشيته ــ قدمه اليمنى ملتوية ــ وحذاؤه اللامع يصدر « تزييقة » متصاعدة كلما نقل قدماً ..

يهل مرتدياً جلبابه الأبيض .. الناصع البياض .. والذى ليس به غبرة .. وطاقيته « أم قرص » فى أعلى رأسه قد انحسرت قليلا فأبانت شعره الأبيض .. وفى جيبه الأعلى انحشرت نوتة صغيرة .. يزاحمها قلم كوبيا تلمع « لباسته » من بعيد ..

يتمايل عم سيد قادماً .. متجهاً إلى مقهى الرشيدى .. فيلمحه الجمع ــ مغاورى وجبر وداود ورزق ــ فيسرى فى وجوههم فرح خفى ويتنحنحون .

ــ كوتشينة جديدة يا عم الرشيدى .

فيفهم عم الرشيدى داخل نصبته أن عم سيد قد جاء ..

ويدخل عم سيد محيياً .. فيضيع صوته فى زحام الكلمات .

ــ تفضل يا عم سيد .. أهلا يا عم سيد .

ويجلس عم سيد .. والكوتشينة الجديدة أمامه .. وكقاض يسأل .. العشرة من كم .. ؟ ويردون .. والمشاريب .. ؟ ويردون ..

ويضع الرشيدى قطعة الطباشير أمام عم سيد .. لا يتحدث .. فمادام عم سيد موجوداً .. ومادام قد اتفق فكل شىء سيسير فى وضعه الصحيح .. لاخناقات .. ولا مشاكل .. ولا يحزنون ..

و « يفنطون » الكوتشينة ويبدأون اللعب ..

وعم سيد هو الذى يقيد .. وهو الذى يخبر الرشيدى من الذى غلب .. ومن الذى سيدفع ثمن المشاريب .. والرشيدى لا يأخذ الا بكلامه .. بكلامه فقط دون الآخرين ..

وعم سيد لا يتكلم كثيراً .. فكلمته حين يقولها قانون .. وعلى الآخرين اطاعتها .. فمكانته وسط هؤلاء محفوظة .. فهو يقرأ الجرنال كل يوم .. ويكتب الخطابات دون املاء .. ويجالس الأفندية .. ويحتفظ فى نوتته الصغيرة بكلمات مسجوعة تشبه تلك الأغانى التى تردد فى راديو الرشيدى ..

وعم سيد يعمل فى النهار « خولى » للأولاد الذين يجمعون دودة القطن .. يظل طول النهار يضرب بعصاته طرف جلبابه .. زاعقاً على الأولاد ــ أعمل لك همة .. أنت وهو ــ فيسرع الأولاد فى جمع اللطع ــ لا تترك لطعة وراءك ــ فيدقق الأولاد النظر .. وعم سيد وراءهم لا يكل .. وإذا عثر على لطعة وراء أحدهم .. رفع عصاه فى الهواء كأنه سيضربه بها .. لكنه ينزلها على طرف جلبابه مهوشاً ــ أفق يا بغل ــ فيضحك البغل .. ويكركر الأولاد وراءه ضاحكين ..

هكذا عم سيد لا يؤذى أحداً .. الأولاد يحبونه ويترنمون بكلماته .. مرددين وراءه :

قال العويل للأصيل
إيه اللى جابك حداى
رد الأصيل يا عويل
أنى مش لأجلك جاى
ولا جاى أقولك عواف
ولا جاى أشرب شاى

ويظل عم سيد يغنى .. الى أن تدمع عيناه .. وكثيراً ما ينسى نفسه .. ثم يفيق إليها بعد لحظات فيصرخ فى الأولاد ــ أعمل لك همة أنت وهو ــ ويضرب بعصاه طرف جلبابه ..

وكل مساء يعرج عم سيد إلى مقهى الرشيدى .. وعندما يغلق المقهى أبوابه يتسلل إلى حيث يسهر الأفندية .. فيجلس على مشارف القعدة .. يتسمع ما يدور .. يحرص عم سيد على الذهاب إلى هناك والاستماع إلى ذلك الولد ــ ابن الناظر ــ وإلى شعره الذى يلقيه كل مساء ..

ساعتها يتذكر عم سيد حظه الضئيل من التعليم .. لو كان أبوه قد تركه فى المدرسة .. لأصبح مثل ابن الناظر هذا .. وربما بزه .. فهو يكتب مثل هذا الكلام ..

وذات ليلة وجد عم سيد نفسه يقاطع ابن الناظر قائلا .. إننى أكتب مثل هذا الكلام .. ويصمت ابن الناظر قليلا .. ثم يتمتم ــ أسمعنى يا عم سيد ــ ويدندن عم سيد بأغنية .. ويقول ابن الناظر الله .. وغيرها .. الله .. وغيرها .. الله ..

ويقول ابن الناظر .. لماذا لا ترسل أغانيك هذه إلى المطربة الكبيرة يا عم سيد .. ؟ وتنشرح أسارير عم سيد وهو لا يكاد يصدق ..

وفى الليل .. فى الليل المتأخر .. ينكفىء عم سيد على أوراقه يخط خطاباً للمطربة الكبيرة بخط راعش متعرج ..

ويقرأ الخطاب مرة .. ومرتين .. وثلاثا .. ويرتعش .. ثم يغلق الخطاب بعناية .. ويضعه قبالته وهو ينظر إليه ..

وفى الصباح يسلمه فى شباك قطار البريد .. ويظل طول اليوم يحلم .. لم يغن كعادته مع الأولاد .. كان سارحاً فى الخطاب .. يتخيله مسافراً .. قاطعاً الطريق إليها .. فهل يتحقق هذا الحلم الكبير .. ! ! ؟

وفى المساء عندما ذهب إلى مقهى الرشيدى ظل صامتاً سارحاً .. حتى لاحظوا عليه ذلك .. فسألوه مابك ياعم سيد ؟ لكنه هز رأسه نافياً .. لكنهم حاصروه بالسؤال .. مابك ياعم سيد .. ؟ ولكى يريح رأسه .. حكى لهم الحكاية كلها ..

وتمر الأيام ويحلم عم سيد .. يحلم كثيراً .. وكل يوم ساعة وصول قطار البريد يسرع متمايلا .. ويشب على شباك القطار ــ هل من خطاب لى .. ؟ ــ لكن الرجل فى الشباك يهز رأسه نافياً ..

ويعود عم سيد إلى الأولاد .. حزيناً يائساً .. يضرب بعصاته طرف جلبابه .. وفى المساء يجلس شارداً فى المقهى .. ويلحظون عليه ذلك فيسألونه ــ ألم يأت الرد من المطربة الكبيرة .. ؟ ــ فيهز رأسه نافياً ..

كل ليلة يتكرر نفس السؤال .. ويتكرر نفس الجواب .. ؟

ويتجرأ « جبر » ذلك الملعون ويسألة : ربما لم تعجبها أغانيك .. ؟

فيرد عم سيد مدافعاً عن أغانيه قائلا : ــ لقد شهد لها ابن الناظر .

فيرد جبر : ــ وما قيمة شهادة ابن الناظر .. ! ! ؟

ويشرد عم سيد .

لقد مر شهران للآن .. ولاحس .. ولاخبر ..

ويمسك عم سيد بورقة .. ويعيد ما كتب ثانية .. ثم يضعه فى مظروف .. ويلقى به فى قطار البريد ..

وينتظر ..

يسأل كل يوم .. ولا إجابة ..

ويرد جبر صاحب اللسان المفلوت : ــ دعك من هذا الكلام الفارغ .. وابحث عن مصلحتك أحسن لك ..

ويشتبكان ..

لأول مرة يشتبك عم سيد فى خناقة .. ويقسم ألا يقيد لهم ثانية حساب الكوتشينة من أجل خاطر جبر.

ويخرج من المقهى يعرج ..

ماذا بعد .. لماذا لم ترسل .. !!؟ هل حقاً لم تعجبها الأغانى التى أرسلتها ..!!؟

وهل كان ابن الناظر يكذب على .. !!؟

لا .. انه لا يكذب .. اذن لماذا لم ترد المطربة الكبيرة .. !!؟

ويرد على نفسه .. ربما كانت مسافرة .. أو .. أو مريضة .. ويتنهد ..

فلينتظر .. وينتظر عم سيد ..

لكن جبر لا ينتظر .. يظل يلقى بكلماته العابثة هنا وهناك .. ويمصمص شفتيه فى استهزاء كلما رآه ينتحى جانباً وقد فرد نوتته بين يديه وأمسك بالقلم فى اهتمام شديد.

ويرفع عم سيد رأسه .. وتصطك الأعين فى ضيق .. ثم يتنهد ويغلق نوتته .. ويعرج خارجاً ..

لابد أن يسكت ذلك الأبله الذى لايجيد شيئاً فى العالم غير لعب الكوتشينة وأكل الهريسة .. لابد أن يرد عليه رداً يفحمه .. ولكن كيف .. هل يكتب خطاباً آخر .. فلنفرض أنه كتب ولم ترد... وأخذ يفكر .. وهداه تفكيره .. أن يسافر إلى العاصمة وأن يقابل المطربة الكبيرة ..

وفي الصباح يسافر إلى المركز ... ومن المركز يركب القطار إلى العاصمة ..

وفى العاصمة يحاول أن يقابل المطربة الكبيرة .. لكن الخدم يقفون فى وجهه .. ويهددونه إذا لم يبتعد .. فانهم سيطلبون له البوليس ..

ويسقط فى يد عم سيد .. ماذا يفعل .. وقهقهات جبر تطارده فى كل مكان .. لابد من عمل شيء .. وتبرق فى ذاكرته فكرة .. ماذا لو أرسل خطاباً إلى نفسه .. على أنه من المطربة الكبيرة ..

وتروقه الفكرة .. الآن يستطيع أن ينتصر على جبر .. وأن يسد فمه « بالطين » .. ويكتب الخطاب لنفسه ..

وبعد يومين يصله الخطاب .. ويتعمد أن يكون معه عبد القدوس ـ ذلك الذى لا يبل فى فمه فولة ـ ويمضى إلى داره .. بينما يمضى عبد القدوس إلى مقهى الرشيدى .. فيذيع الخبر على الجميع ..

وينتقل الخبر ويشيع ..

وفى المساء .. يدخل عم سيد إلى مقهى الرشيدى .. خفيفاً .. حالماً .. كأنه يعوم على سحابة من عطر .. ويهز رأسه بالسلام .. ثم ينتحى جانباً .. ويهرع إليه الجميع ـ عدا جبر ـ يستوثقون من الخبر .. فيؤكد لهم صحته بهزة من رأسه ـ يجب من الآن أن يقتصد فى الكلمات ـ ويلعبون الكوتشينة .. ولا يجرؤ واحد منهم أن يطلب منه أن يقيد لهم الحساب .. وعم سيد فاتح نوتته .. ممسك بالقلم .. مفكر .. عاصر ذهنه .. وجبر صامت ينظر إليه .. وكل لحظة .. وبتؤده شديدة ينادى على الرشيدى ـ قهوة مضبوطة ـ ويشربها .. وجبر مادا رقبته ينظر له غير فاهم .. هل الذين يكتبون لابد أن يشربوا القهوة .. !!؟

ويصل الخبر إلى زوجة السيد .. فتسأله عن صحته .. فيجيبها بهزة من رأسه .. فتصرخ داعية له .. لكنه يصرخ عليها أن تكف .. فلقد أطارت الفكرة من رأسه ..

وفى الصباح يبدو السيد غير السيد .. المشية غير المشية .. والصوت غير الصوت .. ولم يعد سيد يغنى مع الأولاد .. لم يعد مقامه الآن أن يغنى مع الأولاد .. فالمطربة الكبيرة ستغنى له ..

ويصدق عم سيد .. ويحلم ..

لكن الأيام تمر والمطربة الكبيرة لا تغنى .. وجبر الذى كان صامتاً .. لم يعد صامتاً .. فكلما رأى السيد يكتب .. أطلق ضحكة تدور حول رأسه ..

ويرفع السيد عينيه شذراً إلى جبر .. لكن جبر لا ينزل عينيه .. فينزل السيد عينيه .. ثم يعرج خارجاً ..

يجب أن يسد فم هذا الجبر بالطين .. وأن يلقمه حجراً .. وفكر .. ماذا يفعل .. !!؟

وهداه تفكيره أن يذهب إلى العاصمة فيرسل لنفسه مبلغاً من المال على أنه من المطربة الكبيرة ..

وراقته الفكرة .. لكن من أين له بالمال .. وهو يريد أن يرسل لنفسه بضع مئات من الجنيهات .. !!؟

وفكر .. ولم يجد غير مصوغات زوجته .. سيأخذها فيبيعها .. ويرسل النقود لنفسه وبعدها يعيد شراءها ثانية.

وفى الليل .. فى الليل الأخير .. استولى على المصوغات من مكمنها .. وأسقطها فى جيب جلبابه .. وأسرع خارجاً ..

جلس أمام النهر .. وتحسس المصوغات وارتعش .. وفكر أن يعيدها .. لكن جبر .. جبر اللعين .. كان يتراءى له على صفحة الماء ضاحكاً .. فأمسك بقطعة من الحجر وهوى بها على وجه جبر .. فغاص فى الماء ..

وفى الصباح سافر إلى العاصمة .. وأرسل لنفسه الخطاب وبداخله النقود ..

وعندما عاد إلى بيته تجنب النظر إلى عينى زوجته .. أو الاحتكاك بها .. كان يوليها ظهره ممثلا أنه مشغول .. بينما أذناه المرهفتان وحواسه



كلها ترصد خطواتها ..

وبعد أيام يسرع السيد إلى قطار البريد .. ساحباً وراءه ذلك الذى لايبل فى فمه فولة ـ عبد القدوس ـ لكن الخطاب لا يصل ..

ويذهب فى اليوم التالى .. والتالى .. لكن الخطاب لا يصل ..

ويكاد يجن ..

أين ذهب الخطاب .. لقد كتب العنوان جيداً .. وسبق قبل ذلك أن فعلها ووصل الخطاب .. فلماذا هذه المرة ..؟

وامرأته تراه يكلم نفسه .. ويرفع يده .. ويدخل .. ويخرج .. ويدور كذئب محاصر .. لكنها لا تجرؤ على سؤاله ..

ويذوي السيد .. وتحمر عيناه .. ويصيبه الصداع .. ماذا يقول لزوجته لو اكتشفت الآن غياب المصوغات .. !!؟

وتكتشف زوجته غياب المصوغات .. وقبل أن تصرخ .. يقفز اليها مسرعاً .. واضعاً يده على فمها .. وبتلعثم شديد يخبرها أنه هو الذى أخذ المصوغات ..

وتسأله أين ذهب بها .. فلا يعرف الإجابة .. فتلطم خديها .. فيضربها .. فتذهب إلى أبيها غاضبة ..

وفى المساء يأتى أبوها فيأخذ أثاث ابنته ..

ويجلس السيد وحيداً فى ركن الحجرة .. بلا أثاث ولا زوجة ..

ويتوسط أولاد الحلال لعودة زوجة السيد فيشترط عليه أبوها أن يقسط ثمن المصوغات .. على ألا تعود إليه زوجته .. الا بعد أن يدفع القسط الأول ..

ويوافق سيد ..

ويعود للعمل كخولى وسط الأولاد ..

كل صباح يعرج خارجاً من البيت .. قاصداً الحقل الذى يعمل به .. فإذا وجد الأولاد يغنون .. هوى بالعصا عليهم ـ أوقفوا الغناء يا ملاعين ـ ثم يتمتم لنفسه ـ انه الذى أودى بى فى داهية ـ ويذعر الأولاد ويصمتون ..

وفى الليل .. فى الليل الأخير .. يعرج وحده على جسر النهر .. وهناك يجلس صامتاً أمام النهر .. وتتخايل له صورة المطربة الكبيرة على صفحة الماء .. فيمسك بقطع الحصى .. يضرب بها الصورة .. حتى تتفتت وتغوص فى القاع ..

لكنه الليلة تخايل له وجه الأولاد يغنون .. فهم بالقاء الحصى .. لكن غناء الأولاد تصاعد ـ قال العويل للأصيل .. ـ فوجد نفسه يستمع .. ثم وجد نفسه يردد معهم ـ قال العويل للأصيل .. ـ وصوته يعلو .. والأولاد يردون .. ويأخذه الغناء لحد البكاء .. فيبكي .. ويحس بجسده يهتز .. وبالراحة تتسرب إليه .. فيتحسس جيبه ـ الآن قد اكتمل القسط الأول ـ فيمسح عينيه ـ سيوقظ صهره الآن ويطلب زوجته ـ ويبدأ السير إلى هناك ..

خدعة هزّت الأوساط الأدبية في بريطانيا
ماذا يحدث عندما يقدّم كاتب كبير أعماله على أنها من تأليف كاتب مبتدئ؟!

خدعة هزت الأوساط الأدبية فى بريطانيا

أى مؤلف ناشيء يرفض الناشرون إنتاجه يقول عادة : ليس المهم ما تكتب .. وانما أن تكون شهيراً ! ويتصور انه إذا كانت مخطوطته تحمل اسم مؤلف معروف لسارع الناشرون إلى الاحتفاء بها .. كيف يمكن اختبار هذا الزعم ؟ ماذا لو أرسل كاتب شهير إلى أحد الناشرين مخطوطة عليها اسم مجهول ؟

هذه التجربة قررت أن تخوضها الكاتبة الانجليزية الشهيرة دوريس ليسنج وفجرت بها قنبلة أدبية فى بريطانيا خلال الشهر الماضى. والذى فعلته دوريس انها قدمت رواية جديدة لها إلى الناشرين بتوقيع مستعار هو « جين سومرز » لترى كيف يكون حظها من الاستقبال والنجاح .

وتعتبر دوريس ليسنج من أشهر الروائيات المعاصرات فى بريطانيا ، وهى تلقى تقديراً عالياً فى الدوائر الأدبية ومن جهة القراء بوجه عام . وقد أحرزت شهرة مبكرة منذ روايتها الأولى « أغنية المراعى » التى صدرت فى عام ١٩٥٠ . ومنذ ذلك الحين صدرت لها ١٧ رواية كبيرة وعدة مجموعات قصصية . وحصلت على جوائز أدبية فى بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا ، وقفزت مبيعاتها العالمية الى دائرة الملايين . فقد باعت خماسيتها « أطفال العنف » باجزائها الخمسة مليونى ونصف مليون نسخة وباع أشهر أعمالها « المذكرة الذهبية » ٧٥٠ ألف نسخة ولا يزال فى مقدمة أكثر الكتب توزيعاً . كما باعت « أغنية المراعى » ما لايقل عن نصف مليون نسخة ، وكذلك مجموعتها القصصية دخلت كل منها فى حدود نصف المليون .

وتبلغ دوريس ليسنج الآن الخامسة والستين من العمر ، ولكنها لا تزال تحتفظ بشىء من « شقاوة العيال » . هذه الشقاوة جعلتها تقرر فى عام ١٩٨١ ، وهى فى قمة شهرتها ، أن تخوض هذه التجربة الغريبة : أن تكتب تحت اسم مجهول وترى رد فعل الناشرين والنقاد والجمهور لأعمالها .

واختارت اسم « جين سومرز » لتضعه على غلاف روايتها الجديدة « يوميات جارة طيبة » . وهو نفس اسم بطلة الرواية وراويتها ، فالرواية تدور على لسان امرأة تدعى « جانا سومرز » وهى صحفية محترفة فى أواخر الأربعينات من عمرها وتعمل فى إحدى المجلات النسائية المتخصصة ، وتلتقى « جانا » صدفة فى احدى الصيدليات بامرأة عجوز جداً تدعى « مودى » وتربط بينهما الصداقة وسرعان ما تشعر « جانا » بأنها مسئولة عن هذه المرأة العجوز ، فتزورها فى بيتها بانتظام لتساعدها فى أعمالها المنزلية ، وتخوض معها معاركها مع باحثى الخدمة الاجتماعية ومالك البيت والجيران وترافقها فى طريق الاقتراب المرعب من خرف الشيخوخة .

وأعطت دوريس ليسنج المخطوطة التى تتكون من ١٢٠ ألف كلمة على الآلة الكاتبة الى وكيلها الأدبى جوناثان كاولز فى صيف ١٩٨١ وطلبت منه أن يرسلها إلى الناشرين باعتبارها الرواية الأولى لصحفية تكتب تحت اسم مستعار . وقدم الوكيل الكتاب أولاً إلى مؤسسة « جوناثان كيب » التى تتولى نشر كتب دوريس ليسنج ويرأس هذه المؤسسة « توم ماشلر » وهو من أوثق أصدقاء ليسنج والمعجبين بأعمالها ، ولكن الذى حدث أن المخطوطة لم تجد طريقها إليه وذهبت إلى مديرة أخرى تدعى « ليز كاولز » فرفضتها خلال أسبوع واحد دون ابداء أسباب .

بعد ذلك ذهبت المخطوطة إلى مؤسسة « جرانادا » للنشر التى تتولى إصدار طبعات الغلاف الورقى Paper back من مؤلفات دوريس ليسنج ، وجاء الرد بعد شهر ، بالرفض أيضاً !

وفى سبتمبر ١٩٨١ وصلت المخطوطة إلى ناشر ثالث يدعى « مايكل جوزيف » وهناك قرأت المخطوطة إحدى رؤساء التحرير وتدعى « فيليبا هاريسون » ووافقت على النشر ، بل جاء فى تقريرها « ان الرواية تذكرنى بدوريس ليسنج فى شبابها » .



الكاتبة الانجليزية دوريس ليسنج

وقررت دار النشر اعطاء المؤلفة سومرز ليسنج مبلغ ألفى جنيه استرلينى مقدماً وهو مبلغ سخى بالنسبة لما يتقاضاه المؤلفون المغمورون عادة كما طلبت اجراء بعض التعديلات فى الرواية فقامت ليسنج باجرائها واعادتها إلى دار النشر فى مايو ١٩٨٢ . وعندئذ فقط كشفت دوريس ليسنج عن شخصيتها الحقيقية لفيليبا هاريسون وطلبت منها ابقاء الأمر سراً كى تريا كيف تشق الرواية طريقها بنفسها .

وتحدد موعد صدور الرواية بربيع ١٩٨٣ . وصممت فيليبا هاريسون على عمل دعاية جيدة لها فأرسلت قبل صدورها نسخاً أولية إلى ١٩ من الشخصيات الأدبية كرؤساء التحرير ونقاد الكتب والاذاعة البريطانية على أمل أن يتحمس أحدهم للكتابة عن الرواية قبل صدورها أو بعد صدورها بقليل .

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث . والنقاد معذورون إلى حد ما لأنهم يتلقون سيلا لا ينقطع من الكتب الجديدة فقد صدرت فى بريطانيا خلال العام الماضى أكثر من ٥٠٠٠ رواية . وإذا لم تكن هناك علاقة ثقة أو اهتمام خاص بين الناقد والكاتب فنادراً ما يهتم النقاد بالأسماء الجديدة . وهكذا لم يتحمس للرد سوى اثنتين فقط من النقاد هما الروائية مارجريت فورستر والناقدة انطونيا بيات اللتان اتصلتا بفيليبا هاريسون وأبلغتاها أن الرواية الجديدة لا بأس بها . وفى فبراير ١٩٨٣ ظهرت عن الرواية نبذة صغيرة وحيدة فى مجلة

« بوك سيللر » ولكنها لم تكن متحمسة على نحو كاف ، إذ جاء فيها أن رواية « يوميات جارة طيبة » كان من الممكن أن تبنى على نحو أفضل كما أن المؤلفة وهى صحفية ناشئة لم تستطع أن تتغلب على كل الصعوبات التى تنجم عن رواية الأحداث بالضمير الأول .. أى أن يكون الراوى هو نفسه البطل .

وبعد صدور الرواية فى الأسواق لم تلحظها سوى صحيفة « الأوبزرفر » التى قالت عنها فى نبذة مختصرة انها « متفاوتة الاجزاء من حيث الجودة » ، وكذلك صحيفة « الفاينانشيال تايمز » التى أشادت بدفئها ، وفيما عدا ذلك تجاهلها كل النقاد وعارضى الكتب الآخرين ، فلم تشر إليها بالمرة صحف « صنداى تايمز » و « ديلى وصنداى تلجراف » و « التايمز » و « ديلى أكسبريس » و « ملحق التايمز الأدبى » ، كما لم تشر إليها برامج الكتب الجديدة فى الاذاعة البريطانية .

ونتيجة لهذا الاستقبال الردىء رفضت جميع طبعات « الغلاف الورقى » الثمانى وعلى رأسها « بنجوين » و « بان » و « سيفير » اعادة طبع الرواية فى طبعة شعبية ، وتراوح سبب الرفض بين أن الرواية كئيبة أو حزينة أكثر من اللازم أو ليست مربحة من الناحية التجارية . أما الطبعة الأصلية التى أصدرتها مؤسسة « مايكل جوزيف » فقد باعت إلى ما قبل اكتشاف السر حوالى الفى نسخة فقط .

وفى شهر سبتمبر الماضى فجرت صحيفة « صنداى تايمز » القصة بقلم ناقدتها الأدبية كلير توماالين التى أجرت مقابلة مع الكاتبة الشهيرة دوريس ليسنج حول الموضوع . وقالت ليسنج إن حياة الكاتب تخلو عادة من اللهو والمرح ولذلك قررت أن أمرح قليلا ، أن أداعب دور النشر والنقاد والقراء . قد كنت أريد أن أهرب من قفص شهرتى ، وها أنت ترين أن المسألة قد انقلبت إلى غم !

وفور اكتشاف الخدعة اهتزت الدوائر الأدبية فى بريطانيا وتناولتها جميع الصحف بالاشارة والتحليل ، وبدأ القراء يتهافتون على شراء « يوميات جارة طيبة » بالآلاف وينتظر أن تضرب أرقاماً قياسية فى التوزيع !

وعلقت « الصنداى تايمز » على القصة قائلة انها تثبت أن أجهزة النشر لدينا غير كافية ، وان نقادنا لا يحفلون إلا بالمشاهير ، وان صحفنا تهتم بارضاء كبار الكتاب أكثر مما تهتم باكتشاف الكفاءات أو باختصار ان كل ناشرينا ونقادنا وصحفنا فى حالة تستحق الرثاء .

وليس لنا تعليق فى النهاية سوى أن نقول : إذا كان هذا ما يحدث فى بريطانيا مع ارتفاع واستقرار معايير النقد الأدبى فيها فياضيعة أدبائنا الناشئين والشبان فى عالمنا العربى !

الشهرة تأتى احياناً .. متـــأخرة

هاربيث دويار مؤلفة أمريكية تشتهر الآن فى سن الرابعة والسبعين ، فقد لقيت روايتها « أحجار إيبارا » انتشاراً واسعاً وبيعت منها ملايين النسخ خلال الشهور القليلة الماضية . لم تكن هاربيث دويار تقصد أن تكون كاتبة ، فهى امرأة عادية من باسادنيا أما وجدة . هوايتها الوحيدة زراعة حديقة منزلها ، وبعد سنوات من وفاة زوجها عام ١٩٧٢ شعرت هاربيث بالفراغ فقررت الالتحاق بالجامعة من جديد لاكمال دراستها فى التاريخ التى انقطعت منذ ٥٠ عاماً . وفى جامعة ستانفورد أخذت هاربيث دروساً فى « الكتابة الخلاقة » انطلقت منها إلى كتابة بعض الصور القصصية الصغيرة التى انتزعتها من ذكريات طفولتها ونشرت بعض هذه القصص فى مجلات متفرقة ولفتت هذه القصص نظر مؤسسة فايكنج للنشر فى انجلترا فاتصلت بها وطلبت اعدادها فى كتاب بعد إجراء تعديلات بسيطة (حتى لا تبدو احدى السيدات حاملا فى فصل فى حين انها وضعت طفلها فى الفصل السابق) وهكذا صدرت أحجار إيبارا التى لم تلبث ان أحرزت شهرة هائلة مفاجئة على جانبى الأطلنطى .

جراهام جرين يخشى شبح الموت

أجرت صحيفة « الأوبزرفر » مقابلة صحفية طويلة مع الكاتب جراهام جرين بمناسبة بلوغ سن الثمانين . فى هذه المقابلة التى تمت فى شقة الكاتب بباريس سيطرت فكرة الموت بشدة على أفكار الكاتب . قال جرين إن كل اصدقائه قد ماتوا خلال السنوات الماضية ، وهو يحتفظ بقائمة من أسماء أصدقائه ومعارفه وكلما مات أحد منهم شطب اسمه حتى شطبت كل سطور القائمة . أعرب جرين عن أفكار متشائمة كتلك التى أعرب عنها الكاتب العربى توفيق الحكيم فى أحاديثه الأخيرة على فراش الشيخوخة والمرض .

اليوت .. الرجل الأجوف
بقلم بيتر اكرويد

ظهرت أول ترجمة لحياة الانجليزى الشهير ف . س . اليوت صاحب القصيدة الشهيرة « الرجال الجوف » . وهى أول ترجمة كاملة تظهر له بعد وفاته منذ عشرين عاماً . ويسلط فيها المؤلف بيتر اكرويد الضوء على عبقرية اليوت ونزعته المحافظة الشديدة . وقد انتقدت هذه الترجمة لأن المؤلف لم يقتبس فيها عبارات عن اليوت تؤكد أحكامه ووجهات نظره . ورد المؤلف قائلا إنه شخصياً إذا قرأ أية سيرة ذاتية لأحد الشاهير يقفز عادة على المقتبسات دون أن يقرأها . وقد احتفت الصحف البريطانية بهذا الكتاب وأفردت له مساحات كثيرة .

لــوركا يبعث فى بلاده من جديد

احتفلت أسبانيا لأول مرة هذا العام على نطاق واسع بذكرى شاعرها الكبير فيدريكو جارسيا لوركا الذى اغتالته سلطات فرانكو منذ ٤٨ عاماً . جارسيا لوركا معروف فى كل أنحاء العالم كشاعر ذى خيال قوى وذى مقدرة خارقة على تطويع اللغة والتلاعب بالكلمات مما يجعل من قراءته وترجمته متعة فائقة . ومن أشهر مسرحياته « ايرما » و « العرس الدامى » وقد ترجمتا وعرضتا فى كثير من الدول والهمتا عشرات من واضعى الباليه والأفلام والألحان الموسيقية ومع ذلك ظل لوركا فى بلاده أسبانيا شبه مجهول بصفة عامه ، وحتى بعد سقوط نظام فرانكو منذ ثمانى سنوات ظل الاحتفال بلوركا يتم على نطاق ضيق لا يتجاوز نصف ساعة تحت رقابة قوية من السلطات . ولكن احتفالات العام الحالى رفعته فجأة من الغموض الرسمى إلى ما يشبه مرتبة القداسة الوطنية .

وتتلخص ظروف وفاة لوركا فى أن قوات فرانكو اثناء الحرب الأهلية انتزعته من منزله ذات يوم من عام ١٩٣٦ حيث أبقته سجيناً عدة أيام ثم أطلقت عليه النار ودفنته فى قبر مجهول وظلت هذه الجريمة بمثابة لطخة لعهد فرانكو فى أعين العالم المتحضر . كما حظرت أسبانيا تداول أعماله التى رمقها العالم الخارجى بالإعجاب والتقدير .



حتى العقل البشري أصيب بأمراض التخمة

● مرض القرن العشرين القاتل هو القلق وقلة الضحك!

هذه المقالة .. رحلة .. ككل رحلة .. تتطلب في البداية شيئاً من الجرأة .. الجرأة التى تمكنك من ممارسة اعمال جديدة ، والاضطلاع بمهام لم تألفها والتفكير بطريقة جديدة ، وقبول افكار جديدة .

كُلْ قليلا واضحك كثيرًا هذه روشتة السلامة!

بقلم: الدكتور نبيل سليم علي

● الذى لايدخن يستطيع أن يعيش عشر سنوات أكثر من المدخنين .
● لا تأكل وأنت في الأربعين ماكنت تأكله وأنت في العشرين
● الأسماك أفضل من اللحوم والنباتات أفضل من الأسماك واللحوم !



الشعب الياباني هو أكثر الشعوب نظاما في الأكل وكميته

اجد نفسي تنزعني مني غضبا عني لأتكلم عن بعض امراض البلاد المتقدمة ، ولا ادرى عما اذا كنت راضياً أو غاضباً بهذا التقدم السريع لبعض الشعوب التي تصاب ببعض الامراض ، نظرا لارتفاع المستوى الاقتصادى خصوصا في بلاد الغرب مثل المانيا والبلاد الاسكندنافيه والولايات المتحدة واليابان .

وآمل ان تعتبر هذه الملاحظات كوصف عام ، فلا اطمع في تحليل هذه الاعراض على صفحات الصحافة ، واعتقد ان هذه الموضوعات معروفة بين اهل العلم والطب . فالحقيقة ان الحسابات افسدت حياة انسان هذا العصر .

ورغم ضغوط الحياة فان الانسان يعمل لصحته الف حساب بعد ان تحولت حياته وصحته الى ارقام .

الانسان يأكل بحساب .. يتفادى أكلاً معينا .. يقبل على اكل معين .. يمارس الرياضة خوفا على عمره .. يحاول الاعتدال في اسلوب حياته لمزيد من سنوات العمر بلا امراض .. يحرم شهيته من الحلويات .. ويدرب إرادته على الحرمان .. ورغم ذلك تجد الافراط والاكثار يلازمانه في كل شيء دون أن يدرى أو حتى وهو يدرى .

فبنظرة سريعة على حوادث السيارات مثلا والاصابات التى تودي بآلاف المصابين والوفيات

الافراط يلازم الانسان في كل شيء ، حتى في استخدام السيارات

كُل قليلا واضحك كثيرًا

سنويا نجد أنهم اكثر من مجموعة المصابين والقتلى في الحروب التى اشتعلت طوال خمسين سنة مضت .. في مدينة تعدادها أقل من ٩ ملايين شخص حوالى ٦,٥ مليون سيارة ، ومتوسط السرعة هو ٦٥ ميلا (اى مايقرب من ١٠٠ ــ ١١٠ كيلو مترا) وترتفع نسبة المصابين بكسور الجمجمة ، والرقبة ، والعمود الفقرى ، وما يصحبه من مصروفات علاجية ، وأدوية مستشفيات . وما يترتب على ذلك من فقد وقلة ساعات العمل للشخص المصاب والتعويضات المادية التى تدفعها شركات التأمين لما هو معروف بتعويضات آلام كرباج الرقبة .

زمن معكوس

ومن الطريف والمدهش ايضا اننا نعيش زمنا معكوسا نظرا لمحاولة تحكم المرأة في حياة الرجل ، نتيجة لشعورها باستقلالها الاقتصادى وعدم اعتمادهاالتام على الرجل في معيشتها وحياتها .

وهذا يعكس مدى ما آلت إليه حال العلاقات الزوجية في عصر التقدم والمدنية بما يتعارض وطبيعته الحياة . ورغم ذلك ما زلنا في كل يوم نرى الالحاح في المطالبة بمساواة المرأة بالرجل لدينا في الشرق ، أما في الغرب فأصبحوا يطالبون الآن بمساواة الرجل بالمرأة .

تضاربات خطيرة وسنن متغيرة حتى أصيب العقل البشرى بأمراض التخمة ، كما اصيبت النفس البشرية أيضا بأمراض كثيرة أبرزها القلق بأمراضه التى تؤثر على التنفس ونبضات القلب وآلام المعدة والأمعاء حتى سمي القلق بمرض القرن العشرين . إذ لايوجد انسان في هذا الزمان خال من بعض امراض القلق سواء بصورة واضحة او خفية وسواء اعترف بها أو أنكرها .

وهذا المرض العصرى أدى بدوره إلى انتشار أمراض أخرى مثل امراض الشهوة نتيجة لتعاطى المخدرات والميرجوانا والكيماويات المختلفة واستنشاق الصمغ والروائح وما يصحبه من ضعف الشخصية وانقسامها ثم المضار التى تؤثر على الجهاز العصبى والتناسلى وهذا ادى بالتالى الى انتشار امراض السيلان والزهرى نتيجة عدم الاستقرار النفسى والعائلى ونتيجة الاباحية ونظام المعيشة الجماعية وتفكك الاسرة وتباعد آراء الآباء عن الابناء .

ناهيك ايضا عما يصيب بقية اجزاء الجسم نتيجة الافراط والاكثار من تناول الطعام كذلك ، فهناك مايثبت ان كثرة الطعام والمواد الدهنية واللحوم والبيض والتدخين لها علاقة قوية بالاصابة بأمراض شرايين القلب . ولقد ظهرت احصائية حديثة تشير الى ان الرجل الذى لايدخن ولا يشرب الخمر ويقلل من اكل اللحوم يعيش عشر سنوات اطول من الشخص العادى ولا يصاب بأمراض القلب الا بعد سبع سنوات متأخرا عن زميله الشخص العادى ...

فهل تعلم أن البروتينات النباتية (مثل الفول المدمس) احسن قيمة غذائية من البروتينات الحيوانية وان الاسماك عموما احسن من اللحوم ؟..

ذلك لأن البروتين النباتى اخف ثقلا على الجسم كما ان الاسماك بما تحمله من كميات طيبة من اليود البحرى والكالسيوم تعطى الجسم حيوية زائدة وتنشطه ولاتصيبه بزيادة الوزن طالما ان تناولها يتم في حدود المعقول ودون افراط .. لأن الشخص العادى عندما يصاب بزيادة في الوزن فمعنى ذلك ان « الرطل » الزائد يقلل من العمر يوما واحدا ولذا فمن الطريف ان نجد شركات التأمين على الحياة تقلل اشتراكها للذين « يخسون » ويقللون الوزن .

وقد استخدمت آخر دراسة اجريت على أصحاب الاوزان الثقيلة الباحثين عن الرشاقة الذين دائما ينكرون أنهم كثيرو الاكل ، وينكرون قلة حركتهم ، العقل الالكترونى ليقول ماعنده ، ويفضح كل من يحاول الكذب وينكر مايلتهمه من



الاكثار من الطعام عادة سيئة تعيش معنا

السعرات الحرارية

وتقول هذه الدراسة إن الانسان يحتاج الى ٣٣ سعرا حراريا لكل كيلو من وزنه .. أو ١٥ سعرا حراريا لكل رطل من وزنه ، وهذه السعرات الحرارية لمن يمارس نشاطا عاديا ، واذا كنت تقضى حياتك معظم الوقت جالسا فأنت تحتاج الى سعرات حراريه اقل .

وقد رسم العقل الالكترونى خريطة أوضحت بالارقام الأكلات وموقعها من زيادة الشحوم في قوامك .. وفي نفس الوقت رسم خريطة معادلة للخريطة الأولى تبين كيف تستهلك مواقع الشحم في جسمك ، حتى لايتحول الى مخازن للشحوم .. تجعل الحركة صعبة على المفاصل ، والقلب ، والاعصاب .

الخريطة ترجمها العقل الالكترونى الى جدول يبين لك أن كل نشاط تبذله في يومك يتحول الى طاقة محترقه .. وبمعادلة بسيطه تعرف ماهو مطلوب حرقه ، وما هو مطلوب تعويضه .. وعموما فان كل نشاط اشار اليه العقل الالكترونى يساوى احتراق ١٠٠ سعر حرارى فإذا صعدت السلالم لمدة ٥ دقائق ، أو عدوت بدون اسراع لمدة ٨ دقائق أو مارست السباحة لمدة ٨ دقائق ، أو لعبت كرة السلة لمدة ١٢ دقيقة او ركبت الدراجة لمدة ١٣ دقيقة ، أو مارست التجديف لمدة ١٣ دقيقة او لعبت التنس لمدة ١٤ دقيقة ، أو مارست رياضة المشي لمدة ١٦ دقيقة ، او اذا لعبت الكروكية او الجولف لمدة ١٨ دقيقة ، او رتبت سيدة المنزل اسرة البيت لمدة ١٩ دقيقة ، او لعبت البنج بونج لمدة ٢١ دقيقة او قامت سيدة المنزل بكي الملابس لمدة ٢٤ دقيقة ، أو ركبت الخيل لمدة ٣٣ دقيقة ، فان كل زمن لكل رياضة يساوى احتراق ١٠٠ سعر حرارى من الجسم . فاحتياجات كل فرد من السعرات الحرارية ليست بالضرورة تتساوى مع الآخرين لانها تختلف باختلاف الغدد ومستوى نشاطها .. وفي الغالب فان متوسط احتياج الفرد لايزيد على ١٤٤ سعرا حراريا في اليوم الواحد .

والخريطة التى يغذيها الكمبيوتر تنذر كل من جاوز سن الثلاثين ان يقلل احتياجاته كل عشر سنوات بنسبة ١٠٪ فلا تأكل إذن وانت في الاربعين ماكنت تأكله وانت في العشرين كما ونوعا .

٦٣ وجبه !

والخريطة الثانية راعت في حسابها ومواقعها أن تقدم ٦٣ وجبه غذائية كاملة المحتوى ، وكل وجبة أو أكلة تساوى ١٠٠ سعر حرارى .. ومن هنا فإن ماتحرقه من سعرات حرارية تستطيع أن تعوضه ، وبالحساب ، من سعرات حرارية أخرى .

قالت الخريطة : ان كلا من الـ ٦٣ صنفا التالية



الموناليزا أو الجيوكندا صاحبة أشهر ابتسامة فى الفن والحياة . وتعتبر هذه اللوحة دعوة دائمة إلى الفرح والتفاؤل فى مواجهة مصاعب الحياة .

يساوى ١٠٠ سعر حرارى . فمثلا تفاحة متوسطة ، وخمس حبات مشمش ، وخرشوفة كبيرة ، وثمرة موزة صغيرة . وقطعة لحم رقيقة . ومربعان من الزبد أو مقدار ملعقتي شاى من الزبد ، وربع فرخة : وقطعتان من البسكويت وأربع بلحات . وبيضة وثلث مسلوقة أو صفاران من البيض أو قطعة سمك مسلوق او قطعتان ونصف سمك مقلى او عشرون حبة عنب ، أو ايس كريم (بسكوته) ، او ملعقة ونصف الملعقة من المربى أو قطعة لحم ضأن (خرطة صغيرة) أو ملعقتان من شوربة العدس ، او خرطة كبيرة من الكبدة المشوية . أو خرطة من اللانشون أو مقدار اربع ملاعق من المكرونة او ثلثا كوب من اللبن كامل الدسم أو كوب وربع الكوب من لبن منزوع الدسم . أو ثلاثة أرباع ملعقة زيت أو عشر حبات من الزيتون الاخضر . أو برتقالة كبيرة ، أو نصف خرطة صغيرة من البسطرمة او حبتان من الخوخ او عشرون حبة من الفول السودانى أو حبة كمثرى كبيرة او مقدار ثلاث ملاعق كبيرة من البسلة ، أو خرطتان من الاناناس او أربع حبات من البرقوق ، او حبة بطاطس مسلوقة متوسطة الحجم أو ٨ قطع من بطاطس الشيبس ...

وتستمر الخريطة فى عرض الوان وانواع الاكل من فواكه وخضروات ولحوم . وكل منها يساوى ١٠٠ سعر حرارى مثل ملعقتين من الزبيب أو أربع ملاعق كبيرة من الأرز أو كوب مشروبات غازية او ٢٠ حبة من اليوسفى الكبير أو ثلاث حبات من الطماطم .. أو أربع حبات من عين الجمل ، أو قطعة بطيخ صغيره أو كوب زبادى أو ثلث رغيف من الخبز البلدى .

وكل قطعة حلوى ، أو حبة فاكهة او قطعة لحم أو كوب عصير حسب الأرقام يساوى ١٠٠ سعر حرارى . ولكن يجب التحذير من أن هناك تفاوتا كبيرا بين شخص وآخر . ومعرفة احتياجات جسمك يمكن اكتشافها بسهولة اذا وزنت نفسك كل ثلاثة اسابيع مرة . أما رجال الاعمال وهم كثيرو الشكوى من قلة الاكل ، وكثرة المجهود ، وزيادة السمنة ، وأقول لهم إن تناول جرعات من المشروبات والاطعمة التى تظنون انها تؤثر فى الوزن مثل فنجان الشاى أو زجاجة المياه الغازية أو حبات السودانى هى فى النهاية تجمع السعرات الحرارية التى تؤدى الى زيادة ملحوظة مع عدم الحركة .

ثمن عطاء المدنية

ولكن هل تظل حياتنا تمضى بالحساب وبفاقد السعرات .. وكميتها وعددها من اجل حياة خالية من امراض التخمة ، وهى تحتل قائمة كبيرة من رصيد الأمراض ؟ الطب يقول : هذا ثمن عطاء المدنية . والحياة أخذ وعطاء .. وبالحساب .

واذا كنت تريد ان تعيش سليما وان تحصل على جواز سفر الى حياة جديدة خالية من متاعب وأمراض المدنية والعصر الذى نعيشه وأن تبعد عنك كل الامور التى تحيرك وتشغل بالك دائما وتريد أيضا أن تظل شابا طوال حياتك وان تستغنى عن العقاقير التى تلجأ اليها لتضمن نوما عميقا ، وأن تتخلص من البدانة المفرطة وأن تضمن استمرار طاقتك الحيوية وان تتخلص من عوامل التوتر واليأس التى تفيض بها حياتنا المعاصرة .. فاعمل بهذه المعادلة الصعبة السهلة :

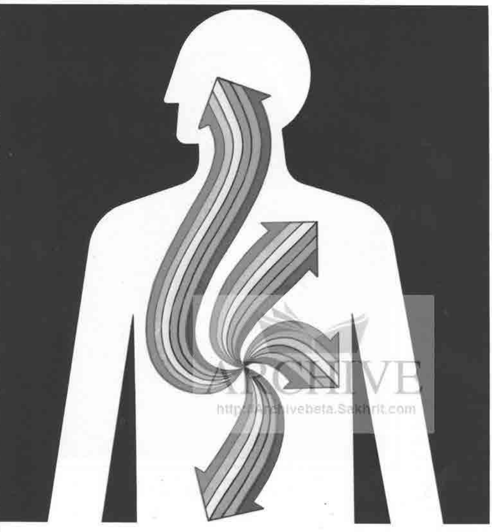
طعام قليل ضحك كثير مشي طويل حياة سليمة

ابتعد عن « الزرمرمة » بين الوجبات وكل قليلا .. واضحك كثيرا فالضحك له فعل السحر فى حياتك وامش طويلا فالحركة بركة ، والمشي حياة ، وهو الذى يشعرك بان لوجودك على قيد الحياة فائدة . وكن حريصا حرصا شديدا على الاستمتاع بكل مافى الحياة من اشياء جميلة هيأها الخالق لنا .

وكن طبيعيا .. اى عالج ما بالطبيعة بالطبيعة .. ولا تلجأ الى هوس الفيتامينات .. فمن المألوف انه عندما نجد صديقا على غير عادته من النشاط والحيوية نفهم بأنه فى حاجة الى فيتامينات . هذه الكلمة السحرية التى تذكرنا بالحياة والحيوية والنشاط .

ولقد أجرى اخيرا فى فرنسا بحث حول وجهة نظر الرأى العام بخصوص الفيتامينات واثبت اختلافا بينا فى الآراء ، فالبعض يعتقد ان للفيتامينات قوة سحريه بينما يرى البعض الآخر

كُل قليلا واضحك كثيرًا



معظم أجزاء الجسم تتأثر بالإفراط فى تناول الطعام

انها مجرد مادة طبيعية تتواجد فى الخضروات والفاكهة ...

اما فى الولايات المتحدة فإن للفيتامينات شهرة واسعة ولذلك فإنها تباع بكميات ضخمة الى الدرجة التى ازعجت المسئولين عن التغذية . وفى رأى الدكتور جان ماير الفرنسي الاصل ومستشار التغذية بالامم المتحدة « .. أن الافراط اليومى فى تناول الفيتامينات قد يكون مفيدا للكثير من الناس . ولكن هناك نوعا آخر من الافراط المكلف ماديا بدون داع . كما أنه قد يكون خطرا كما فى حالة المعالجة بتناول كميات مكثفة من فيتامين معين » .

وفى حلبة الآراء المتضاربة والمشوبة بالغموض تقوم بكل أسف بعض شركات الادوية بحملات اعلامية مكثفة ومستمرة لحث الناس على تناول الفيتامينات .

والسؤال المطروح حاليا والمطلوب الاجابة عليه هو :

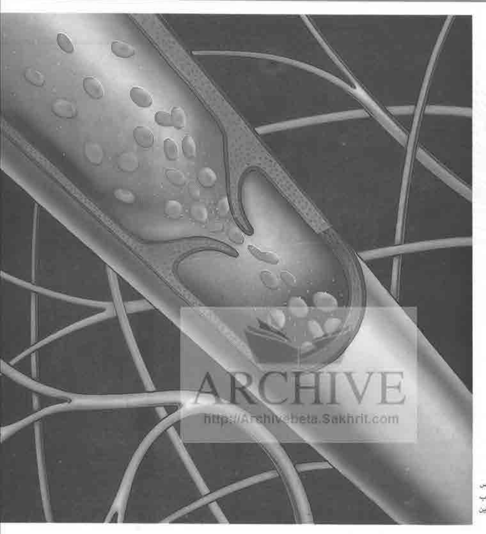
« ما مقدار الفيتامينات المطلوبة للجسم وما مدى أهمية الفيتامينات بالنسبة للانسان ؟

ماهى الفيتامينات ؟

ومن المعلوم أن الفيتامينات فى حقيقتها مادة حيوية ، ونستطيع أن نذكر عشرات من المكونات البسيطة من بين المواد الاساسية التى يتكون منها الجسم البشرى مثل : الاوكسجين ، الكربون ، الهيدرجين ، الآزوت ، الكالسيوم ، البوتاسيوم ، الفوسفور ، الصوديوم ، الكبريت ، الكلور .. وهذه العناصر تمثل ٩٩٫٩٨٪ تقريبا من وزن الانسان ويبقى بعد ذلك ٠٫٠٢٪ وهى تمثل بعض المواد الأخرى التى تتواجد بكميات ضئيلة .

ويأتى على رأس قائمة هذه العناصر : الحديد ، الزنك ، المنجنيز ، النحاس ، النيكل ، الماغنسيوم .. وهذه المكونات ضرورية للجسم .

ومن المؤكد أن المواد الضرورية للحياة ليست جميعها معروفة ، كما انه فى حالات كثيرة فإن مفعولها غير محدد . والفيتامينات من بين هذه المواد الضرورية وان كانت ليست عنصرا مثل الحديد أو النحاس ، بل هى مواد مركبة . وتتواجد الفيتامينات فى كل الكائنات الحية ، باستثناء



كثرة المواد الدهنية والبيض واللحوم ربما تكون السبب القوى وراء تصلب شرايين القلب

الانسان فانه على عكس الحيوان غير قادر على تركيبها من موادها الاولية . وعدم مقدرته هذه تتواجد ايضا بالنسبة لمواد اساسية اخرى ، لذلك يجب عليه ان يتناولها فى طعامه ؛ مثال ذلك الاحماض الأمنية الاساسية . فالبروتينات مركبة فى الواقع من ٢٤ حمضا أمينيا من بينها ٩ أحماض لايستطيع الجسم البشرى تركيبها بالرغم من اهميتها ، كما توجد ايضا احماض دهنية ضرورية منها ما يسمى فيتامين ف .

ان مفعول هذه ، المواد الضرورية ، التى يعد الفيتامين واحدا منها مازال غير معروف على وجه الدقة . وان كان من المعلوم ان العديد من الأنزيمات المتحفزة للتفاعلات العضوية تكون غير فعالة فى غياب المواد الضرورية .. لذا فإن المحرك العضوى لايعمل اذا لم تصل اليه المواد الغذائية ، المولدة للطاقة ، كالسكريات والدهون والبروتينات ، وأيضا الفيتامينات والمواد الضرورية الاخرى التى يزودنا بها الغذاء ، كاللبن والفاكهة واللحم والخبز .. الخ ، وكذلك بكتيريا الامعاء ؛ تلك الميكروبات المفيدة التى تترك لنا الفائض من الفيتامينات .

ومن المعلومات الطريفة ان كل من يدخن علبة سجائر فى اليوم تنخفض نسبة الفيتامينات فى دمه ٣٠٪ كما أن انخفاض معدل الفيتامينات فى الجسم يرتبط ارتباطاً وثيقا بنسبة الكحول الذى يتناولها الفرد .

وطبيعى فإنه من الضرورى أن يعرف كل شخص مقدار الفيتامينات التى يجب ان يحتوى عليها طعامه ، والكمية التى يفقدها الطعام بسبب طريقة الطهو أو الحفظ .. ولاشك انه يمكن احيانا تناول الفيتامينات بجرعات مكثفة فى حالات خاصة وتحت رعاية طبية كاملة .

قد يكون من الاجدر والأحرى فى مثل هذه الحالات توجيه الاعلام عن ذلك للاطباء انفسهم اكثر من عامة الشعب ، لأن العامة يحبذون كل جديد تأتى به المدنية والتقدم .. فهل ياترى سنتمكن من التقدم بشعبنا العربى دون التعرض لهذه العيوب؟ اننا نأمل فى ذلك !

نبيل سليم على



اعترافات امرأة نصف عاقلة

بقلم: ســـــــارة

فجأة قررت أن أموت ..

هكذا .. بعد أن ضاقت بي الحياة .. وضقت بها.

قررت أن أموت ..

فجأة ــ كلمة غير أمينة ــ الواقع أن القرار لم يكن فجأة .. كل شيء في حياتي كان يتم بعد دراسة عميقة .. ولكن حتى هذه اللحظة .. لم أقرر كيف يجب أن أموت.

فكرت طويلا وأنا أتسكع في الشوارع .. ما أقصر الطرق المؤدية للموت .. جففتني حرارة الشمس .. عدوت إلى أقرب مقهى .. وارتشفت مشروباً مثلجاً لأمنع تفكيري من الجفاف .. فأنا نفسياً أتعرض للعطب بسرعة من رشح الشمس .. ورشح الأجساد .. و .. الذباب .. آه .. نعم الذباب والناس أيضاً!

فكرت طويلا وأنا أشعل سيجارتي «الكليوباترا» وهي أرخص أنواع السجائر ــ كما أعلم ــ وأرجو أن لا يتبادر إلى أذهانكم أنني على وشك الافلاس .. إطلاقا .. ولكنها حالة ذهنية أو نفسية ــ لا أدري أيهما التعبير الأصح ــ تعتريني فجأة وأرغب في أن أشارك المفلسين إحساسهم.

فكرت طويلا .. وطويلا .. وأنا أستلم من البائعة الثوب الجديد الذي اشتريته .. كان ثوباً مشرقاً بألوان قوس قزح .. تماماً مثلما طلب مني .. ألوان ترقص مرحاً .. لماذا اشتريته لا أدري .. ولكني حتماً لن ألبسه فأنا قررت أن أموت كما تعلمون .. وحتى لو لم أقرر فأنا لن ألبس ما يحب .. لاعتقادي أن هذا الانسان ــ دون خلق الله جميعاً ــ يكاد ينجح في احتوائي .. وأنا أرفض كل صور الاحتواء.

فكرت طويلا ..

ما أقصر الطرق المؤدية .. لا يهم أن يكون الألم فيه مكثفاً .. ولكن الأهم أن يكون ألماً خاطفاً كالبرق .. إنني حتماً لا أرغب في تعذيب نفسي .. ولكني حتماً أيضاً اود أن أموت .. هذا القرار لم يعد قابلا للنقاش .. فقراراتي دائماً حاسمة.

«قرأت مرة تعبيراً لكاتب أدهشني في وصف الانسان الحاكم إذ شبهه بأنه كان حاسماً كالسيف، ولا أدري لماذا لم يقل بأنه كان حاسماً كالقنبلة النووية مثلا!» ..

قررت في مدينتي الصغيرة أن أحصل على الشهادة الثانوية وحصلت عليها رغم كل الاعتراضات.

و .. رفضت الرجل الذي اختاره جدي زوجاً لي .. وكان لي ما أردت .. وقررت أن أسافر إلى «برايتون» لإكمال دراستي .. سافرت .. و .. الشهقات المكتومة ولعنات العجائز وأحلام الصبايا المجهضة تطاردني.

و .. قررت أن أمارس بعض نزواتي الصغيرة في لبس «الجينز» و«التي شيرت» والغناء الأوبرالي .. و .. فعلت.

و .. قررت أن أكون فدائية تتصدر أخبارها صفحات الدنيا .. فحزمت أمتعتي ورحلت .. وكان أكبر إنتصاراتي كسر ساقي بعد أيام من وصولي على سفوح جنوب لبنان .. وعدت إلى «برايتون» والغناء الأوبرالي.

وصممت على الزواج ممن أحب وتزوجت.

و .. أصررت على الانفصال ممن تزوجت وانفصلت.

وسكنني هاجس الكتابة فحزمت أقلامي وأوراقي وسافرت الى مسلمي الهند والفلبين و .. وكتبت.

و .. فجأة ــ وهذا تعبير دقيق ــ مات كل تشوقي للحياة .. وسكنت كل انتفاضاتي .. وشغلتني هذه القضية طويلا .. بل أرقتني ــ إذا أردتم أن أحسن التعبير ــ وأخيراً توصلت إلى قرار حاسم ــ كعادتي طبعاً ــ فأنا شخصياً أرفض وأحتقر الحياة الساكنة .. وبما أن كل تشوقي للحياة قد مات ــ ولا أدري السبب ــ فالأكرم لي إذن سكون الموت لا الحياة.

وبعد تسكع طويل في الشوارع المتربة وفي



«إنني لا أرغب في تعذيب نفسي .. ولكنني حتما أود أن أموت .. هذا القرار لم يَعُدْ قابلاً للنقاش .. فقراراتي دائماً حاسمة!»

ردهات الفنادق ذات الخمسة أو السبعة نجوم .. لا أدرى .. كما أننى أيضاً لا أدرى لماذا لم تكن أقماراً!! و.. بعد إحراق مئات من المدعوة «كليوباترا» ولا أدرى أيضاً لماذا لم يدعوها توت عنخ آمون أو امنحتب .. لاشك أنه تحيز غير متحضر ومقصود لصالح الرجل .. ولابد أن الذى اختار هذا الإسم قد قرن خطورة السجائر بخطورة المرأة فى اعتقاده المتخلف .. ولم أجد له عذراً فى قواعد التذكير والتأنيث عند الخليل بن أحمد الفراهيدى .. و.. دهشت لعقلى كيف لم يلتفت لهذا الموضوع من قبل .. وهدأت من خاطرى .. واقنعت نفسي أن الوقت قد فات للتفكير فى مثل هذه الأمور .. وأن أمامى قضية عامة ومحددة يجب الفصل فيها.

و..

لو سألتمونى كيف قررت الموت فى حادث عربة لقلت لكم إنه الالهام .. و.. هذه هى الكلمة الوحيدة التى لم أعتقد بها طوال حياتى .. بل اننى كنت أغرق فى الضحك عندما أسمع الشعراء يتحدثون عن لحظات الالهام هذه . و.. ها قد جاء دورى لتصبح هذه الكلمة اليقين الوحيد والأخير فى حياتى!

و.. بدأت فى «مسح»، المنطقة التى قررت أن أموت فيها .. وبعد أسبوع كامل من الدراسات الميدانية قررت أن أموت على طريق «الكورنيش» وخططت أن أجتاز النور الأحمر فى اللحظة التى ينهمر فيها سيل العربات القادمة من الكوبرى الممتد يميناً من الضفة الأخرى.

و..

فى لحظة كنت قد اندفعت بالعربة .. و.. كنت قد استدرت ــ تقريباً ــ بنصف جسدى تجاه العربات المندفعة نحوى .. لا .. بل أعتقد أننى استدرت برأسى فقط .. لا أدرى أظننى ألقيت نظرة فقط .. كان أقربهم إلى عربة نقل متوسطة .. واثقة أنا من ذلك .. كان وجه السائق شاحباً!! يالى من كاذبة!!

وما أدرانى أنا ان كان شاحباً أو نضراً .. الحقيقة المذهلة هى أن إحساسى بالخوف أو الألم قد انتزع منى نهائياً قبل وقوع الحادث المفجع بثوان أو بدقائق .. من يدرى!

و.. استيقظت!!

تصوروا .. بعد كل خططي المحكمة والمدروسة استيقظت لأجد نفسى فى المستشفى .. وبدأت أتحسس جسدى .. ولقد أفزعنى خاطر واحد فقط للوهلة الأولى .. وهو أن تكون الإصابة فى الرأس وبالتالى يكون شعرى الجميل قد طار .. لم أتصور أبداً أن أعيش بدون شعرى الجميل .. ولو سألتمونى ما يعنى لك شعرك .. لقلت لكم أنه يساوينى تماماً!

الحمد الله!!

مازال شعرى فى مكانه جميلا وطويلا ورائعاً .. بل اننى تصورت فى تلك اللحظة من فرط سعادتى أن «حليمو» العزيز قد غنى أغنيته الخالدة «الشعر الحرير على الخدود يهفهف ويرجع يطير» من أجلى أنا وحدى.

المهم ..

كانت الاصابات كما قال الطبيب جروحا قطعية فى الساقين وكدمات فى أنحاء متفرقة .. تصوروا .. كدمات .. وجروح قطعية!!

المهم ..

بقى أن أقول لكم أننى قررت فى هذه اللحظة الحاسمة أن ألبس الثوب الجديد ــ عندما تتحسن صحتى طبعاً ــ ذا الألوان الراقصة مرحاً وأذهب إلى ذلك الانسان الذى أعتقد أنه دون خلق الله جميعاً قادر على احتوائي.



الفنـــان عبد الســـلام الشـــريف

رائـــد فنـــون الصحافـــة والكـــتب في الوطـــن العـــربي

رجل يهرب من الأضواء وهو صانع الشهرة للكثيرين من الفنانين و الصحفيين و الكتاب

بعد جهود طويلة ورائدة قام عبد السلام الشريف ، ٧٤ سنة ، بتدريس مادة الاخراج الصحفي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة . كما يعمل مستشارا لمؤسسات النشر والاعلان الكبرى في السعودية

بقلم: صبحي الشـــاروني

من وحي التقاليد الشعبية : هدية « الصباحية »

- ولد في مدينة تعشق الفل والزعتر وتزرعهما فوق النوافذ !
- قام بتصميم الأوراق النقدية وطوابع البريد والخرائط الحربية .
- كان للشريف دور أساسي رائد في إخراج معظم الصحف العربية المعروفة .
- أول محاولة واسعة لاخضاع الاعلانات وأغلفة الكتب للمقاييس الفنية الرفيعة .

كانت الكتب العربية فى مطلع القرن العشرين يطبع على غلافها عنوان الكتاب واسم المؤلف بحروف المطبعة الكبيرة دون أى زخارف أو رسوم أو ألوان . ولا تتضمن الصفحات سوى النص بغير تصاوير أو حليات . وكان حال المجلات والصحف مماثلا لحال الكتاب . حتى استطاع الفنان «الشريف» أن يحقق الدفعة الأولى فى التطوير ، ويعلم الكثيرين لعدة أجيال . ويعمل الآن تلاميذه من الأجيال التى تعلمت على يديه فى مهنة الاخراج الفنى للكتب والمجلات والصحف فى جميع انحاء العالم العربى .

والفنان الذى يتخصص فى فنون الصحافة والكتاب عليه أن يكون وثيق الصلة بمختلف الثقافات . وأن يكون ذواقاً للفنون الأخرى كالأدب والموسيقى والمسرح . وعلى درايه بمختلف العلوم . لأن تصميم كتاب يختص بالقصة يختلف عن تصميم كتاب فى علوم الفيزياء أوآخر عن الأزياء وهكذا .. هذا الفنان لابد أن تكون معلوماته موسوعية ولديه ادراك دقيق لطبيعة كل نوع من هذه المعارف . مع التعرف على إمكانات الطباعة المتاحة أمامه .. لقد كانت إمكانات الطباعة محدودة فى الثلاثينات والأربعينات ولم يكن هناك أى مفهوم للاخراج الفنى للكتاب قبل عبد السلام الشريف ، فهو الذى نبه الى ضرورة التعرف على ايقاع الصور والرسوم والفراغات فى صفحات الكتاب أو المجلة أو الجريدة لتتناسب كل هذه المواد وايقاع الكلمات المطبوعة ، مع تجنب الملل والتكرار سواء فى الأحجام أو والألوان أو تشابه الرسوم وتكويناتها ، وهذا المنطق يشبه الى حد بعيد منطق تتابع اللقطات السينمائية فى الأفلام من الناحية الشكلية . كما انه يشبه أيضاً التنويع فى الايقاعات الموسيقية داخل العمل الموسيقى .

كما نبه الأذهان لأول مرة الى ضرورة وجود تلاؤم وانسجام بين المادة المكتوبة أو الموضوع من جانب ، وطريقة كتابة العنوان وأسلوب الرسم المصاحب له من جانب آخر . فلا ينشر موضوع طريف ـ مثلا ـ ويكتب عنوانه بالخط الثلث الوقور .. اننا نحس فى مثل هذه الحالة بالخلل فى الرؤية الجمالية والتنافر بين الشكل والموضوع .

لقد استطاع عبد السلام الشريف وتلاميذه ان

«ياراييحين الغورية» .. لوحة خاماتها قصاصات قماش (خيامية)

يحدثوا انقلاباً في عالم الاخراج الفني للمطبوعات العربية حتى ارتقوا بها الى حالها الآن .

لكن هذا الفنان الرائد لم يقتصر نشاطه على هذا الفن وحده .. فقد كانت حياته سلسلة متصلة من المعارك من أجل الارتقاء بجميع فروع الفنون الزخرفية ، فضلا عن اهتمامه بالفنون الشعبية ، وعمله الدائب من أجل المحافظة عليها والارتقاء بها .. وقد أنتج لوحاته بخامات البيئة المحلية وبنفس أسلوب الفنانين الشعبيين في صناعة « الخيام » ، أى استخدام الأقمشة الملونة المضافة بعضها الى بعض لتحقيق لوحاته المرسومة ، بدلا من استخدام الألوان الزيتية وما شابهها .. وقد شارك بهذه اللوحات لسنوات طويلة في معارض الفنون الجميلة بمصر وخارجها .

هوايات الطفولة

ولد الفنان عبد السلام الشريف (عبد السلام أحمد محمد صالح) في حي « الصليبة » بمدينة المنيا التى تتوسط صعيد مصر ، وكان مولده يوم ٢ مايو عام ١٩١٠ .. والفنان يعتقد ان هذا الحي كان من الأحياء القليلة التى احتفظت بالأشكال والتقاليد المتوارثة عن الأحياء الشعبية المصرية القديمة ، في شكل عمارتها ودروبها ، مع تقاليد زراعة الفل والزعتر في نوافذها ، ثم تكاتف أهل الحي وتعاونهم وكأنهم أسرة واحدة .

كان أحد جيرانه « عريف » ضرير له صوت قوي ، وكانت نافذة حجرة « الشريف » تطل على نافذة في بيت هذا الجار ، وكثيراً ما كان يستيقظ عند الفجر فيصله صوت عزفه على الكمان أو العود وهو يردد نغمات الأغاني القديمة أو الألحان التى تنحدر من أصول فرعونية عتيقة .

وهكذا امتزجت في وجدانه .. واختزنت في أعماقه منذ الطفولة ، ابتهالات مؤذن الفجر وقراءة القرآن من المسجد القريب ..

كما أن جاره « عزيز » الذى يكبر عبد السلام الشريف ببضعة أعوام كان رساماً ، وكان الطابق الأرضى في منزله يشبه الأقبية ، ويستخدمه كمرسم يتجمع حوله أطفال الحي يتفرجون ويندهشون .

عندما خرج الصغير من الحي اكتشف منزل « عم أسعد » الصائغ وابنه نجيب الطالب في مدرسة المعلمين العليا (الفنان المعروف نجيب اسعد) وكان اذا أراد أن يطل عليه ليشاهده وهو يرسم جعل أحد الصغار يحنى ظهره ليقف فوقه مطلا على طالب مدرسة المعلمين العليا وهو يرسم صوراً لوجه أبيه وللشخصيات المعروفة في ذلك الوقت .

وتفتحت كل الهوايات الفنية في أشكال ألعاب الأطفال ، فكان « عبد السلام » يصنع خوذات من الورق وسيوفاً من الصفيح للمبارزة ، ومن أوراق الكراسات دمى ومراكب .. ثم التمثيل وعمل الماكياج باستخدام أبسط الخامات كالدقيق والفحم . ثم كتابة الاعلانات عن تمثيليات الأطفال المرتجلة على جدران منازل الحي .

ثم ظهرت موضة تطريز ملابس السيدات ، فكان الشريف يرقب الطرز وهو يزخرف الملابس بدون رسوم مسبقة أو أمشق ، وحاول تقليده بعمل رسوم مشابهة على ملابس الدمى الخاصة بالبنات الصغار اللاتى يشاركنهم اللعب في الحي العريق ..

كانت هذه هى ألعاب الطفولة .. وعندما بلغ التاسعة قامت ثورة ١٩١٩ فكان يخرج في مظاهرات الأطفال تشبهاً بالكبار ويعود الى المنزل مبحوح الصوت ، في هذه الفترة كانت المدرسة توزع على التلاميذ صوراً لمحمد فريد وبعض الرياضيين والكتاب ، فكان الشريف يرسم منها نسخاً ويوزعها على زملائه في الحي .

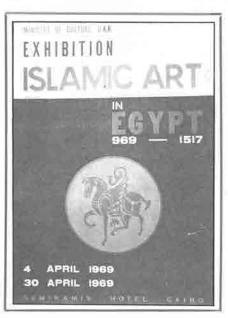
في عام ١٩٢٤ أفرجت حكومة سعد زغلول عن المعتقلين السياسيين في ثورة ١٩١٩ الوطنية ، وكان ناظر المدرسة أحد المعتقلين المفرج عنهم .. كما أن الشيخ « أحمد حتاته » الذى تزعم ثوار « المنيا » كان أعرج يقود المظاهرات راكباً حماراً .. وقد أثار الاحساس بالنصر جواً حماسياً عاماً وكان عبد السلام الشريف متفوقاً في المطالعة والانشاء ، لهذا أختاره ناظر المدرسة ليكون خطيب حفل التهنئة بخروج الزعماء من السجن وقد أقيم الحفل على مسرح أعد في فناء المدرسة خصيصاً لهذا الغرض ، وفي نهاية الحفل هنأه الشيخ « أحمد حتاته » على خطبته وشكره .

أما جانب الابداع والبحث فكان يتجلى في محاولات الشريف لعمل كل ما يتمناه بيديه ، فشرع في صناعة دراجة .. وعندما انتقل الى المدرسة الثانوية قام بعمل آلة تصوير عام ١٩٢٧ بمجموعة من العدسات المتفرقة .. ونجح في التقاط بعض الصور الفوتوغرافية بها .. كل هذا كان يتم الى جانب النشاط الأساسي وهو الرسم .

كانت أسرة عبد السلام الشريف تريد أن يلتحق ابنها بالأزهر فهو ينحدر من سلالة « السيد البدوى » لكن الفتى كان يرغب في الالتحاق بالدراسة الثانوية ، وتعللت الأسرة أنها لا تستطيع تحمل نفقات الدراسة الثانوية .. فذهب الفتى الى ناظر المدرسة يطلب قبوله مع اعفائه من المصروفات .. وقد تحقق له ما طلبه لأنه تحدث بثقة وحماس في مجلس جمع ابن شيخ الجامع الأزهر وآخرين وعرفوا حبه للرسم وتفوقه في اللغة العربية .. وما ان قيل حتى أخرج مجلة مدرسية مطبوعة كان هو البطل الأول في تحريرها واخراجها وكانت تلك هى أول مجلة مدرسية في مدينة المنيا .

امتحان في الرسم

أقيمت في تلك الفترة مبان جديدة للمدرسة على شاطىء النيل كلف « الشريف » برسم صور شخصية للزعماء لتزيين الممرات بها بين الفصول ، وتقرر ان يفتتح المدرسة الملك فؤاد ، فاختير عبد السلام الشريف ليقف أمام الملك ويرسم في دقائق صورة للأمير فاروق ... وقد حضر وزير المعارف « علي الشمسي » الى المدرسة قبل الموعد المحدد للافتتاح ليتأكد من سلامة البرنامج ، ووافق على قيام عبد السلام الشريف برسم الأمير فاروق من ذاكرته أمام الملك .. ومن هذا الحدث تأكد الفنان الصغير من كفاءته وبدأ يتطلع الى آفاق أخرى .



تصميم لاعلان عن العرض الفني الاسلامي الذى أقيم بمناسبة مرور الف عام على القاهرة

كان أبرز عضو فى جمعية الرسم ، وعضواً فى الجمعية الموسيقية حيث تعلم العزف على العود والكمان .. كما كان عضواً فى الجمعية الأدبية .. وكان زملاؤه محمد صبيح الكاتب المعروف مؤسس دار التعاون فيما بعد وأحمد الأحمداوى وعبد العظيم عبد الحق وغيرهم ، وقد تعاونوا فى العمل بالصحف المحلية التى كانت متعددة فى ذلك الوقت ، أما اشهرها فكانت جريدة الإنذار لصاحبها الاستاذ « صادق سلامة » .

بعد أن اتم الشريف دراسته الثانوية عمل هو ومحمد صبيح فى بلدة المنيا حيث تولى الشريف وظيفة أمين متحف الآثار الذى كان مقاماً فى أحد القصور المطلة على النيل .. فى هذه الوظيفة تدرب الفنان على فحص الآثار القديمة والتعرف على قيمتها فى وقت كانت زيارة الآثار وقفاً على النساء العواقر اللائى يخطون فوقها طلباً للحمل والانجاب طبقاً للخرافات الشعبية التى كانت شائعة فى ذلك الوقت .

ويقول الفنان أنه عمل على تغيير هذه المفاهيم ، فوجه دعوات أسبوعية لمدارس المدينة كى يزور تلاميذها هذا المتحف ويتعرفوا على قيمة مابه من آثار من الناحيتين التاريخية والفنية .. وعندما زاره فى المنيا مدير دار الآثار بالقاهرة وتعرف على نشاطه دعاه الى زيارة متحف القاهرة لاختيار مجموعة من النماذج الجصية لعرضها فى متحف المنيا كى يستكمل الزائر الصورة التاريخية والفنية للآثار القديمة ..

وكان يدير « المتحف اليونانى الرومانى » بالاسكندرية أثرى أجنبى قام هو الآخر بزيارة متحف المنيا وأعجبه تمثال سيدة من المرمر استخرج من حفائر منطقة « البهنسا » ويرجع تاريخه الى فترة الحكم الرومانى لمصر .. انه يشبه تمثال فينوس الشهير الى حد كبير .. هذا الأثرى الأجنبى طلب نقل التمثال الى متحف الاسكندرية ، لكن « الشريف » عارض هذا الطلب ومنع نقل التمثال من المنيا .. ولم تنقل هذه التحفة الأثرية الى الاسكندرية الا بعد أن ترك الشريف هذا الموقع .

الهجرة الى القاهرة

كان محمد صبيح وعبد السلام الشريف يلتقيان بعد أوقات العمل ، وفى احدى الجلسات قررا استكمال دراستهما العليا بالقاهرة ، واختمرت لدى عبد السلام الشريف فكرة الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة دون علم اسرته . أما محمد صبيح فقد اتجه الى كلية الآداب ، فسافرا الى القاهرة .

كانت المدرسة قد انتقلت من مقرها الأول بدرب الجماميز الى مكانها الثانى بشارع خلاط بشبرا وأصبح اسمها « المدرسة العليا للفنون الجميلة » . وكان المتقدمون ١٧٠ شخصاً نجح منهم ١٥ ، وكان الشريف هو الوحيد الذى التحق بقسم الزخرفه عام ١٩٣٠ ، بينما لم يلتحق أحد



وجه الفنان عبد القادر رزق

بهذا القسم فى العامين السابقين ، فكان ينضم الى طلاب قسم العمارة فى كل المواد فاعدا مادة التخصص .

كان عليه ان يعول نفسه بعد ان استقال من وظيفته بالمنيا فعمل مدرساً للرسم باحدى المدارس الخاصة ، واتصل بحسنى الخطاط (والد سعاد حسنى ونجاة الصغيرة) الذى كان له مرسم بشارع الأزهر مملوء بالتروس الحديدية والصواميل واجزاء الماكينات .. وفى نهاية المحل مكتب يجلس عليه أعظم خطاطى عصره .. لكنه لم يقبل أن يعمل عنده عبد السلام الشريف .. فاتجه الى رسم الاعلانات الكبيرة التى تلصق على واجهات دور السينما ..

كانت الدعوة الى الاستقلال الاقتصادى منتشرة فى الثلاثينات وكانت أول شركة مصرية للإعلانات هى « شركة لوتس » ، وكان من مؤسسيها الفنان عماد حمدى وشقيقه ، وكانا مقربين لطلعت حرب مؤسس بنك مصر وشركاته .. فى تلك الفترة أسس عبد السلام الشريف ثانى شركة مصرية للاعلانات تحت أسم « شركة مصر للاعلان » وبدأ ارتباطه بحزب « مصر الفتاة » هو ومحمد صبيح .. وكان مقر الحزب هو نفس مقر شركة مصر للاعلان وبالطبع ساهم بالناحية الفنية فى صحافة الحزب .

كان الشريف هو أول من نادى بدخول الفتاة المصرية مجال تعلم الفنون وقد نشر سلسلة مقالات عام ١٩٣٠ فى مجلة كوكب الشرق يطالب فيها بفتح باب تعليم الفنون للبنات .. ولكن هذه الدعوة لم تتحقق الا فى عهد ولاية الدكتور طه حسين على وزارة المعارف العمومية عندما كان الفنان الرائد يوسف كامل عميداً لكلية الفنون الجميلة عام ١٩٥٠ .

وخلال الإجازة الصيفية كان يعود الى مدينته « المنيا » حيث بدأ ينظم المعارض ويلقى المحاضرات بمقر جمعية الشبان المسلمين عن الفنون الجميلة .

وفى عام ١٩٣٣ وهو لا يزال طالباً بالفنون الجميلة ، شارك فى تصميم مجلة الشبيبة واخراجها ، وكان يصدرها وحيد شوقى .

وفى المعرض الثالث للفنون الجميلة الذى اقامه الفنان فى شهر سبتمبر عام ١٩٣٣ بمقر جمعية الشبان المسلمين بالمنيا كان عبد السلام الشريف سكرتير لجنة المعرض وكان فى نفس الوقت مدير شركة مصر للاعلان . وقد شارك فى هذا المعرض الفنانون نجيب اسعد وانطون سليم مظهر .. وكان العرض يضم الرسم من الطبيعة والكاريكاتير والنحت والعمارة والزخرفة ثم النقل والتكبير والأشغال اليدوية وأشغال الابرة والرسم على الجلد وتفريغ النحاس والنقش على الفخار والرسم على القماش .

وهذا هو أول نشاط فى مصر لاقامة المعارض الفنية خارج العاصمة ، وهى تعتبر حركة رائدة فى هذا المجال .

وفى العام التالى ١٩٣٤ أقيم المعرض الرابع للفنون التطبيقية من المعرض الأول للتصوير الشمسى . وكان من بين لجنة التحكيم فى المعرض الأستاذ صلاح طاهر المدرس بالمدرسة الابتدائية والأستاذ حسين بدوى بمدرسة الصنائع بالمنيا بالاضافة الى الأستاذ عبد السلام الشريف .

وقد شارك فى هذا المعرض المثال عبد القادر رزق ونجيب أسعد وحسين بيكار وصلاح طاهر وحسنى البنانى وعبد السلام الشريف وأبو صالح أحمد الألفى بالفنون الجميلة العليا ــ وحسين بدوى .

وفى عام ١٩٣٤ عمل الشريف فى جريدة الاهرام حيث أسس لها مع رشاد منسى قسماً للاعلانات بعد أن كانت شركات الاعلان هى التى تصمم ما ينشر بالجريدة من اعلانات .. كان مرتبهما معاً الشريف ورشاد منسى خمسة جنيهات شهرية .

ورغم انشغال الشريف فى هذه الأعمال الخارجية الا أنه فى عام ١٩٣٥ أتم دراسته بتفوق بمدرسة الفنون الجميلة ، وحصل على الشهادة الاهلية لتعليم الفنون وهى شهادة تربوية تتيح له العمل مدرساً للرسم فى التعليم العام .. وعين فى مدرسة العطارين الثانوية بالاسكندرية بينما كان الفنان صلاح طاهر مدرساً بنفس المدينة فى مدرسة العباسية الثانوية ، لكنه لم يستمر سوى عام دراسى واحد لانشغاله بأعماله السينمائية بالقاهرة فاستقال ، وانتقل الى القاهرة حيث شارك فى عمل الرسوم والتنظيمات الخاصة باقامة متحف التعليم وكان مقره مكان نقابة المعلمين الحالى بالجزيرة .

خلال حقبة الثلاثينات كان محمد صبيح له اهتمامات مشابهة لكن فى الكتابة والتأليف . وأهم مشروعاته كانت اصدار كتاب شهرى لكاتب واحد هو محمد صبيح تحت اسم « كتاب الشهر » .. وتولى الشريف تصميم أغلفة هذه الكتب الشهرية التى بلغ عددها عشرين كتاباً ، أما الجديد فى هذه الأغلفة فهو انها كانت تتضمن رسوماً لأول مرة الى

الداخلية لمجلة « اللطائف المصورة » مع اسكندر مكاريوس ، وكانت تلك هى بداية تطويع الخط العربى ليتلاءم مع الموضوعات الصحفية والدراسات التى تنشر فى المجلات المصورة .. ثم قام بهذه المهمة فى « مجلة العروبة » .

أما مجلة « نداء الحرية » التى كان يصدرها محمد صبيح ، فقد قدم فيها أول محاولة لرسم الشخصيات العامة رسماً كاريكاتورياً على الغلاف .. وقد أصبح هذا الأسلوب علماً على مجلات صدرت بعدها ، أبرزها هى مجلة « روز اليوسف » .

لكن رغم هذا بهرته السينما وكاد يهاجر من مصر بسببها .

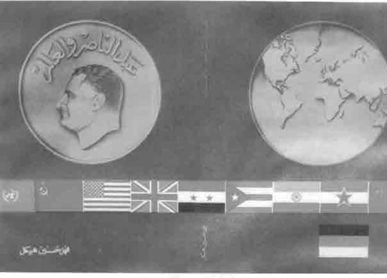
تجربته فى السينما

راودته فكرة الهجرة الى « هوليود » مدينة السينما فى أمريكا .. وعرض الفكرة على محرر صفحة « السينما والمسرح والفنون » ليساعده فى هذا المشروع .. لكن المحرر الفنى اتجه به وجهة أخرى اذ صحبه ليتعرف على الفنانة « أمينه محمد » التى كانت مهتمة بالانتاج السينمائى .. كان ذلك عام ١٩٣٥ ، وكان رأس مالها ١٧ جنيها فقط .

هذه المغامرة المجنونة جعلت اسم عبد السلام الشريف مشهوراً على المستوى الشعبى ، فكان العاملون بالميدان السينمائى يحضرون لمشاهدة هذه المغامرة ومنهم « صلاح أبو سيف » و « كمال سليم » أما الممثل الأول امام « أمينة محمد » فكان « محسن سرحان » .. لكن المصور « دافيد كورونيل » الذى شارك فى المغامرة بالافلام الخام والتصوير اعترض على « محسن سرحان » فقام الوجه الجديد « حسين صدقى » بدوره ، وتولى عبد السلام الشريف عمل الديكور والماكياج بينما قامت أمينة محمد بالاخراج والتمثيل ، وكان أجر حسين صدقى خمسة جنيهات فى هذا الفيلم .. أما عبد السلام الشريف فقد مثل فى هذا الفيلم البطولة الثانية ، كما وضع تصميمات المقدمة .. وابتدع فيها لأول مرة الحركة ، وكانت فى ذلك الوقت تعتبر عملا جديداً شاذاً ، لكن المصور الفرنسى « سامى بريل » ــ مصور استديو مصر الذى نفذ تصوير المقدمة ــ تحمس لها .. المهم أن الفيلم كان اسمه « تيتا وونج » يمثل قفزة جديدة فى جوانبه التشكيلية وهى الاعلانات والديكورات والمقدمة .. صحيح ان الفيلم فشل تجارياً لكن الوسط السينمائى بدأ يتهافت على عبد السلام الشريف ليعمل الديكور فى عدة أفلام ويقوم بتصميم العديد من اعلانات الحائط والملصقات .

ويقول الفنان إن الفيلم كان سبباً فى تعرفه على زكى طليمات ويوسف وهبى وحسين سعيد مدير استديو مصر فى ذلك الوقت الذى طلب منه ان يعمل معهم .

واشترك فى عام ١٩٣٨ مع مجموعة من الفنانين من بينهم رشاد منسى وأحمد عبد الفتاح



غلاف كتاب عبد الناصر



غلاف مجلة الفنون الشعبية

باصدار مجلة « الرسالة » رشح الفنان الرائد « يوسف كامل » الفنان عبد السلام الشريف لتصميم غلافها ، وكانت تطبع فى مطبعة الرغائب بشارع محمد على ، وهناك تعرف على أحمد حسن الزيات والدكتور طه حسين .

لقد كان عمله فى جريدة الاهرام خلال دراسته بمدرسة الفنون الجميلة العليا سبباً فى التفاته الى الأعمال الطباعية .. فوضع تصميمات العناوين جانب العنوان واسم المؤلف ، لكن الشريف لم يوقعها فوصفت بانها أشبه بالفنون الشعبية المجهولة المصدر .

وتعرف الفنان على الكاتب « أحمد الصاوى محمد » الذى اصدر « مجلتى » فقام الشريف بعمل قفزة جديدة فى تطوير صحافة المجلة الأدبية وكانت الجوانب الفنية واضحة فى هذه المجلة .

وعندما قام الأستاذ « أحمد حسن الزيات »

وانطون سليم فى محاولة انتاج أفلام الرسوم المتحركة ، واستمرت التجربة لمدة عام كامل ولم يواصل العمل فى هذا المجال سوى انطون سليم الذى نجح فى عمل بعض الأفلام التى تحض على اتباع الارشادات الصحية والأخلاق الحميدة .. ثم هاجر الى الولايات المتحدة وانقطعت أخباره ..

كما عمل فى اخراج الأفلام التسجيلية من خلال الشركة التى كونها « مصرف وصبيح » وقد اخرج « الشريف » فيلماً تسجيلياً عن الأقصر ..

وكان عبد السلام الشريف أول من يلتحق بمدرسة الفنون الجميلة من أبناء الصعيد ، وكان أول خريجى هذه المدرسة الذى يعمل فى ميدان الديكور والاعلان السينمائى ، كما كان أول فنان يعمل فى الصحف والمجلات مخرجاً ومصمماً للاعلانات التى تنشر بها .

لكن الفنان قطع علاقته بالسينما عام ١٩٣٩ مع قيام الحرب العالمية الثانية ولم يعد اليها سوى مرة واحدة عام ١٩٤٢ عندما قام بعمل مناظر وديكورات فيلم « بحبح فى بغداد » .

ركز الفنان جهوده فى تطوير الشكل الصحفى عندما أدخل أسلوباً جديداً فى عناوين الأبواب الفنية الخاصة بالسينما والمسرح له شكل مبتكر يتناسب مع الموضاعات الفنية ، وهو مستمد من الخط التقليدى بعد تبسيطه تبسيطاً زخرفياً جعله مناسباً لقواعد التكوين الفنى ، فى وقت كان الخطاطون يرفضون أى تطوير أو تطويع للحروف لتناسب شكل الاعلان ومساحته .. هذا هو الذى جعله يمارس كتابة الخط كجزء أساسى من التصميم الفنى لمساحة الاعلانات أو عنوان المقال .. وقد جعل الفنان من هذه المسألة قضية فنية يدافع عنها بحرارة فى كل مكان .

وقد أقام الفنان سلسلة من المعارض الخاصة بالقاهرة فيما بين عامى ١٩٣٦ ، ١٩٤٢ .. عرض فيها لوحاته المرسومة بطريقة النسيج المضاف .. نلاحظ فيها اهتمام الفنان بخطوط الرسم لتعبر بغير تظليل أو تدرج لونى عن الاستدارة والعمق ، اما الألوان فطبيعة النسيج فرضت المساحات الصريحة والمحددة النهايات بشكل قاطع . وهذا الأسلوب فى الرسم مستمد من الفن الشعبى والفنون الاسلامية التى لم تهتم بالتظليل أو تحقيق الاحساس الخادع بالعمق أو الاستدارة .

النفى الى سوهاج

وفى عام ١٩٤٠ طلب للعمل رساماً فى مصلحة المساحة (بالقسم المخصوص) حيث تولى تصميم أوراق النقد (البنكنوت) وطوابع البريد . وكذلك وضع الخرائط الحربية للحلفاء وخرائط المعارك .. كان يرأس القسم رجل انجليزى بينما المدير المصرى كان الفنان يوسف همام .. واستمر فى هذا العمل عامين حتى اتهم فى قضية سياسية كانت مرتبطة بقضية « عزيز المصرى » ، وبعد التحقيق نقل الفنان الى سوهاج ورفضت استقالته لأسباب سياسية . وأثناء أبعاده فى سوهاج طلب مرتين لتصميم سندات القطن .. وفى كل مرة كان يلغى الطلب ، مرة فى وزارة « حسين سرى » والأخرى فى وزارة « مصطفى النحاس » .

« الشريف » استاذاً للزخرفة

عاد الى القاهرة عام ١٩٤٤ ففوجىء بعميد الكلية يرشحه للعمل استاذاً بقسم الفنون الزخرفية الذى تخرج فيه بناء على تزكية جماعة من مجلس الكلية نتيجة لما حققه من نشاط متنوع فى هذا التخصص ، ولتاريخه الفنى الحافل وليس بسبب حصوله على الدرجات النهائية عند التخرج .

كانت الدراسة فى قسم الفنون الزخرفية تقدم بشكل شامل لكل فروعها سواء المسطحة كما فى تصميم الاعلانات وورق الحائط والأقمشة والستائر وتنسيق الحدائق وتصميم البلاط .. الخ أو الفراغية كالديكور المسرحى والسينمائى والمنزلى وتصميم الأثاث وواجهات المحلات التجارية وغيرها ..



من وحى الريف

الفنان عبد السلام الشريف

رائد فنون الصحافة والكتب في الوطن العربي



غلاف مجلة نداء الحرية

اهتم الفنان بادخال الفنون المتصلة بالطباعة كتنسيق الجريدة والمجلة وتصميم الأغلفة والاعلانات كما نادى بالتوسع مع التخصص فى هذه الدراسة التى تتصل بالحياة العملية وبمعيشة الانسان اليومية أكثر من اتصال فروع الرسم والنحت والجرافيك بها.

وقدم بنفسه النموذج الايجابى للفنان المتفاعل مع المجتمع والمؤثر فيه .. فتوقف عن عمل اللوحات للمعارض، وانغمس فى الأعمال الفنية المتصلة بحياة الناس اليومية وخاصة الطباعة ..

فوضع تصميم الشكل الأساسى لصفحات جريدة «الأساس» عام ١٩٤٧، وكذلك «الجريدة المسائية» التى كان صاحبها «أحمد حمزة» الوزير الوفدى، وكان رئيس تحريرها «كامل الشناوى».

كما صمم وأخرج مجلة الشهر التى كان يرأس تحريرها «أحمد الصاوى محمد» وكانت تطبع طباعة فاخرة.

وفى عام ١٩٥٢ اشترك مع على أمين ومصطفى أمين فى وضع التصميم الأساسى لاخراج صفحات جريدة «الأخبار» اليومية.

وقد كلف من مكتب جمال عبد الناصر عام ١٩٥٣ للاشراف على اقامة الجناح المصرى فى المعرض السياحى الدولى الثالث بالقصر الكبير (جراند باليه) بباريس .. وقد حقق نجاحاً اعلامياً بعرض نسخة طبق الأصل من تمثال «نفرتيتى» الموجود فى المانيا، ونشرت الصحف ان رأس نفرتيتى فى باريس، مما حقق اقبالا جماهيرياً على الجناح المصرى، وفاز الشريف بجائزة عن تصميمه للجناح.

ثم عين عضواً بلجنة المهرجانات التى كان يرأسها وجيه أباظه .. وقد صمم أقواس النصر التى تعبر عن «الاصلاح الزراعى» فى أعياد الثورة، وكانت تمثل ساقية ضخمة متحركة ..

وفى عام ١٩٥٥ تم اختياره عضواً بلجنة الفنون التشكيلية ثم لجنة ثقافة الطفل فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب عند النشأة .. وظل فى عضوية المجلس حتى عام ١٩٧٠.

وقد واصل الفنان عمله فى الصحافة والمطبوعات والملصقات الحائطية الى جانب عمله استاذا بكلية الفنون الجميلة، حتى انتدب مديراً للانتاج الفنى بوزارة التربية والتعليم عام ١٩٥٦ .. فنظم المسابقات فى فنون الرسم والنحت والعمارة والفنون التطبيقية كان مجموع جوائزها فى آخر مسابقة أقيمت ١٩٥٧ أربعة آلاف جنيه مقدمة لاقرار جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية للفنون الجميلة التى تمنح سنوياً حتى الآن.

كما أقام أول معرض للحضارة المصرية فى مدينة بكين عاصمة الصين عام ١٩٥٦، وقد سافر لاقامة هذا المعرض مع المرحوم الفنان عزت مصطفى قبل ان يقع العدوان الثلاثى على مصر، وكان المعرض مظاهرة اعلامية وحضارية عن الوطن لم يسبق لها مثيل.

وفى عام ١٩٥٧ خلال عمله فى إدارة الانتاج الفنى قام باختيار وفد من الفنانين المصريين لزيارة بولندا حيث اقاموا معرضاً للفن المصرى المعاصر فى «وارسو» و«كاراكوف»..

وفى عام ١٩٥٨ قام بتصميم أجنحة وزارة «الزراعة والاصلاح الزراعى» و«التربية والتعليم» داخل القسم المصرى الكبير فى معرض بروكسل الدولى وكان التصميم الشامل للقسم من وضع الدكتور سيد كريم مع الفنان «فتحى محمود» .. ومعرض بروكسل الدولى يقام مرة كل عشرين سنة تحت شعار تقدم الحضارة فى العشرين عاما التالية .. كان السابق هو معرض باريس الدولى عام ١٩٣٧.

وقد وضع تصميمات الاخراج الفنى لمجلة اليونسكو ودوريات اليونسكو الست مع الأستاذ عبد المنعم الصاوى .. وكذلك مجلة المجلة مع الدكتور على الراعى والأستاذ يحيى حقى، ثم مجلة الفنون الشعبية مع الدكتور عبد الحميد يونس.

كانت ضمن اهتمامات الفنان الاعلانات الحائطية وملصقات الشوارع، وقد اعتبرها قضية ثقافية حضارية هامة، فهى تمثل الجانب الجماهيرى المعروض على كل الناس من الفنون الجميلة وتوجيهها يرتبط بالتخطيط العام للمظهر الحضارى للمدينة. وهذا الأمر يرتبط بتثقيف الجماهير وصقل اذواقهم وفى نفس الوقت يتعلق براحة اعصابهم، لهذا يعتبر فن الملصقات مسئولية هامة فى طريق الاحتفاظ بسمات الذوق الخاص للمواطنين وارتباطهم بأرضهم وببعضهم .. وقد حاول تفادى أقحام الذوق الأوربى والأمريكى ممثلا فى الملصقات التى تعلن عن الأفلام السينمائية .. وهو يقدم ايطاليا كمثل لدولة حريصة على ذوقها الخاص وعلى مصالح فنانيها، لهذا أصدرت منذ وقت مبكر قانوناً يمنع استيراد الملصقات الاعلانية عن الأفلام وغيرها من خارج ايطاليا، ويحتم رسم هذه الملصقات بأيدى فنانين ايطاليين وطبعها فى مطابع ايطالية .. ان هذا النموذج لو تم تطبيقه فى بلادنا العربية ربما ساعد على تأكيد الذوق العربى والطابع المحلى فى فنوننا ابتداء من مئات الصور والملصقات التى يراها المواطنون فى شوارع المدن تعلن عن الأفلام والبضائع.

وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ طلب منه أنور السادات وضع تصميمات الاخراج الفنى لجريدة الجمهورية عام ١٩٥٣ .. ثم وضع تصميمات مجلة التحرير بالاشتراك مع حسن فؤاد وزملائه .. وفى عام ١٩٥٦ طلب منه خالد محيى الدين وضع تصميمات جريدة المساء .. ثم قام بوضع تصميمات الاخراج الفنى لجريدة الشعب مع صلاح سالم .. وبعد ذلك طلب منه مجلس قيادة الثورة العمل فى اخراج مجلة بناء الوطن ثم «أراب ريفيو» مع أمين شاكر مدير مكتب جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت. وخلال فترة الوحدة المصرية السورية قام بوضع تصميمات الاخراج الفنى لجريدة «الجماهير» التى صدرت فى دمشق مع الدكتور جمال الاتاسى.



الفنانة أمينة محمد

النجاشي ورجاله

وعمل مستشاراً فنياً بهيئة الكتاب ، فقام باعداد جناح مصر فى معرض الكتاب ببيروت عام ١٩٦٤ ثم ١٩٦٦ ، وكان الجناح المصرى أبرز الأجنحة وقد فاز بعدة جوائز عن تصميمه لهذا الجناح .. خلال هذه المعارض توثقت علاقة الشريف بالناشر «محمد المعلم» فأشترك معه فى تأسيس دار الشروق حيث نفذ بعض الأعمال الفنية لكتب ذات صفة خاصة وتعتبر نماذج فى اخراج الكتاب مثل كتاب «كليلة ودمنة» المصور.

وقد حصل الفنان عام ١٩٦٧ على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى كما عمل مستشاراً فنياً فى مكتب الدكتور ثروت عكاشة عندما كان وزيراً للثقافة.

وفى عام ١٩٥٧ أشرف على إنشاء مشروع رائد للثقافة العربية وهو مشروع معهد التذوق الفنى ، تأسس المعهد وكان أول عميد له.

ثم طلبته جامعة الملك عبد العزيز بجده لتدريس مادة الاخراج الصحفى بقسم الاعلام . واستمر فى هذا العمل حتى ١٩٨٠ عندما انتقل للعمل كمستشار فنى بمؤسسة «مروة» والدار السعودية للاعلان والكتاب حيث يعمل حتى الآن ، فأشرف على اخراج «المجلة العربية» ثم جريدة «الجامعة».

صانع النجوم

ولعل أبلغ وصف لشخصية الفنان عبد السلام الشريف هو ما كتبه أحد زملائه الصحفيين عنه يقدمه للقراء عام ١٩٤٨ .. ولاتزال معظم الصفات التى ذكرها تلازمه الى الآن .. قال : «اذا قابلته لأول مرة فلن يوحى لك شكله بأنه فنان عبقرى مرهف .. جسم ممتلئ، ووجه أسمر مستدير ، وعينان صغيرتان نفاذتان عليهما منظار غليظ يحجب بينك وبينهما أنف أفطس قليلا وشفتان عريضتان ، ثم جبهة لامعة عريضة يعلوها رأس أصلع تناثرت عليه شعرات خشنة متنافرة.. تتعرف عليه ، فيبتسم فى خجل ويتكلم فى حياء.. وتحدثه عن بديهيه من البديهيات فيرفع حاجبيه وصوته فى دهشة متعجباً مما تقول .. تحس انك ترغب فى لقائه مرة ومرات ، فتطلب منه موعداً ، فيشد على يدك فى حرارة مؤكداً سروره بوفاء هذا الموعد ، ويتركك وقد لا تراه الا بعد أعوام .. وفى مصادفة عابرة..



عود البرسيم

له بين اللوحة والريشة واللون والقلم مواكب زاخرة بالمجد والنبوغ . فى الصحافة وعلى الشاشة الفضية وبين دور العلم ودور الحكومة.

يرفض عبد السلام الشريف فى تواضع وانزواء أن يوضع اسمه فى اعلان ، أو يكتب فى صحيفة أو يلتصق بقصة فاتنة مشهورة .. الحياة فى قلبه احساس وتجربة ومعرفة ومغامرة ، يحب فيتفانى ، ويهرب من الدنيا بضجيجها وصيحات مجدها الزائلة ، ليجرب الهدوء والوحدة والسكينة تحت سفح جبل أو عند مجرى ماء .. يقرأ ويرحل وينتقل من مكان الى آخر ومن عمل الى عمل ليمتلئ معرفة.

ويتساءل البعض فى دهشه لماذا يفضل عبد السلام الشريف الانزواء عن الشهرة ، وهو الذى يقدم تلاميذه الى دور الصحف يوجههم ويدربهم ويسعى الى ابراز اسمائهم ويدفعهم الى المجد ؟!

صبحى الشارونى

أجاثا كريستي
رجل يكتب النقد

الصفحات الثقافية في الجرائد اليومية العربية هي كأي كائن حي ، ذات مثالب ومآثر ، تخطيء وتصيب ، وتحمد وتذم ، أما إذا كان المسؤول عنها مثقفاً أمياً فهي تتحول الى مزيج من سيرك وملهى ، وتعج بالأقنعة الملونة والأصوات المنكرة ، ولا مكان فيها لوجه حقيقي أو لمغرد يطرب .

وواحدة من هذه الصفحات الثقافية ، نشرت مقالا لمواطن منحته لقب ناقد ، وتناولت بالنقد مجموعة شعرية أصدرها أحد الشعراء الذين يعتبرون أنفسهم طليعيين ورواد الحداثة في الأدب العربي المعاصر .

وفي مطلع مقاله طرح الناقد بنبرة شرطي متقاعد العديد من التساؤلات المتعلقة بالشاعر ومجموعته الشعرية المطبوعة ، فقال ما يلي :

« أي شعر يكتب ؟ » .
« عن أي قصيدة يبحث ؟ » .
« أي قلق يخلب لبه ؟ » .
« أية لغة يؤسس ؟ » .

ولا يمنح الناقد فرصة للشاعر كي يجاوب بل يسارع الى الجواب قائلا بثقة :
« الشاعر كان ولا يزال ظاهرة خاصة في الحركة الشعرية الحديثة » .
« عالمه الشعرى شبه وحيد » .
« لغته شبه خاصة » .
« انها لغة رمزية » .
« انها لغة تحقق ذاتها خارج اللغة » .
« انه شاعر يؤسس » .
« انه يكتب وحيداً » .
« انه يؤسس رؤياه الخاصة » .
« وهو رغم وحدته ثابت القدمين على خارطة الشعر العربي » .
« شعره غابة من الرموز والأحاجي » .
« القصيدة لديه أفق رحب » .

« شعره صفا من الأحاسيس الشعورية المباشرة ، ومن ردات الفعل ، ومن الدهشة الفجائية والصدفة والتراكمات الذاتية والتشكيل الصوري ، ليدخل في التجاذب الجدلي : الروحى - الرؤيوى – الذهني » .

واذا كانت القصة البوليسية الناجحة تتصف بنهاية مفاجئة غير منتظرة ، فإن النقد الجديد ينبغي له أيضاً أن يختتم ختاماً يدهش ويحير ، وهذا ما حققه الناقد بنجاح باهر اذ قال الآتي في آخر سطور مقالته :

« أعترف بأني قرأت القصائد مرات ثلاثا ، وأعترف بأني لم أقرأها بعد » . فاذا كان الناقد قد كتب نصا لا يقل عدد كلماته عن (١٥٠٠) كلمة مملوءاً بالأحكام القاطعة ، فما الذى سيكتبه وأى أحكام سيصدر حين يقر ويعترف بأنه قد قرأ القصائد ؟

لكل أديب متحف

ثمة أدباء عرب يعتقدون أن ما قدموه من نتاج يؤهلهم للخلود ، ويثقون بأن بيوتهم ستتحول بعد وفاتهم الى متاحف ، وستعرض رسائلهم المكتوبة بخط أيديهم في المزايدات العلنية العالمية ، وستباع بأسعار تفوق أسعار لوحات بيكاسو .

وواحد من هؤلاء الأدباء ، ذائع الصيت في قريته ، ويؤمن بأن ديستويفسكي ليس أحسن منه ، وشكسبير لا يفوقه ، ودانتي لايضاهيه ، ولكنه لما كان لا يريد للأجيال المقبلة أن تشقى وتتعب من أجل القيام بواجبها نحوه ، فهو يقرر انشاء متحف خاص به ، ويخصص احدى غرف بيته لتكون مقراً له .

ومن المستحسن زيارة ذلك المتحف والاطلاع على بعض ما يحتويه .

هذا قلم حبر ناشف كتب به قصصه القصيرة التى تحولت الى أناشيد وطنية للشعوب المضطهدة .

وهذه التلال من الورق هي مسودات عنوان أول رواية كتبها .

وهذا فنجان القهوة الذى كان يستخدمه ابان تأليفه للمسرحيات .

وهذه صورة بريجيت باردو التى أحبته بغير أمل بعد اطلاعها على دراساته النقدية .

وهذه رسائل من فولكنر يناشده فيها بأن يرعاه ويرشده ويوجهه .

وهذه بقايا السيجارة التى كان يدخنها لحظة سيبلغ سمعه نبأ منحه جائزة نوبل .

وهذه الثياب الداخلية التي كان يرتديها عندما خطرت له أول مرة فكرة نظم الشعر .

خواطر تسر الخاطر

بقلم : زكريا تامر

أما هذه الجثث المحنطة فهي نماذج من قرائه .

عيّ صامت خير من عيّ ناطق

من الظواهر الحسنة التى يليق بها اطلاق زغاريد البهجة أن غالبية القصص العربية الموجهة الى الأطفال مكتوبة باللغة العربية الفصحى ، ونجت من اللهجات العامية .

ومن البديهي أن اللغة في قصص الأطفال بالغة الأهمية اذ تستطيع فى آن واحد أن تكون جناحاً أو قدماً مغلولة بالوحل ، وحين تكون سليمة بسيطة مستساغة موحية تتحول الى أداة تحبب الطفل الى لغته ، وتجعله يثق بطاقاتها على التعبير ، أما إذا كانت سيئة ركيكة معقدة مملوءة بالحشو والثرثرة ، اعتقد الطفل أن لغته القومية عاجزة ، ووجد نفسه يعاملها كأنها خصم سمج آن له أن يرحل .

والتجديد فى لغة النصوص القصصية الطامحة الى مخاطبة الصغار يتحقق عن طريق مقدرة اللغة على نقل ما يريد الكاتب قوله وايصاله الى القراء الصغار بأقل عدد ممكن من الكلمات ، أما أن يفهم التجديد على أنه ارتكاب لأخطاء لغوية فاحشة ، فهذا تجديد مرفوض ومدان .

وقد قابلت يوماً كاتباً كتب بضع قصص للأطفال ، احداها تصف عيني بنت صغيرة ، وتقول عنهما إنهما جميلة ، فقلت له : « كان ينبغى لك أن تقول : عيناها جميلتان ، وهذا هو الصواب لغوياً ، والأجمل وقعاً على الأذن » .

فحدق الي بوجوم مفكراً بينما سارع ناقد كان يمشي برفقته الى مناقشتى بانفعال شديد ، واستهل نقاشه بالتساؤل صارخاً بنزق : « الى متى سنظل عبيداً للغة ؟ أما آن لنا أن نتمرد ؟ » .

فقلت له بخوف : « اكتبوا للكبار ما شئتم ، أما الصغار فاتركوهم ولا تشوهوا لغتهم » .

فغضب الناقد كأنى شتمت أمه ، وشرع فى التنديد بموقفي الفنى المتخلف ، مستنجداً بكل ما قاله الفلاسفة ، فألقمني حجراً ، وألقم القراء الصغار أحجاراً من سجيل .

كل ذات ذيل تختال

فى مقابلة أجراها مع احدى المجلات الأسبوعية قال كاتب لا يعرف أي لغة أجنبية إنه تلميذ لجيمس جويس ، فكان جوابه مفاجأة غير سارة أحبطت آمال المعجبين به منذ أن كان فتياً ، فهم كانوا يتوقعون منه أن يقول ان جيمس جويس هو مجرد تلميذ له ولاسيما أن جيمس جويس أجنبي وهو عربي قح .

ولعل الكاتب يبادر الى الاذعان لرغبات المعجبين به منذ أن كان فتياً ، ويتخلى عن تواضعه الذميم ، ويزهق الباطل فى مقابلة أخرى تجرى بغير ابطاء دفاعاً عن أصالة الأدب العربي ، فالهزائم فى ميادين الحرب باتت مألوفة عادية مملة ، أما الهزائم في ساحات الأدب فهى التى ستجلل هامات الأحفاد بعار لا يمحوه الا الدم المراق من غير حساب ، وقد ذل من لا سيف له .

من لم يركب الأهوال لم ينـــــل الآمال

تزايدت فى الآونة الأخيرة الأخبار التى تنشرها الصحف والمجلات العربية عن محاولات ترمي الى ترجمة الشعر العربى الحديث الى لغات أجنبية .

وتلك الأخبـــار تستحـــق الترحيب بهـــا بحماسة ، فالأجنبي حين يسمع كلمة « عربي » ، يتخيل فوراً خياماً وجمالا وصحارى وآبار بترول وانقلابات وملايين تنفق فى الملاهي ونوادى القمار .

انه لحدث تاريخي جلل أن يترجم الشعر العربي الى لغات أجنبية ، ولكن الخطوة الأولى الذكية المتصفة بالواقعية تقضي بأن يترجم ذلك الشعر الى اللغة العربية أولا لأن معظم ما ينشر على أنه شعر حديث مجرد كلمات مبهمة يعجز ناظمها عن تأويلها .

ولا تأويل لها .

لا حول ولا قوة لا بالله

الأدباء العرب فى العديد من أقطارهم ينعون ببالغ الأسف والأسى فقيدهم المأسوف على شبابه :

الابـــداع

وقد انتقل الى رحمة الله تعالى بعد أن حرم الحرية طويلا .

تغمده الله بواسع رحمته ، وانا لله وانا إليه راجعون .

تقبل التعازي شخصياً أو هاتفياً أو برقياً .

الدنايا ولا المنايا

كتب أديب عربى معروف محرضاً الناس على نبذ الخوف وممارسة حقهم فى التعبير عن آرائهم وأفكارهم ، واختتم تحريضه النبيل القصد بالنصيحة التالية : « قولوا ما تريدون لمن تريدون كما تريدون متى تريدون » .

فهل سينصت الناس لهذه النصيحة ويعملون بها أم أنهم قد تعودوا أن يقولوا مالا يريدون لمن لا يريدون وكما لا يريدون ومتى لا يريدون ؟

ومن المؤكد أن السحب حين تمطر لا تطلب إذناً مسبقاً من الأرض .

بقلم: جمال قطب

سحر الشرق بين العصافير والصقور



الفنان العالمي رينوار

تناولنا على هذه الصفحات من قبل عشرات من روائع الفن العالمى وسير الفنانين العظام الذين أضافوا بلمساتهم العبقرية آفاقا رائعة رحبة فى عالم الابداع الرفيع . وكان لفناننا (أوجست رينوار) نصيبا وافرا من التنويه والتحليل والاشادة بفنه على صفحات مجلتنا (الدوحة) .. ولاشك أنه أهل لهذا الاهتمام الكبير . لأن أسلوبه قد جمع بين طلاوة الشكل وجمال المعالجة وانسجام الألوان وتناسق التكوين فى غير شطط أو مغالاة أو إغراق فى فلسفة التعبير الرمزى عن اللاشعور أو الرؤية الذاتية .. إلى آخر هذه النزعات المستحدثة .. فكان يرى أن اللوحة ــ قبل كل شيء ــ بصرية جميلة .. ومما انفرد به رينوار ، انه اكتشف الوحدة والتناسق بين الخط واللون والأحجام والأضواء . وكان يوازن فى أسلوبه التأثيرى بين الألوان الساخنة والباردة ، ويجمع بين طريقة التأثيريين وأساليب العباقرة القدامى مثل فنان الشمال الأوروبى الشهير (روبنز) .. أما من الناحية الموضوعية ، فقد رفض منهج التأثيرية الخالصة واهتمامها الأساسى بالمناظر الطبيعية ، ولجأ إلى تصوير الحياة من حوله فى مرحها وبهجتها ممثلة فى النساء الجميلات والزهور والأطفال .. حتى عرف فى تاريخ الفن بأنه من أساطين فن رسم الصور الشخصية **Portraits** للمجتمع الفرنسي فى عصره . ولعله بذلك قد انفرد بمنهجه هذا عن باقى أقطاب المدرسة التأثيرية التى قامت أساساً على رسم المناظر الطبيعية الخلوية .. وتعتبر لوحاته التى رسمها فى السبعينات من القرن الماضى (التاسع عشر) وحتى وفاته عام ١٩١٩ سجلا حافلا للحياة الفرنسية وشخصيات المجتمع وعاداته وتقاليده... وجمالياته المبهجة .

وتعتبر لوحته التى يراها القارىء على الصفحة المقابلة والتي تحوى بجانب توقيعه تاريخ رسمها عام ١٨٨٠ وأسماها (الطفلة الصغيرة مع الصقر) واحده من اهم أعماله التى استوحاها من زيارتيه للجزائر عام ١٨٨١ و ١٨٨٢ .. وهنا سيتبادر الى الذهن ــ فورا ــ التاريخ الموقع على اللوحة عام (١٨٨٠) كيف ..؟ !

هل نتصور ان هذه اللوحة كانت مثار تعليق وتحليل بين المؤرخين والنقاد والفنانين .. وتبارى كل منهم فى التبرير أو التشكيك فى صحة هذا التاريخ .. ومن الطريف أنهم ــ باختلافهم هذا ــ قد أضافوا الى المكتبة العالمية أبحاثا قيمة تناولت بالتفصيل حياة الفنان وزياراته للجزائر وتأثره بسحر الشرق كغيره من الفنانين الأوروبيين الذين نزحوا الى بلادنا العربية (ولاسيما مصر والشام والمغرب العربى) . ونشأ بذلك فن عالمى شهير ازدهر فى القرن الماضى وسمى **Orientalism** ، وكان من أهم الفنانين العظام الذين تأثروا فى أعمالهم بجو الشرق وكنوزه الإلهامية : آنجر وديلاكروا ورينوار وجيروم ولويس وجروز ومولر وفرومنتان دبيلى وهولمان وماتيس .. وعشرات غيرهم .

نعود الى رينوار ولوحته (الطفلة الصغيرة مع الصقر) فنجد أنها بلاشك مستلهمة من وحى الشرق العربى .. ومن التساؤلات التى أثيرت حولها .. هل رسمها رينوار قبل زيارتيه للجزائر متأثراً بما سمعه وما رآه من صور زملائه ؟ .. أو أن اللوحة قد أجريت عليها بعض الترميمات وتعذر معه قراءة التاريخ الحقيقى (الذى هو فى الغالب ١٨٨٢) مما اضطر المرمم ان يكتبه بالتقريب وينشأ هذا اللبس ؟ .. أو أن تاجر اللوحات الشهير (ديران) الذى كان يشترى أعمال التأثيريين قد اشترى ضمن أعمال رينوار لوحته التى رسمها قبل ذلك بباريس باسم البنت والعصفور عام (١٨٨٠) ، وطلب من الفنان أن يغير العصفور الى صقر صغير ، لكى تروج بضاعته عند هواة جمع اللوحات الشرقية المستوحاة من رحلته الى شمال أفريقيا آنذاك ؟ افتراضات وتساؤلات كثيرة أثارها النقاد حول هذا التاريخ . لماذا ؟ لأن العمل من إبداعات .. رينوار العظيم .. ولذلك استحق كل هذا الاهتمام .. وما زال الجدل محتدماً ليلقى أضواء جديدة على حياة هذا الفنان الخالد .. لقد بيعت إحدى لوحاته الصغيرة مؤخراً بمبلغ سبعة ملايين من الدولارات . وعلقت إحدى المجلات الفنية المتخصصة بقولها : إنها خسارة عظيمة لمن باعها ، وكسب عظيم لمن اشتراها .. لقد اشترى قطعة من تاريخ العبقرية الفذة التى لن تعود أبداً !



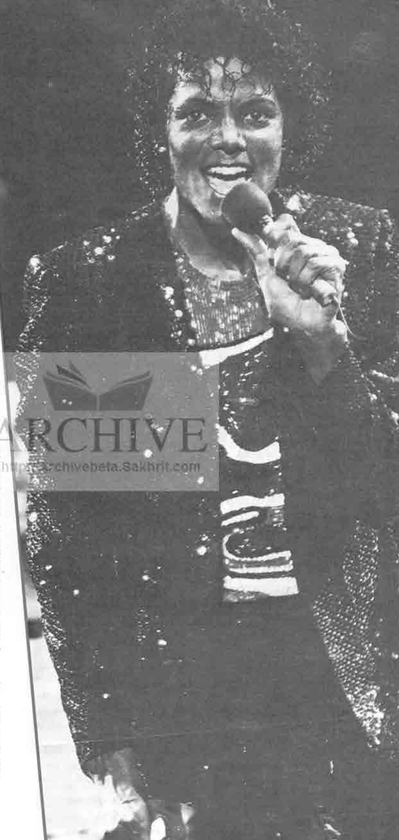
الطفلة الصغيرة مع الصقر.. لوحة أثارت عدة أسئلة حول الفترة التى رسمها فيها الفنان العالمى رينوار

السياسى أى سياسى محكوم عليه بمغادرة الساحة بعد سنوات قصرت او طالت . وهو يمكن أن يكون له أعداء كثيرون ، لايرحبون بمنطقه السياسى ، ولا يطيقون حتى رؤيته ، هذا المنطق يفهمه رجال المخابرات خير فهم . وهم لذلك يدخلون إلى قلوب الملايين فى كل أنحاء العالم بصور النجوم الذين يكون ظاهرهم الفن وباطنهم السياسة . هؤلاء النجوم هم جواز مرور رجال المخابرات إلى عشاق الفن والغناء والرقص فى جميع أنحاء العالم . من هنا تبرز صناعة من أهم الصناعات وأخطرها هى صناعة النجوم . وخير مثل على ذلك ترافولتا ومايكل جاكسون . إن أى واحد منهما أهم وأخطر تأثيراً من أى شخصية سياسية على الاطلاق . وهذه الدراسة تدخل إلى هذا العالم الخفي ، حيث يتم صنع النجوم بفعل أجهزة المخابرات .

نجوم في الظاهر سياسيون في الخفاء

- الفنانون اللامعون موظفون غير عاملين في المخابرات الدولية
- جين فوندا تعارض أمريكا في حرب فيتنام وتؤيد إسرائيل في حرب لبنان
- فرانك سيناترا ودوره المشبوه مع عصابات المافيا

بقلم: محمود قاسم



عدة لقطات لفرانك سيناترا المطرب الذى صنعته الدعاية يوما ما .. ثم لقطة أخرى لمايكل جاكسون النجم الذى يقلده اليوم الكثير من شباب العالم فى ملابسه ونهج حياته

جلست أشاهد فيلماً بعنوان « البقاء حياً » قام ببطولته الراقص والممثل والمطرب المعروف جون ترافولتا ، وأخرجه سيلفستر ستالوني . وليس الفيلم بالطبع هو أحد الأفلام السياسية التى تمجد العقلية الأمريكية سواء عسكرياً أو اقتصادياً وتحقر من العقليات الأخرى كما اعتدنا . ولكن الفيلم لا يتعدى أن يروى قصة بسيطة لشاب يسعى إلى تحقيق نجاح كراقص ، وتحبه احدى زميلاته وتساعده أن يصبح الراقص الأول ، بينما هو يتطلع إلى الراقصة الأولى فى الفرقة . على الفور تبادر إلى ذهنى كيف حاولت شركات هوليوود أن تصبغ الحياة المعاصرة كلها ــ وليست الأمريكية فقط ــ بهذا الشاب الذى ألهب مشاعر الشباب ، وجعلهم يندفعون إلى ما سمى بنوادى الديسكو يقلدونه فى جنون ... أليس ترافولتا اذن شخصية سياسية أمريكية من الدرجة الأولى ؟ .

النجم المفضل

تمتع النجوم الأمريكيون الكبار أمثال جون ترافولتا بأهمية تفوق أهمية الرئيس الأمريكى ، نفسه . فشباب العالم لا يقلدون الرئيس الأمريكى ،ولكنهم يقلدون ترافولتا فى تسريحة شعره وبخترته أثناء السير والترنم بأغانيه . ويعيشون جل أوقاتهم مع صور نجومهم المفضلين المنتشرة فى غرفهم ، وأغانيهم التى تنبعث من



جون واين .. وجون ترافولتا .. وغيرهما من النجوم .. قفزوا فجأة من أصحاب أدوار صغيرة مغمورة إلى نجوم تملأ الدنيا

ناستازيا كينسى من أحدث النجوم التى تتركز حولها الأضواء .. وبريجيت باردو التى اعتبروها فى أحد الأيام ثروة قومية فرنسية !

آلان ديلون .. ضابط فرنسى فى الجزائر

مسجلاتهم ويرتدون ملابس أشبه بملابسه . وربما ينتهجون نفس النهج الذى يسير عليه فى حياته . فلعلنا نذكر كيف تمت صناعة جون ترافولتا فى السنوات الأخيرة من السبعينات . فبعد أن كان نجماً مغموراً يقوم بأداء أدوار صغيرة فى أفلام أقل قيمة . إذا به يقفز إلى مستوى النجوم التى نعرفها جميعاً من خلال فيلم « حرارة ليلة السبت » ..

فجأة انتشرت صور النجم وأخباره وقصص حبه وطريقته فى التبختر سيراً وأسلوبه فى ارتداء الملابس وتسريحة شعره وأغانيه ـ وهو فى الواقع مطرب متواضع ـ فى جميع أنحاء العالم . وجدت هوليود أن عليها أن تصنع نجماً يعيد إلى الاذهان صور نجوم سبق أن ولعت بهم الجماهير . واستطاعت هوليود أن تغزو به العالم وتصدره إلى كل الدنيا . رغم أن ترافولتا ليس الممثل الجيد مثل بعض نجوم السبعينات كروبرت دى نيرو وآل باشينو وداستين هوفمان . وليس المطرب الصداح مثل فرانك سيناترا وبنج كروسبى ، وليس الراقص المبدع مثل فريد أستير وجين كيلى . وليس النجم الوسيم مثل كلارك جيبل وتايرون باور . ولكن كل هؤلاء فقدوا بريقهم لسبب أو آخر . وعلى هوليوود



صوفيا لورين : تبحث عن زوجها فى أحد البلاد العربية .. فى الفيلم طبعا !

بول نيومان .. وزيارات دائمة لاسرائيل !

كيرك دوجلاس .. أحد نجوم السينما الدافعين عن اسرائيل !

دائما أن تصنع نجمها الذى يمثلها فى كل أنحاء العالم . خاصة أن صناعة نجم بهذه الصورة تحتاج إلى مجهود شديد وتصحبها دعاية بالغة التكاليف . وإذا كان ترافولتا قد رقص فى هذا الفيلم بخفة ورشاقة ورقة ، فان الممثلة التى قامت ببطولة الفيلم أمامه كارين لين جورنى قد رقصت بنفس القدر ، واستراح الجمهور لوجهها الرومانسى البرىء . لكن بدا أن الضوء لابد من تسليطه على ترافولتا . ومن ناحية أخرى على فرقة البى جيز التى عزفت له الأغانى وغنتها كى يرقص على أنغامها .

وزحف النجم الشاب بسرعة غريبة إلى قلوب الشباب فى جميع أنحاء العالم . وأصبح اسمه على كل لسان . ولم تخل مجلة أو صحيفة فى العالم من الحديث عن شبابه وأمجاده وعن حياته الخاصة ، وكيفية أداء الرقصات التى قام بها ، وأخبار غرامياته وسفرياته ونشاطه الفنى . وتصدرت صوره جميع المجلات ، ليست الفنية فحسب بل السياسية والاقتصادية أيضاً . فهو بهذا شخصية سياسية ، وله أثر على تنشيط الاقتصاد القومى . فهو يدر الأموال على بلاده البالغة الثراء . وانطلقت

نجوم في الظاهر سياسيون في الخفاء

هوليود بلا هوادة ، عليها أن تصنع أفلاماً جديدة لموجة الديسكو التي ظهرت بحرص . فعلى ترافولتا أن يجلس على عرشه وحده لا ينافسه نجم آخر . والغريب أن أفلام الديسكو التي ظهرت في هذه الآونة كانت البطولة فيها جماعية مثل فيلم « الساحر » لسيدني لوميت و « شكراً لله . فاليوم الجمعة » .

وقبل أن ينتهي عرض فيلم ترافولتا الأول ، دفعت الشركة المنتجة ـ ونفس المنتج روبرت ستايجوود ـ بفيلم آخر لنفس النجم بعنوان « شحم » حاول فيه أن يدفع بنجمة لها نفس الصفات بجانبه كي يشكلا معاً ثنائياً هي اوليفيا نيوتن جون . الا أن « شحم » لم يلق نفس النجاح الذي ناله الفيلم الأول ، رغم أن ترافولتا خاض فيه لأول مرة تجربة الغناء . ولم يكن لأحد أن يتصور أن ترافولتا قد بدأ في الأفول ، وأن على هوليوود أن تسعى لتقديم نجوم جدد يحتلون نفس المكانة .

عصر الديسكو

حاول ترافولتا وستايجوود المراهنة على أن عصر الديسكو سوف ينتهي ، وأن النجم الجديد يمكنه أن يجذب الجماهير مهما قدم لها .. وظهر النجم الشاب يتبختر في فيلم « لحظة بلحظة » حول قصة حب حقيقية عاشها قبل أن تواتيه الشهرة . الا أن الفيلم فشل فشلا ذريعاً . ولم يصدق النجم الشاب فشله فكرر التجربة المرة تلو الأخرى فوجد الجمهور يتناساه لأنه قد أحبه رشيقاً يغني ويرقص أمامه .. وفي العام الماضي سعت الشركة المنتجة إلى إحداث النجاح بأي طريقة . فقدمت فيلماً جديداً جمعه أمام اوليفيا نيوتن جون بعنوان « اثنان من هذا الطراز » . لكن الفيلم لم يحقق النجاح المطلوب . وهنا فكرت الشركة أن تعيد تقديم الشاب على المنوال الذي أحبته به الجماهير ، وأن يظهر أمامها بنفس الصورة التي أعجب بها في أول الأمر . فقدمت له الجزء الثاني من فيلمه « حرارة ليلة السبت » في نفس الأجواء الاستعراضية ، لكن بعيداً عن أجواء الديسكو التي انتهى زمنها . فترافولتا لم ينجح في الفيلم الأول الا عندما رقص وحده على الحلبة . وبدأ في أحسن حالاته كراقص وهو يرقص وحده على خشبة المسرح ، بعد أن اندمج تماماً في الرقص في « البقاء حياً » الذي وقف فيه من جديد أمام ممثلة مغمورة كي يتفرد بصورته كنجم وحيد . وفي النهاية نراه يسير متبختراً في شوارع نيويورك ، بينما تنطلق موسيقى أغنية « البقاء حيا » التي كانت أحد عوامل نجاح الفيلم الأول .

ويعود ترافولتا من جديد إلى رجل سياسة له من الأهمية مالم يستطع أن يتمتع به الرجل الأول في البيت الأبيض . فاذا كان الرئيس هو دائماً الواجهة الحلوة لأمريكا : ابتسامة وجاذبية وصحة وتألق وبلاغة ، فان النجم لابد أن يكون أكثر جاذبية وتألقاً ، فالنجم الأمريكي هو السفير الذي يتسلل إلى كل البيوت في العالم . وإذا كانت شخصية الرئيس الأمريكي هي غالباً موضع التركيز السياسي والاعلامي فان النجوم شخصيات محبوبة يتعاطف الجمهور معهم دائماً ويفضلهم ألف مرة على جميع الوجوه السياسية .

وإذا كنا قد نسينا بعض الشيء تغلغل ترافولتا داخل حياتنا ، فان هوليوود قد سعت خلال عام ١٩٨٤ إلى صناعة نجم آخر أقل موهبة وجاذبية ، لكن لابد من صناعة نجم مهما كان الأمر ، وهو المطرب الزنجي مايكل جاكسون الذي تغلغل أيضاً إلى البيوت في كل الاتجاه ، وتحول بين ليلة وضحاها إلى معجزة القرن العشرين لدرجة أن عشرات المجلات العربية قد شرعت خلال الأشهر الماضية في نشر مذكراته (!!) وصوره بطريقة بالغة الكثافة

هذا النجم اللامع للغاية يمثل في المقام الأول سياسة أمريكية خارجية ، ويمكن أن نعتبر أن كل نجم جديد يتم تلميعه بهذه الصورة هو موظف غير عامل في وزارة الخارجية الأمريكية ، رغم أنه لا يتقاضى عن هذه الوظيفة أي أجر . فهو ينقل السياسة الأمريكية إلى كل أنحاء العالم . وإذا كنا قد تناولنا ترافولتا كنجم فانه في العامين الماضيين حاولت السينما الأمريكية أن تصنع نجماً من نوع خاص في وقت لم يكن فيها نجم لامع مثلما نرى الآن مايكل جاكسون . هذا النجم هو دمية دميمة الشكل جاءت من الفضاء اسمها « اى . تى » التي زحفت الى قلوب الصغار والكبار على السواء . وهذا العام قدمت السينما الأمريكية شخصية أخرى هي « أنديانا جونز » . المغامر الجريء المقدام ، والمتفوق دائماً على كل الأجناس الأخرى .

ولا يشترط أن يكون النجم الأمريكي أمريكياً تماماً . فمن ايطاليا جاء فالنتينو وترافولتا . ومن مصر عمر الشريف . وفشلت الولايات المتحدة في التعامل مع نجوم أوربا مثل آلان ديلون وبريجيت باردو . لأنهم رفضوا أن يكونوا أمريكيين . ورغم أن جيمس بوند عميل انجليزي الا أننا نشعر أنه أمريكي من الدرجة الأولى . وفي بعض الاحيان تعطي السينما الأميريكية الاحساس بأن هؤلاء النجوم الوافدين ليسوا أمريكيين . وفعلا فإنها تسند إليهم أدوار الشخصيات الأجنبية في الأفلام الأمريكية مثل روبرت دى نيرو الذي يؤدي دائماً دور الايطالي المهاجر إلى الولايات المتحدة مثل دوره في « الأب الروحي » و « ثور هائج » و « حدث مرة في امريكا » .

دور سياسي

وإذا كان بعض الفنانين الأمريكيين يلعبون على المستوى الأمريكي الداخلي دوراً سياسياً ، فان الدور السياسي الذي يلعبه النجوم الأمريكيون معروف مثل وقوف كيرك دوجلاس ضد القضية العربية على خط مستقيم . والزيارات المتكررة التي تحمل الطابع السياسي لنجوم أمريكيين كبار لاسرائيل ودفاعهم عن سياستها سواء في مواقفهم أو في جمع التبرعات أو في تمثيل أفلام تدين العرب وتدافع عن اسرائيل واليهود مثل اليزابيث تايلور وبول نيومان وجين فوندا . وتهتم الصحافة العالمية كثيراً بهذه الزيارات وتبرزها في عناوينها وواجهاتها . وإذا اخترنا كيرك دوجلاس كمثال فهو الذي أدى شخصية الجنرال الأمريكي الذي يدافع عن المصالح الاسرائيلية في فيلم « ظل العملاق » ١٩٦٦ . كما أدى دور الأمريكي الذي هاجر إلى اسرائيل ليعمل حاوياً متجولا على لتحدة . ولأن الانطباعات عن نفس النجم تتراكم فيمكن لهذه الصور أن تمتزج بنفس الصور التي عرفت عنه كبطل يبحث عن العدالة والحرية في « سبارتاكوس » و « طرق المجد » ومناضل ومحارب ماهر في أفلام أخرى له .

هذا الأمر يمكن أن يذكرنا بنجم آخر هو جون واين أو عملاق الغرب . فقد انطبعت صورته لدى الجمهور بأنه العادل الذي يسعى لمحاربة الظلم دائماً سواء ارتدى ملابس راعي البقر يجوب الصحراء الأمريكية ، أو الجنرال الأمريكي الذي يدافع عن المصالح الامبريالية في فيتنام في فيلم قام ببطولته واخراجه عام ١٩٦٩ بعنوان « ذوى البيريهات الخضراء » . كما أن جين فوندا التي دافعت عن الحرية ، ووقفت ضد سياسة بلادها ابان غزو فيتنام وقدمت أفلاماً عديدة تدين هذا التدخل الأمريكي . نفس هذه المرأة ـ المناضلة ! ـ سافرت إلى جنوب لبنان تبارك الجنود الاسرائيليين بعد غزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ . وقد يهمنا أن نؤكد على سلوك النجم ، لكن الأهم هو الانطباع الذي يلتصق بأذهان جماهير هؤلاء الفنانين . فالنجم موجود دائماً بصورة الرجل الأفضل في أذهانها . ومثل هذه الزيارات السياسية تؤيد أنه في رحلة للدفاع عن العدالة . والجمهور العادي في أغلب الأحيان ليس سياسياً ، لكن يهمه

● ديجول يعتبر بريجيت باردو أهم ثروة اقتصادية في فرنسا

بالدرجة الأولى أن يتابع أخبار نجمه المفضل. وهكذا يلعب النجم دورا سياسياً بالغ الحساسية، ربما أكثر من محترفي السياسة.

وفي داخل الولايات المتحدة. قد تنشر — في بعض الأحيان — كتب عن تورط نجوم معروفين في أعمال سياسية مشبوهة. الا أن هذا لا يؤثر بدرجة أو بأخرى على شهرتهم وحب الجماهير لهم. فمنذ سنوات نشر كتاب عن ايرول فلين وتورطه لحساب المخابرات الأمريكية كجاسوس مزدوج. أما فرانك سيناترا فهو معروف كاحدى الشخصيات المشبوهة التى تلعب دوراً بالغ الحساسية في أنشطة عصابات المافيا، الا أن هذا لم يؤثر على شهرته. بل إنه صديق شخصى عزيز جداً للرئيس الأمريكى رونالد ريجان. كما نشرت مقالات تحاول ادانة جريتا جاربو وماى وست.. لكن حب الجماهير لم يقل.. بل ربما زاد..

بطل قومى!

لم تقل شهرة أحد بعد فضيحة سياسية مثلما يحدث عادة مع رجال السياسة. وهنا نرى إلى أي حد تبلغ حساسية الدور السياسى الذى يلعبه النجم. قد تكون هناك حالات استثناء قليلة لكنها لا تتعلق بدوره السياسى أو بفضائحه السياسية. بالعكس فقد ينظر اليه في بعض الأحيان على أنه بطل قومى.

والذى يساعد هؤلاء النجوم اللامعين في الولايات المتحدة وجود أجهزة اعلامية ضخمة تعمل على تلميع النجم وبنائه في أذهان الجماهير وتخلق حوله هالات من الأساطير المتلاحقة والشائعات العاطفية كي يكون في ذهن جمهوره بصفة مستمرة، ومن هذه الوسائل اطلاق أسماء معينة عليه مثل «الأسطورة» و«معبود الجماهير». والاهتمام بدوره في الحياة الفنية والسياسية والاقتصادية، ودرجة ثقافته.. ومن هوليوود تنتقل العدوى إلى دول أوروبا التى من العجيب أنها تبدو شرهة للنجوم القادمين من الولايات المتحدة ربما أكثر من نجومها هى، والعجيب أن أوروبا تعتمد في صنع نجومها على هوليوود. بل انها تدفع بنجومها إلى هناك كى يصبحوا أكثر انتشاراً خاصة في مجال السينما والطرب. ثم يتم تصديرهم إلى أوروبا مرة أخرى. والغريب أن الصحافة الأوروبية تزيد من شهرة هؤلاء القادمين من الولايات المتحدة، بينما هى أقل خبرة في صناعة نجوم لهم نفس بريق النجوم الأمريكيين. ربما لأنه ليست هناك مؤسسات خاصة تحتكر النجم وتتعاقد معه للعمل لسنوات طويلة وتتولى الرعاية له بكل صورها.

وهناك حالات نادرة لشهرة بعض الأوربيين الذين لمعوا في بلادهم، مثل بريجيت باردو التى اعتبرها ديجول أهم شخصية سياسية فرنسية، وأنها أهم أسباب ازدهار الاقتصاد الفرنسي. أما صوفيا لورين فقد لمعت في بلادها أولا. وأرسلت هوليود إليها نجومها الكبار ليعملوا أمامها في ايطاليا مثل كلارك جيبل وكارى جرانت وانتونى كوين. الا أن السينما الأمريكية عندما اختطفتها جعلتها تارة تقوم بدور امرأة اسرائيلية تبحث عن زوجها الخائن الذى رحل إلى سوريا قبل حرب ١٩٤٨ في فيلم «جوديت» عام ١٩٦٣، ودور الجاسوسة التى تعمل ضد مصالح العرب في فيلم «ارابيسك» عام ١٩٦٧.

أما بقية النجوم الذين حاولت هوليوود اختطافهم من أوروبا مثل آلان ديلون وكلوديا كاردينالى وايف مونتان فانهم لم يضيفوا هناك إلى نجوميتهم شيئاً. وعادوا إلى بلادهم بخفي حنين ومارسوا نفس الدور. والجدير بالذكر أن أكثرهم لم يلعب دوراً سياسياً مباشراً مثلما يلعب الأمريكيون خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية.

ونجوم الاستعراض والطرب هم دائماً الأكثر جاذبية في هوليوود. والغريب أن عمر هؤلاء النجوم قصير. وهم أشبه ببريق الرعد سرعان ما يلمع ثم ينطفئ، وقليلون هم الذين يستمرون نجوماً. ولعل شيللا المطربة الفرنسية قد حققت هذا اللمعان بسفرها إلى هناك، وأصبحت سفيرة لبلادها في برودواى. لكن السينما لم تهتم بها هناك مثلما حدث في بلادها.

والدور السياسى للنجوم في أوروبا أقل منه جدا من الولايات المتحدة. فانتشارهم العالمى أقل. وآلان ديلون لم يؤد دوراً سياسياً الا أنه دافع عن الرئيس السابق جيسكار ديستان في حملته الانتخابية الأخيرة، والغريب أنه عندما عمل لصالح السينما الأمريكية أسندت إليه دور الضابط الفرنسى الذى يحارب في الجزائر في فيلم «القائد الأخير» عام ١٩٦٥. أما ايف مونتان فهو يزحف نحو كرسى الرئاسة ببطء — والغريب أن أكثر الأوروبيين الذين يلمعون خارج القارة هم من اليهود مثل مونتان وبولانسكى. أما آخر هؤلاء الذين تم صناعتهم فهى ناستازياكينسكى التى تزوجت من المنتج المصرى ابراهيم موسى، ولم يبرز لها دور سياسى حتى الآن.

وأغرب وأطرف تفسير لما يتمتع به مايكل جاكسون من شهرة تصدر إلى أنحاء العالم أنه قد تم صناعته في نفس الوقت الذى تنشر فيه الولايات المتحدة أسلحتها في غرب أوروبا، كى يمتص الغضب العام الذى يمكن أن يحدث ازاء مثل هذه الخطوة.

والأكثر غرابة أن هوليوود تسعى إلى جذب بعض النجوم اللامعين المعروفين في خارج امريكا إلى عالم الغرب المبهر، وتأويهم سياسياً وتعمل على تلميعهم — وأكثرهم من نجوم الأدب والباليه — وتصبح لهم شخصية سياسية أكثر منها فنية. فهم واجهة للهجوم على اضطهاد الفنان في بلاد أخرى. وقد قلل هذا من شهرة بعض الفنانين خارج بلادهم، وترك للولايات المتحدة الميدان خالياً لصناعة ماتشاء من نجوم، وفرض ماتراه، وتشكيل الدور الاجتماعى والسياسى المباشر وغير المباشر للفنان.

لكن ماذا عن صناعة النجم في عالمنا العربى؟ ليست هناك جهة معينة تسعى إلى صناعة النجوم بصفة دائمة والسعى إلى تلميعهم. وبالتالى ينتفي الهدف السياسى المباشر من دور الفنان الا في حدود ضيقة للغاية. وصناعة النجم العربى أمر متروك للاجتهاد الفردى وللصدفة البحتة. ففي وقت ما يمكن أن نجد النجم الذى يلعب الدور السياسى بالمفهوم الذى قدمناه. وقد يمكن لمرحلة سياسية معينة أن تصنع نجومها الذين يعبرون عنها مثل عبد الحليم حافظ الذى كان الوجه المعبر عن ثورة يوليو ابان الخمسينات والستينات.

وقد لعبت فيروز دوراً رائعاً في الازمات السياسية التى مرت بها الدول العربية. فلم تغن فقط للبنان في محنته. بل لكل العرب في الغربة وفي بلادهم. وفي السينما تتغير الأمور. قد يكون هناك نجم مشهور صنع نفسه بعصامية، ويمكنه أن يقوم بدور الشخصية السياسية أو المناضلة مثل الادوار التى جسدها محمود ياسين كمحارب في حرب اكتوبر في عدة أفلام، وأدواره السياسية في أفلام عديدة واشتراكه في العديد من جمعيات الخدمات في المجتمع. وفي السنوات الأخيرة انطبع نور الشريف في أذهان الجماهير بمنظور الفنان الملتزم سياسياً. وهناك بعض الادوار الهامة التى لعبها الفنانون بزيارة جبهات الحروب، والوقوف إلى جانب شعبي فلسطين ولبنان في اقامة ندوات والقاء قصائد الشعر. لكن أحداً لم يقم بتمثيل فيلم واحد عن القضية اللبنانية أو الفلسطينية، كما أن هناك بعض الاجتهادات الخاصة من فنانين مثل دريد لحام لكنها في حاجة إلى مؤسسة خاصة تهتم بصناعة النجوم..

محمود قاسم

مناقشات ساخنة
حول العروض المسرحية للفرق العربية

بقلم: خالد زيارة



جمع من الشاهدين للمسرحية القطرية «ياليل ياليل» تتوسطهم السيدة نجاح العطار وزيرة الثقافة والارشاد السورية، وسفير دولة قطر بسورية فهد الخاطر، ومدير إدارة الثقافة والفنون في قطر موسى زينل

مشهد من مسرحية «المركب» التي عرضها المسرح الوطني الليبي خلال العروض المسرحية في مهرجان دمشق

- هل كانت الموسيقى الغربية في مسرحية «الزير سالم» دخيلة على العرض؟
- ماذا قدم الحكواتي في مسرحية «رأس المملوك جابر» لسعد الله ونوس؟
- ماذا عن مواويل المسرحية القطرية «ياليل ياليل» ودورها في تأكيد المضمون؟

انعقد مهرجان دمشق التاسع للفنون المسرحية تحت شعار «من أجل مسرح عربي متقدم ومتطور». فقد كان انعقاده بمثابة التعرف على التجارب المسرحية العربية المختلفة وتباين مستويات تطورها وتبلورها الفني، بهدف الاستفادة المتبادلة من هذه التجارب.

وأهمية هذا المهرجان تكمن في إتاحة الفرصة للفرق العربية أن تتعرف كل واحدة منها على الأخرى وأن تقارن إنجازاتها بإنجازات الفرق الأخرى. كما أنها فرصة جيدة لعقد صداقات جديدة بين المسرحيين العرب وتقوية صداقات قديمة.

ولأن المسرح يقدم شيئاً كامناً في النفس البشرية ذاتها، فإن هذا المهرجان يؤكد أن فن المسرح مازال يولد وينمو باستمرار بالرغم من التطور السريع الذي يحققه التليفزيون والفيديو على المستوى العالمي.

وفي كلمة افتتاح المهرجان قالت الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة والإرشاد القومي بالجمهورية العربية السورية: «إننا نفتتح المهرجان وكلنا أمل في أن تكون هذه التظاهرة الثقافية مرضية لجمهور المسرح ومفيدة للمسرحيين وناجحة في المهمة التي وضعناها نصب أعيننا وهي مهمة التلاقي، وتبادل الخبرات، والإسهام في المزيد من نشر الثقافة المسرحية، هذه الثقافة التي عن طريقها نربي جمهوراً مسرحياً ما برح يكبر منذ أن بدأنا المهرجان الأول هنا في دمشق».

وطالما أن الهدف الأساسي من قيام مهرجان عربي للمسرح هو لقاء الأخوة المسرحيين من مختلف أقطار الوطن العربي الكبير وتعارفهم

مناقشات ساخنة

حول العروض المسرحية للفرق العربية

التحرر وصون كرامته الإنسانية.

وفى الندوة الأولى للمهرجان التى أقيمت حول مسرحية «الزير سالم» لمؤلفها الفريد فرج والتى أخرجتها نائلة الأطرش وقدمتها فرقة المسرح القومى بدمشق، دعا المنصف السويسى المسرحيين ألا يضعوا المنتج المسرحى داخل قفص الاتهام، بل يجب أن ينطلقوا فى مناقشة أصحاب العمل من داخل رؤيتهم.

وتحدث فى هذه الندوة من قطر (موسى زينل) طارحاً دور الموسيقى فى العرض، وقال إنها دخيلة لاستخدام المخرجة الموسيقى الغربية بشكل عام، بينما كان فى استطاعتها أن تستخدم موسيقى عربية ملائمة للنص.

كما تحدث من سورية (د. عادل فرشولى) فأكد أن مفتاح العرض فى المسرحية كان باستخدام المخرجة فى الخلفية قصيدة «لا تصالح» للشاعر الراحل أمل دنقل، فجاء ذلك اتساقاً مع المضمون وإضافة إلى حيوية العرض الذى كانت كل عناصره الابداعية وبالأخص عنصر التمثيل يحمل من الحرارة ما ينجح أى عرض.

وفى نفس الندوة طرح (روجيه عساف) من لبنان مسألتين الأولى عن التراث وهل هو مضمون أم شكل؟ وأما الثانية فكانت عن دور الجوقة فى العرض، وهو ما استفسر عنه أيضاً الفنان عبد الرحمن المناعى من قطر.

وقد ردت المخرجة نائلة الأطرش على التساؤلات بقولها: إن هاجسها الأساسى هو تحقيق عرض مسرحى يستقطب العدد الأكبر من النظارة، فقد وجدت أن الحكاية الشعبية يمكن أن تحقق من خلالها هذا الهدف، لذلك حاولت أن تسقطها على قضايانا الملحة، فالعدالة المطلقة التى طالب بها الزير سالم هى رمز لا أكثر، كما أن الموسيقى كانت منسجمة مع النص ولم تكن خارجة عن إطار شكل العرض.

وفى الندوة الثانية حول مسرحية «مغامرة رأس المملوك جابر» لسعد الله ونوس وإخراج د. جواد الأسدى والتى قدمتها فرقة المعهد العالى للفنون المسرحية فى دمشق، قال عبد الآله عبد القادر من الامارات العربية المتحدة: إن المسرحية تحوى الكثير من الاضافات التى لا تفيد العرض المسرحى .. بينما قال محمد البخارى من موريتانيا إن المخرج تلافى الثغرة التى وقعت فيها مخرجة الزير سالم وهى عدم معرفة البيئة وربطها بالعرض، فوظفت المسرحية المرحلة الراهنة فى لغة درامية حية فجاءت عملا فكرياً وشكلانياً رائعاً .. وأثار الدكتور عادل فرشولى قضية الحكواتى فى النص وكيف أنه كان يروى قصة رواد المقهى أنفسهم ليدفعهم إلى اتخاذ موقف ما. وفى نهاية الندوة أجاب المخرج د. جواد الأسدى أنه بالنسبة للتراث ومناقشته فهذا أمر شائك يتطلب وقتاً طويلا وللمسرح هدف سياسى حتى لو اتصل بالجزئيات.

أما الندوة الثالثة: فقد ناقشت مسرحية «نجران تحت الصفر» لفرقة المسرح الطليعى بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، التى أعدها محمد صالح الشاعر عن رواية الكاتب الفلسطينى «يحيى يخلف» وأخرجها جميل محفوظ .. وأثار عبود جميعان من العراق وجود خلل فى تأليف الرواية الأصلية وخاصة معالجة الشخصيات الكثيرة والمتنوعة والنهايات التى تنتهى بها كل شخصية .. بينما قال الدكتور شريف شاكر من سورية: إن النص صعب ويتطلب طاقات تقنية فى الاخراج ورغم ذلك حاول المعد بصدق أن يقدم رؤياه. وقال وليد أبو بكر من الكويت: إنه استمتع بالنص المكتوب أكثر من العرض، وإن الممثلة التى قامت بدور ريتا كانت أقل أخطاء فى اللغة من التى قامت بدور نعمية. وأثار عبد الفتاح قلعجى من سورية مسألة تطابق العرض مع جو البيئة اليمنية بصورة كافية وإن الميلودراما التمثيلية أبعدت الحدث عن مهمة الاقناع. ثم تحدث جميل محفوظ قائلا: إن الملاحظات إيجابية وإن البساطة كانت مقصودة نظراً لطبيعة الشعب اليمنى وإن العرض كان بمثابة تجربة تقنية لا أكثر.

ودارت الندوة الرابعة حول مسرحية «أنا الحادثة» التى قدمها المسرح الوطنى التونسى والمأخوذة عن رواية الأديب الكويتى اسماعيل فهد اسماعيل «ملف الحادثة ٦٧»، فتركزت حول عدة ملاحظات من بينها أن الديكور هو صاحب الأهمية فى العرض وأن الرواية سيطرت على المخرج وكان هناك فصل للشخصية عن موقعها الاجتماعى، كذلك كانت هناك محاولة لتقييم الحادثة فى حين أن العمل الدرامى أساساً ينطلق من الخاص إلى العام لا العكس، وكان هناك أيضاً تكرار لا يمكن أن يكون هو هدف المخرج. وقد رد مخرج المسرحية قائلا: إننا نبحث عن ذواتنا وهمومنا وأن القصد لم يكن مجرد الفرجة، وقد بحثنا عن نص أدبى يحقق هذا الهدف فوجدنا أن هذه الرواية تحققه بشكل ما، فنقلناها بكل خفاياها وأسرارها.

وقد طرحت عدة قضايا مسرحية وفكرية متعلقة بمسرحية «جحا باع حماره» للمسرح الوطنى الجزائرى من اخراج المسرحى المعروف مصطفى كاتب.

وفى اليوم السادس للمهرجان نوقشت المسرحية القطرية «ياليل ياليل» لمؤلفها ومخرجها عبد الرحمن المناعى والتى قدمتها فرقة المسرح الأهلى القطرى، وللحق فإنه لم تحظ مسرحية فى المهرجان بالتقدير والاهتمام مثلما لقيته هذه المسرحية، وقد انحصرت آراء المشاركين فى الندوة فى أن العرض كان مفاجأة جميلة بسبب مضمونه وإبداعات الفنانين الذين جسدوا الأفكار بشكل جيد، وكان الديكور فى نظرهم جميلا إنما كان أوسع كثيراً من اللازم، والاضاءة لم توزع بشكل جيد وأثرت كثيراً على العرض، إضافة إلى ذلك فإن المواويل وظفت بشكل جيد وأكدت مضمون المسرحية، وأن المسرحية جاءت إضاءة للمسرح فى الخليج العربى تذكر بالمرحوم صقر الرشود وإبداعاته الفنية، حيث استطاع المخرج رغم كونه مؤلفاً أن يخفف من بعض الميلودراما الموجودة فى النص، وذلك من خلال الايقاع المناسب ومن خلال توظيف الغناء. وقال عبد الرحمن المناعى مؤلف ومخرج المسرحية إن همنا الأكبر كان هو أن نقدم عرضاً يحمل هموم الانسان، وأن الموال لم يهبط بالايقاع العام للعرض، كما قال البعض بل حدث العكس، فالموال جزء من الحدث وليس من خارجه.

وفى بقية الندوة كانت هناك مناقشات موضوعية حول بقية العروض المسرحية فى المهرجان كمسرحية «المهرج» التى قدمها المسرح الجوال فى سورية من تأليف محمد الماغوط واخراج سهيل شهلوب، ومسرحية «اسمع يا عبد السميع» لفرقة المسرح الوطنى بتونس من تأليف عبد الكريم برشيد واخراج عبد الغنى بن طارة، وحكايتى «صديقنا بابخيتو ـ والرجل الذى صار كلباً» من تأليف أوزفالدو دراكون واخراج المخرج العراقى عبد الآله عبد القادر والتى قدمها مسرح الشارقة الوطنى بدولة الامارات العربية المتحدة، والعرض المسرحى «أيام الخيام» لفرقة مسرح الحكواتى اللبنانية وهى من تأليف جماعى وإخراج روجيه عساف.

والخلاصة: إن هذا المهرجان المسرحى بكل عروضه وندواته ومناقشاته كان ملتقى عربياً، أثرى الحياة المسرحية والثقافية بين أبناء الوطن العربى الواحد، وهو ما نرجو تدعيمه وتنشيطه على كافة الأصعدة والأنشطة الثقافية والفنية فى العالم العربى، من أجل نهضة مسرحية عربية مؤثرة فعالة.

خالد زيارة

أخطاء لغوية معاصرة

بقلم: الدكتور عبد الله العبادي
جامعة قطر

تماثيل :

ومن الخطأ في النطق صرف تماثيل فيقولون مثلا (وهناك تماثيل كثيرة من هذه الأشكال) ورأيت في المعرض تماثيلا تشبه هذه التماثيل) وهذا خطأ في النطق، والصواب أن يقال (وهناك تماثيل كثيرة من هذه الأشكال) (ورأيت في المعرض تماثيل تشبه هذه التماثيل) (بضمة واحدة) في المثال الأول (وفتحة واحدة) في المثال الثاني، ذلك أن تماثيل اسم لا ينصرف مثل مصابيح، ومسامير، ودنانير، وقناديل، ومساحيق .. فهذه أسماء لا تنصرف لأن هذه المذكورة جاءت على صيغة منتهى الجموع، أو الجمع المتناهي (أي جمع لا نظير له في الآحاد، أو لا مفرد على وزنه) وضابطه : كل جمع بعد ألف تكسيره حرفان كمساجد، وقنابل، أو ثلاثة أحرف أوسطها ساكن كمصابيح ومفاهيم، أما إذا تحرك الثاني فإنه يصرف كـ(صيارفة) و(صياقلة).

والعلة في منع الصرف في هذا الاسم علة واحدة قامت مقام علتين وهي صيغة منتهى الجموع، أو الجمع المتناهي، ومعلوم أن الاسم الذي لا ينصرف يرفع بالضمة، وينصب ويجر بالفتحة، ومما جاء في القرآن قوله تعالى (ويعملون له ما يشاء من محاريب، وتماثيل وجفان كالجواب) سورة سبأ اية ١٣ فعلامة الجر هنا الفتحة نيابة عن الكسرة.

اكتشاف :

ومن الخطأ الشائع في عصرنا لدى الكتاب استعمال كلمة (اكتشاف) للعثور على شيء، واظهار شيء جديد لم يكن من قبل فيقولون مثلا (وقد اكتشفوا نقوشاً أثرية تعود إلى الفين قبل الميلاد) أو تمكنوا من اكتشاف أدوية جديدة لمرض كذا) أو (أن هناك اكتشافات أثرية عديدة للفراعنة تعود إلى ما قبل أربعة الاف سنة).

وهذا خطأ، ذلك أن (اكتشف) بالتاء بعد الكاف على وزن (إفتعل) لا تستعمل لهذا الغرض، وهو اظهار شيء جديد لم يكن من قبل، أو العثور على شيء لم يكن في الحسبان، وإنما جاء هذا الفعل (اكتشف) لمعنى آخر غير هذا المعنى تماماً، ومغايراً له، فقد جاء في القاموس : إكتشفت المرأة لزوجها : بالغت في التكشف له، وجاء في لسان العرب : واكتشف الكبش النعجة : نزا عليها وتكشف البرق اذا ملأ السماء.

أما إذا أردنا ذلك المعنى وهو (اظهار شيء جديد الى خير الوجود، أو اردنا رفع شيء عن آخر يواريه ويغطيه فنستعمل كلمة (كشف) ومشتقاتها، فالصواب في الأمثلة السابقة أن يقال (وقد كشفوا نقوشاً أثرية تعود الى الفين قبل الميلاد) بمعنى اظهروا نقوشاً وعثروا عليها، و(تمكنوا من كشف أدوية جديدة لمرض كذا) بمعنى تمكنوا من إظهار أدوية جديدة، (وان هناك كشوفات، أو كشوفاً أثرية عديدة للفراعنة تعود الى ما قبل أربعة الاف سنة) وهكذا ..

شفوق :

ويقولون (رجل شفوق على أقاربه) و(والد شفوق على أولاده) على وزن «فعول» ويقصدون بذلك صيغة مبالغة في اسم الفاعل (أي كثير الشفقة) والصواب ان يقال (رجل شفيق، أو مشفق على أقاربه) و(والد شفيق أو مشفق على أولاده) بمعنى ناصح لهم حريص على مصلحتهم، وهو فاعل مأخوذ من أشفق يشفق. وجمع مشفق. مشفقون، وجمع شفيق : شفقاء وقد اجاز ابن سيده شفق تشفق بمعنى اشفق، وهما عنده مترادفان لمعنى واحد، وكذلك ابن دريد من أئمة اللغة وانشد :

فاني ذو محـــافظة لقوصي
اذا شفقـت على الـرزق العيـال

اما اذا قلت اشفقت منه، فيعنى أنك تحذره، أو تجزع منه وقد يأتي بمعنى الخوف كما في قوله تعالى (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) المعارج اية ٢٧ أي خائفون ولم يسمع من العرب «شفوق» على وزن «فعول».

والشفق والإشفاق : الخوف، والشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل بين المغرب والعشاء، والشفق كذلك النهار وقد فسر قوله تعالى (فلا أقسم بالشفق) بذلك.

يحارب ضد الاستعمار :

ويقولون (الوطنيون يحاربون ضد الاستعمار) والصواب (الوطنيون يحاربون الاستعمار) أما اذا أتيت بضد، فذلك يعني أنهم يحاربون من هو ضد الاستعمار أي يحاربون عدو الاستعمار، فالمعنى حينئذ يحاربون مع الاستعمار، ولصالحه، وليس ذلك مقصودهم، بل عكس ما يقصدون، لأن معنى ضد الشيء : عدوه، وخلافه والضد كذلك هو الند، أو الشبيه، ومنه قوله تعالى (ويجعلون لله أنداداً) أي يجعلون له أضداداً وأشباها من خلقه تعالى فهو يعلو عن ذلك علواً كبيراً.

وقد تعني كلمة «ضد» شبيهاً، أو مقابلا، وهم لا يريدون ذلك المعنى كذلك، لأن المقصود هو اثبات حربهم للاستعمار لا أنهم يحاربون من على شاكلته.

قال الأخفش كما نقل عنه صاحب لسان العرب : الند : الضد والشبيه، وقال ابن الأعرابي : ند الشيء مثله، وضده خلافه.

شفيق العمروسي

المعبد الذهبى يطل على بحيرة آمريتسار

أحد رجال السيخ : شعر طويل للرأس والذقن .. وعمامة ضخمة من تراث الأجداد



قصة ۱۸ مليونا ينتشرون في أنحاء العالم

السيخ

من الغناء على القيثارة إلى السيف والعنف!

لم يكن زعيم السيخ ـ ناناك ـ وهو يجوب القرى والسهول منشداً على قيثارته وداعياً إلى التسامح ، يتصور أن احفادا من اتباعه سوف تحتل أخبار أعمالهم المتسمة بالعنف ـ بعد خمسة قرون ـ الصفحات الأولى لصحف العالم كله !

وهذا التحول إلى الضد قد لاتبدو فيه مبالغة إذا نظرنا إلى الفكرة وتطورها من خلال الظروف التى نشأت فى احضانها ، ثم أدت بها إلى استخدام العنف بدلا من التسامح .

وطائفة السيخ تنتشر اليوم فى عدد كبير من بلدان العالم ، حيث يتراوح عددهم بين عشرة وثمانية عشر مليوناً . إلا أن الأغلبية العظمى منهم تعيش فى القسم الشمالى الغربى من الهند ، حيث تمثل الأقلية الثالثة هناك بعد الاسلام والمسيحية .

ولعل أبرز ما يقابلنا فيما يكتب عن عقيدة السيخ ، تلك الاشارات التى تتحدث عن تأثير الاسلام ، بل وهناك من يجنح إلى اعتبار دعوة السيخ محاولة للتوحيد بين الهندوكية والاسلام . وبالطبع ذلك أمر يستحق أن نتوقف عنده قليلا ، خاصة وأن ذلك يتنافى تماماً مع أصول الفكر الاسلامى وتعاليمه .

فالمعروف تاريخياً أن الاسلام أخذ ينتشر فى الهند عن طريق التجار العرب الذين وصلوا فى فترة مبكرة إلى الموانىء الواقعة على السواحل الجنوبية لشبه القارة الهندية . وقد ساعد على سرعة انتشار الاسلام أن بعض هؤلاء التجار استوطنوا هناك مع أسرهم ، وأقاموا علاقات قوية مع الأهالى حتى أن بعض ملوك الهند استعانوا بهم فى إدارة دفة الحكم . ثم وصلت إلى الهند بعد ذلك طلائع الفتح العربى بقيادة محمد بن القاسم الثقفى سنة ٩٢ هـ (القرن الثامن الميلادى) . وسرعان ما شملت الفتوحات الاسلامية إقليم السند وجنوب البنغال والبنجاب ، وكان الجيش الاسلامى فى ذلك الوقت مكوناً من ٦٠٠٠ مجاهد وعدد مماثل من راكبى الابل ويتبعهم قطار من ٣٠٠٠ جمل تحمل مؤونة الجيش وعتاده .

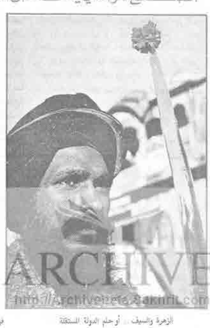
والمهم هنا أن أكثر هؤلاء الجنود ، استقروا هناك ـ بعد اتمام الفتح ـ مع أسرهم مثلما فعل بعض من سبقهم من التجار . وطبيعى أن يكون لهذا الاستقرار أثره فى جذب أعداد كبيرة إلى الدين الاسلامى بعد أن تعرفوا على طبيعته السمحة من خلال تعاملهم اليومى مع اتباعه من المجاهدين ، مثلما « حدث فى جنوب الهند » حيث اقبلت الطبقات المنبوذة والمستضعفة على اعتناق الاسلام ، الذى كان يمثل بالنسبة لهم المخلص من القيود الطبقية الصارمة التى فرضتها عليهم الديانة الهندوكية ، ولذلك نجد قبائل وطبقات بأكملها تندفع إلى اعتناق الدين الجديد (قبيلة تيان وطبقة تشرومن ـ أى حراث الأرض ـ وطبقة مكهة ـ ون ـ أى طبقة السماكين) .

ولم يتوقف الأمر بالنسبة للاسلام على جذب الطبقات المنبوذة ، فسرعان ما امتد أثره إلى بعض المفكرين الهنود نتيجة للزيارات والمناقشات التى كان يقوم بها علماء الاسلام من فقهاء وصوفية وفلاسفة ومتكلمين ، والتى أدت بزعماء ومفكرى الفكر الهندوكى إلى محاولات لاحياء وتجديد عقائدهم فى محاولة لمواجهة العقيدة الدينية الجديدة . ولهذا عرفت الفترة فيما بين القرن الحادى عشر وحتى نهاية القرن الثالث عشر برحلة إحياء الفكر الهندى ، ثم تلتها مباشرة فيما بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر مرحلة غلب عليها محاولة التوفيق بين العقائد المختلفة وخاصة الهندوكية والاسلام .

دعوات التوفيق الشعبية

وما يهمنا هنا هو المرحلة الثانية ، التى ظهرت

● كلمة السيخ معناها المريد أو التابع
● الدين لا يقتصر على الكلمات فقط ، والرجل الصالح هو الذي يعتقد أن الناس سواسية



الزهرة والسيف .. أو حلم الدولة المستقلة

فرسان السيخ .. أحفاد من قاوموا المستعمر فى منتصف القرن الماضى

فيها الفكرة السيخية قرب نهايتها ـ فى القرن الخامس عشر ـ وهى مرحلة اتسمت بخضم هائل من الصراعات العسكرية والاضطرابات الفكرية والتوتر السياسى ، خاصة بعد غزو تيمور لنك للهند عام ١٣٩٨ م .

ويعطينا د . الزكى صورة لتلك المرحلة ، حيث « .. نجد عدداً من الهندوك الذين دخلوا الاسلام يرتدون عنه لسبب أو لآخر ، كما نجد مسلمين لا يعرفون كيف يتخلصون من جذورهم الهندوكية ويبقون على ما هم عليه من تقاليد وعادات أبعد ما تكون عن الاسلام ، ومفكرين هندوك يكتبون عن الفكر الاسلامى والآداب الاسلامية باللغة الايرانية ، ومفكرين مسلمين يقومون بدراسات فلسفية وعلمية عن الفكر الهندوكى وشعراء هندوك يقرضون الشعر باللغة الأردية التى تجمع بين اللغة العربية واللغة الايرانية واللغة التركية واللغة السنسكريتية ، وشعراء مسلمين ينظمون القصيد باللغات الهندية بينما يتولى الهندوك المناصب العليا فى الولايات الاسلامية ، ويتولى المسلمون قيادة الجيوش فى الولايات الهندوكية » ..

إذن كان هذا الاضطراب والتفكك وذلك القلق والتوتر هو ما دفع إلى ظهور محاولات متعددة ـ من المسلمين والهندوك ـ للتقريب بين الاتجاهين . إلا أن تلك المحاولات لم يقدر لها الاستمرار لأسباب من أهمها تراجع من أقدم عليها من المسلمين لتعارضها أساساً مع جوهر الدين الاسلامى ، وأيضاً اتجاه صاحب كل دعوة إلى تمجيد دينه والحط من شأن العقائد الأخرى .

والمهم أن محاولات التوحيد والتقريب تشعبت إلى اتجاهين ، أولهما اتجاه فكرى فلسفى انحصر فى دوائر المثقفين ، والثانى « نبع من نزعات شعبية تستميل عواطف سواد الناس بالأسطورة والشعر » وقد لعب شعراء بهاكتى وقادة المهراتا دوراً هاماً فى التأثير على العامة . وقد كان هذا الاتجاه هو الرحم الذى خرج منه ناناك ، الذى يدعى السيخ أنه نبيهم !

ولعل أكثر هذه الحركات تأثيراً كانت حركة بهاكتي ومعناها الحب والعشق ، وكانت ترى أن « الدين الحقيقى هو الحياة الروحية التى تمتاز بفعالية فياضة غايتها أولاً وقبل كل شىء الله ،

السيخ

من الغناء على القيثارة إلى السيف والعنف!

ولا شيء سوى الله ، وأن أمثل الطرق للوصول إلى (الله) ليست العبادات والشعائر والطقوس والمراسم وإنما هي الحب والعشق والوجد والتذوق » .

وفى نفس الاتجاه ظهر فى القرن الثاني عشر المصلح الهندى الشاعر (جيديف) وبعده بقرنين ظهر المصلح (رامانادا) وأسس فرقة دينية . وكان من نصيب تلميذه (كابير) (١٤٤٠ — ١٥١٨) أن يكمل المشوار . وقد أخذ عن المسلمين كراهيتهم للأصنام . كما أن اللاحظ فى كل هذه الدعوات تأثرها بفكرتى التوحيد والتنزيه الاسلاميتين ، كما لا تكاد تخلو أية واحدة منها من عناصر تصوفية اسلامية . كما يجمع بين كل هؤلاء الدعاة اعتمادهم على الشعر والأناشيد الدينية فى نشر دعواتهم .

أسطورة ناناك

وسط هذا المناخ العام ولد ناناك (١٤٦٩ — ١٥٣٨) فى تالواندى التى تبعد حوالى ثلاثين ميلا من لاهور (عاصمة إقليم البنجاب التى كانت تحت السيطرة الاسلامية فى ذلك الوقت) لأبوين من الهندوك ينتميان إلى طبقة تجارية محلية يطلق عليها خاتى ، وهى تنحدر من طبقة الكشتاريا القديمة .

ولم يكن المناخ العام هو المؤثر الوحيد نحو ما اتجه إليه تفكير ناناك ، إذ سوف نجد أيضاً أن حاكم تالواندى — وقت مولده — واسمه راى بولر كان من أصل هندوكى ولكنه تحول إلى الاسلام : إلا أنه ظل متسامحاً حيال تابعى عقيدته القديمة ، وكان يشجع أية محاولة للتقريب بين العقيدتين . ويمكن أن نضيف إلى ذلك اعتناق صديقه ماردانا — الذى ظل مصاحباً له — للاسلام .

وفيما عدا ما يحيط بحياته من تقديس وما يروى عنه من حكايات أسطورية ، لانجد فى حياته أى شيء يثير الانتباه . وكل ما نعرفه عن ناناك أنه كان شاعراً بالسليقة ، وكان يميل إلى التأمل . وهناك ما يروى عن فشله فى ممارسة أى عمل ، حتى أنه اضطر تحت ضغط من عمه إلى ترك زوجته وطفليه والسفر إلى العاصمة للعمل ، إلا أنه كان هناك أيضاً يمضى الليل يرتل التراتيم الدينية لخالقه .

ومع تحوله للدعوة إلى الدين الجديد نجد بعض الروايات التى تحتفظ بها كتابات السيخ ، والتى تنسج ما من شأنه رفعه إلى مرتبة رفيعة .

ومن ذلك ما يروى عن ادعائه بتلقى الوحى ، إذ تروى مصادر السيخ أن قدميه قادتاه يوماً — بعد أن اغتسل بمياه النهر المقدسة — إلى احدى الغابات حيث اختفى لمدة ثلاثة أيام . أما ما حدث أثناء ذلك . فيدعون أنه ظهر له الرب . « أنا معك ، سأجعلك وكل من يتبعك فى سعادة ، اذهب واذكرنى ، وادع الآخرين لذلك ، كن طاهراً ، وأذكر اسمى دائماً ، تصدق وتأمل ، اعطيك هذا الكأس الملىء بالمياه المقدسة وعد برعايتى لك » .

وأمام رهبة الموقف نطق ناناك بمقدمة الجابجى أو العبارة المقدسة التى يكررها كل صباح — حتى اليوم — وفى صمت كل فرد من أتباع السيخ . « ليس هناك سوى الله الواحد ، اسمه الحقيقة : الخالق ، لا يعرف الخوف ولا البغضاء ، خالد ، لم يولد ، موجود بذاته ، عظيم وكريم » .

« الواحد الحق منذ البداية ، الواحد الحق منذ الأزل » .

« الواحد الحق يكون ، وكان ، وأيضاً سيكون ، الواحد الحق دائماً موجود » .

أما بعد عودته من الغابة فقد ظل صامتاً ليوم كامل ، وفى اليوم التالى نطق بعبارة واحدة : « ليس هناك هندى ولا مسلم » .

وبعد هذه الحادثة قضى ناناك سنوات متنقلا بين المناطق المقدسة الرئيسية للحجاج الهنود (هاردوار ودلهى وبينارس والمناطق المقدسة فى الهيمالايا . منشدا فى الأسواق والميادين العامة تراتيله الدينية ، ويصاحبه عازفا صديقه الأمين ماردانا . وقد استطاع أن يجمع حوله العديد من أفراد طبقة الجات التى تنتمى إلى طائفة الشودرا التى تعمل بالزراعة ، وأطلق على كل من يتبعه اسم سيخ وهى كلمة سنسكريتية تعنى المريد أو التابع .

والطريف أن ناناك اعد لنفسه زيا معينا يتلائم وطبيعة دعوته ، فكان يرتدى حلة ملونة توضح فكرته لجمع الديانتين ، جاكيت ملون وفوقه ملاءة بيضاء ، وعلى رأسه عمامة ضخمة ، وعقد من العظام ، بينما وضع على جبهته علامة كالهنود .

وفى اكتوبر ١٥٣٨ توفى ناناك ، ويتحول موته إلى اسطورة مصطنعة يتوارثها السيخ ، فيروى أنه حين حضرته الوفاة تجمع حوله السيخ واختلفوا بشأن طريقة دفنه ، فقال السيخ من أصل هندوكى بضرورة حرقه ، وقال السيخ من أصل اسلامى بوجوب دفنه ، فما كان منه إلا أن طلب احضار زهور وورود وقسمها بين الفريقين ، وطلب من الهندوك أن يضعوا الزهور عن يمينه ، ومن المسلمين أن يضعوها عن يساره ، ثم طلب من الجميع أن يغطوه ومعه الزهور حتى الصباح ، وحين عودتهم لو وجدوا الزهور على حالها فلأصحابها ان يدفنوه طبقاً لعاداتهم . وبالفعل تم الأمر على ذلك النحو ، ولكن عندما رفع الغطاء صباح اليوم التالى وجدوا الزهور والورود على الجانبين وقد ازهرت بينما اختفى جسد ناناك !

وهكذا اضفت الأساطير المصطنعة والحكايات الشعبية حول شخص ناناك ما عبر عن دعوته إلى نبذ أى خلافات بين العقيدة الهندوكية والديانة الاسلامية ، وكما رأينا عند اسلافه من دعاة التوفيق فقد أخذ عن الاسلام فكرة التنزيه ، والدعوة إلى المساواة ، حيث كان دائماً يؤكد على أن الدين « لا يقتصر على الكلمات فقط والرجل الصالح هو الذى يعتقد أن كل الناس سواسية » . ولقد كان هذا التأكيد هو سر ازدياد اتباعه المستمر من بين الطبقات المنبوذة والمضطهدة .

بدايات التحول

وبعد وفاة ناناك تولى قيادة اتباعه — على التوالى — تسعة رؤساء رسميين اطلق على الواحد منهم لقب جورو ، وتعنى الأستاذ أو المعلم . وقد ظل السيخ تحت قيادة الثلاثة الأوائل من الجورو ، أو حتى نهاية عهد جورو آمار داس (١٥٥٢ — ١٥٧٤) يتبعون تعاليم ناناك ويباشرون حياتهم الزراعية والاجتماعية والدينية فى هدوء وسلام حتى كان عهد الجورو راس دام (١٥٧٥ — ١٥٨١) حين بدأت ارهاصات التحول التى سوف تدفع بجماعتهم إلى أخذ صبغة سياسية ، اذ نجح هذا الجورو فى إقناع سلطان المغول (أكبر) بأن يمنحهم قطعة أرض تطل على بحيرة آمريتسار (أى بحيرة الخالدين) وهى التى اتخذ منها السيخ بعد ذلك نواة لعاصمتهم التى أخذ ينتشر فيها العمران وتحولت إلى مركز يتجمع فيه الاتباع . وتروى أساطير السيخ أن رام داس اختار هذا الموقع عام ١٥٧٧ عندما شاهد فيه بركة عطرة الرائحة يحط عليها عصفور مكسور الجناح فما لبث أن طار ، كما أن أى غراب يحط عليها يتحول إلى بجعة جميلة ! هذا فضلا عن قدرة مائها على شفاء بعض الأمراض . أما فى وسط تلك البحيرة فيقع المعبد الذهبي — الذى شاهد أحداث عنف فى الشهور الماضية — وبداخله الهيكل المرصع بالجواهر النفيسة ، إلا أنه لا يحوى سوى كتابهم المقدس (الجرانث) ويطوف حوله الحجاج وهم يستمعون إلى التلاوات المصحوبة بالعزف الموسيقى الذى لا يتوقف ليلا أو نهاراً منذ أربعمائة عام . ويقع بداخل المعبد أكبر مطبخ فى العالم . إذ يطعم حوالى عشرة آلاف انسان كل يوم دون نظر لجنسه أو لونه أو دينه .

وجاء دور القوة

وإذا كان الحصول على قطعة الأرض يمثل بداية مرحلة جديدة فى تاريخ السيخ فان الفترة التى تولى فيها الجورو الخامس ، ارجان مال (١٥٨١ — ١٦٠٦) تمثل علامة انتقال جديدة ذات سمات اقتصادية وعسكرية . فى عهده استطاع أن يحدث

تحولا خطيراً فى النظام الاقتصادى لجماعة السيخ عن طريق اهتمامه بتجارة الجياد التى كانت تحقق ثروات طائلة آنذاك ، مما ساعد على ظهور طبقة تجارية داخل المجتمع السيخى الذى كان يعتمد على الزراعة إلى وقت قريب ، كما استطاع أن يوفر لجماعته ما يحتاجه من أموال عن طريق هبات الأتباع التى تحولت فيما بعد إلى ضرائب ينظم جبايتها ويحدد مقدارها قوانين عامة .

وقد ازداد نفوذ ارجان مال وقويت شوكته حتى أن خسرو لجأ إليه عندما تمرد على أبيه سليم بعد موت السلطان أكبر ـ الذى كانت بينه وبين ارجان علاقة مودة ـ ولم يتردد ارجان مال فى مد خسرو بالمال والرجال تحت تأثير بعض التطلعات السياسية ، إلا أن النصر كان حليف سليم الذى تولى حكم المغول تحت اسم جيهان جير (١٦٠٥ ـ ١٦٢٨) وبالطبع كان أول ما فعله بعد أن تولى الحكم هو اصدار قرار باعدام ارجان مال (اعدم فى ١٦٠٦) الذى يعتبره السيخ الآن أول شهدائهم .

ولكن ارجان كان قد نجح فى وضع اللبنة الأولى فى نقطة التحول الهامة لجماعة السيخ ، حيث ترك وصية لابنه هارجوفيند بأن يؤسس جيشاً ويعتمد على استخدام السلاح .

الحروب المستمرة

وعند تنصيب الجورو هارجوفيند (١٦٠٦ ـ ١٦٤٥) رفض ارتداء العمامة والعقد وهما التقليد الذى وصل إليه من اسلافه ، وأعلن بصراحة ، أن عقدى سيكون حزام السيف وعمامتى سوف تزين بزهور ملكية ، وهى عبارة تشير إلى اصراره على إنشاء دولة للسيخ عن طريق القوة .

ولم يضع الوقت فأحاط نفسه بحراس مسلحين ، وبدأ يعد نواة الجيش . وقد ساعده على المضي بثقة لتحقيق احلامه الثراء الذى أصبح يتمتع به السيخ بفضل التحول الاقتصادى الذى احدثه ارجان مال ، ووجود المعبد والعاصمة الذى اعطى أفراد السيخ الشعور القومى بأنهم يمثلون حقيقة إجتماعية وسياسية واقتصادية . وقد قضى هارجوفيند حياته كلها فى معارك مستمرة ضد امبراطورية المغول ، حتى اطاح الامبراطور أوربخزيب برأسه عام ١٦٧٥ .

واستمر القتال بين المغول والسيخ حتى عهد الجورو التاسع ـ أو العاشر على أساس أن ناناك هو الجورو الأول ـ جوفيند سينج (١٦٧٥ ـ ١٧٠٨) وقد كان حذراً فى اقدامه على مقاتلة المغول رغم أنه تلقى تربية عسكرية ، ورغم أن الشعور

● فى المعبد الذهبي يوجد أكبر مطبخ في العالم ، وهو المطبخ الذي يُطعم عشرة آلاف إنسان كل يوم .. مجاناً

● كيف تحوّل السيخ إلى العنف وقرروا استخدام السيف ؟!

العام لابناء طائفته كان متشوقاً لاقامة الدولة المستقلة . وقد قدم لتراث السيخ الدينى بعض القصائد المكتوبة بطريقة الجورو إلا أنه كان يغلب عليها الروح العسكرى .

السيف .. تقليد جديد

ولعل أهم ما قدمه جوفيند سينج للنظام العسكرى السيخى هو ما يعرف باسم (معمودية السيف) وهى عملية تعتمد على طقس دينى غريب كان له فضل وضع أسسه التى يعتقد ـ واتباعه من بعده ـ أنها تمت بوحى من الله . فذات يوم أحضر خمسة من اتباعه المخلصين وصب الماء فى طشت حديدى وأخذ يحركه بسيفه ، ثم خلط الماء بحلوى هندية ، وأعطى لكل منهم قليلاً من ذلك الماء ليشربه . وبعد ذلك أخذ يرش بذلك الماء خمس مرات على شعر وعيون كل منهم . وهكذا عمد كلا منهم لحياة جديدة ، وما عليهم بعد ذلك إلا أن يصيحوا صيحة الحرب المقدسة (النقاء لله والنصر لله) .

وهؤلاء الرجال يشكلون بعد تعميدهم مجموعة الخالسا أو الأنقياء ، ويحمل كل منهم لقب سينج أى الأسد . وهم يتمتعون بالكافات الخمسة .

١ ـ الكسى : الشعر الطويل للرأس والذقن .
٢ ـ الكانجا : وتعنى وضع مشط صغير فى الشعر .
٣ ـ الكاشك : وهو ارتداء السروال القصير .
٤ ـ الكارا : أو ارتداء معصم معدنى .
٥ ـ الكاندا وهو الخنجر .

مملكة السيخ الأولى

وبانتهاء عهد جوفيند سينج الذى قتل هو وأولاده جميعاً خلال حروبهم المتواصلة مع جيوش المغول اختتمت ذرية زعماء السيخ ، واكتفوا بكتابهم المقدس جرانث الذى تم جمعه فى عهد الجورو ارجان مال ، وهم يخاطبونه الآن على أنه داعية على قيد الحياة ويغطونه بالكسوة عند حلول كل مساء حيث يقبع داخل المعبد الذهبى .

وقد لجأ معظم السيخ بعد ذلك إلى سفوح جبال الهملايا حتى أوائل القرن التاسع عشر حين هبطوا إلى سهول البنجاب ، واستطاعوا أن يسيطروا على منطقة تمتد إلى ولاية كشمير ومدينة لاهور حيث نجح رنجيت سينج فى تأسيس دولة للسيخ ظلت قائمة حتى ضمتها بريطانيا إلى حكمها بعد حربين فى عامى ١٨٤٥ ، ١٨٤٨ .

ولا تزال حتى الآن هناك بقايا من ابناء طائفة النيهانج أى التمساح التى قاومت الانجليز تعيش بالقرب من مدينة امريتسار ، وتنعى على الانجليز تقويضهم لملكتهم . ومازالوا يرتدون ملابس اسلافهم ، العمامة الضخمة الزرقاء ، ويحملون الرماح والسيوف الطويلة ، وتقع عليهم الآن مهمة حماية المعابد . ومازالت الدعوة لاحياء مملكة رنجيت سينج هى الحلم الذى يعمل على تحقيقه حزب (أكالى دال) الموجود حالياً بالهند ، بجانب جمعية (خالسا دال) التى تعمل على احياء تقاليد الأنقياء أو جماعات الخالسا .

وهكذا تبدو لنا عقيدة السيخ ، واحدة من الاتجاهات الفكرية المتأثرة بالاسلام دون تعمق ودراسة ، وخاتمة لمحاولات التوفيق بين العقائد ، لم تتعرف على الاسلام بما فيه الكفاية . وأصابها الشك فى عقيدة اسلافها ، فكان الحلم بتوحيد الأديان عن طريق الغناء ، فإذا بها تتحول إلى عقيدة جديدة ترفع السيف بدلا من القيثارة .

شفيق العمروسي

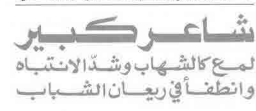
المراجع :

١ ـ سيد عبد المجيد بكر ، الاقليات المسلمة فى آسيا واستراليا ، رابطة العالم الاسلامى
مكة المكرمة ـ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م .

٢ ـ د . عبد العزيز محمد الزكى ، الفكر الهندى من الهندوكية إلى الاسلام ، (مقال)
عالم الفكر ـ المجلد السادس ، العدد الثانى ـ الكويت ١٩٧٥ .

٣ ـ عبد الرحمن حمدى ، الهند .. عقائدها واساطيرها ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨ .





بقلم: رابح لطفي جمعة

أبو القاسم الشابى

لقد أسعدتنى الظروف أن حضرت وشاركت فى احتفال تونس خلال الفترة من ٩ إلى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٨٤ بمرور خمسين عاماً على وفاة شاعرنا المرحوم أبى القاسم الشابى وذلك بولاية توزر مسقط رأس الشاعر حيث درج فى طفولته بين روابيها ونخيلها ومسارب المياه الجارية.

وقد شارك فى هذا الاحتفال وفود من البلاد العربية فحضر عن دولة الكويت الدكتور جابر عصفور الأستاذ بجامعة الكويت ومن المملكة العربية السعودية الأستاذ عبد الله محمد الغذامى الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز ومن مصر الدكتور مختار الوكيل والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى والدكتور عبد العزيز شرف وكاتب هذه الأسطر، كما شاركت فى الاحتفال وفود من المملكة الأردنية الهاشمية ومن المغرب والجزائر وليبيا والسودان وغيرها من الأقطار العربية، كما حضره بعض المستشرقين من انجلترا وأمريكا وايطاليا، فضلا عن أدباء ونقاد وشعراء تونس نفسها. وقد تناول المشاركون فى هذا الاحتفال الشاعر التونسى من جوانب متعددة وألقوا الأضواء على نواح مختلفة من حياته وشعره.

وقد نجح هذا المهرجان الأدبى الكبير الذى كان أشبه بسوق من أسواق الأدب عند العرب نجاحاً عظيماً بفضل الجهود الموفقة التى بذلها المسئولون عن إقامته وتنظيمه وفى مقدمتهم المفكر الكبير الأستاذ محمد مزالى الوزير الأول وصاحب مجلة الفكر التونسية والأستاذ الأديب البشير بن سلامة وزير الشئون الثقافية والدكتور محمد الطالبى رئيس اللجنة الثقافية القومية. ومن المنتظر أن تطبع جميع الدراسات والبحوث التى ألقيت فى هذا المهرجان لتكون وثيقة تاريخية شاهدة على اعتراف الشعوب العربية واحتفائها بشاعر قد وهبه الله قيثارة ذات أوتار ذهبية فعزف عليها أعذب الألحان وأشجى الانغام فأطرب وأعجب.

الشابى بداية مرحلة جديدة فى الشعر التونسى الحديث

والواقع من الأمر أن ظهور الشابى على مسرح الحياة الأدبية فى تونس فى الثلاثينات من هذا القرن العشرين يعتبر بحق بداية مرحلة جديدة فى الشعر التونسى المعاصر، فقد لمع كالشهاب الشارق فى سماء الشعر العربى وشد الانتباه والأسماع إليه ثم لم يلبث أن انطفأ نوره وناره وهو فى ريعان الشباب وضحوة العمر لم يتجاوز الخامسة والعشرين ربيعاً (١٩٠٩ — ١٩٣٤).

وليس معنى قولنا إن ظهور الشابى يعتبر بداية مرحلة جديدة فى الشعر التونسى المعاصر — أن المغرب العربى لم ينجب شعراء مبدعين قبل الشابى كابن زيدون والحصرى القيروانى وابن هانى وابن خفاجة الأندلسى وغيرهم، وإنما نعنى بذلك أن ظهور الشابى كان علامة بارزة فى مسيرة الشعر التونسى الحديث وبداية جديدة لانطلاقة نحو الشعر العصرى فى طريق التجديد والابتكار سواء فى الشكل أو المضمون، فبعد أن كان الشعر التونسى يدور حول الأغراض التقليدية المعروفة من مدح ورثاء ووصف وغزل وفخر وهجاء كما نجد فى شعر محمود قابادو ومحمد الشاذلى خزندار وغيرهما، نقل الشابى الشعر التونسى نقلة هائلة الى آفاق أوسع رحاباً وأغوار أبعد أعماقاً وانتحى نحو الاتجاه الوطنى ونزع إلى رومانسية ثورية إن صح هذا التعبير.

لم يعرف المشرق العربى أبا القاسم الشابى إلا سنة ١٩٣٢ عندما نشر قصيدته المشهورة «صلاة فى هيكل الحب» بمجلة أبولو التى حملت اسم جماعة أبولو على عهد مؤسسها المرحوم الشاعر أحمد زكى أبو شادى، وكم كانت لفتة طيبة كريمة تدل على الوفاء والعرفان من القائمين على تنظيم الاحتفال أن نرى صورة الشاعر المصرى أبى شادى مكبرة ومعلقة بمتحف الشابى بمدينة توزر والذى يضم جميع آثاره وجميع ما ألف عنه من كتب أو دراسات أو رسائل جامعية أو مقالات نشرت بالمجلات الأدبية فى أنحاء العالم العربى.

لقد شد الشابى أسماع الأدباء والشعراء والنقاد فى مصر عقب نشر قصيدته التى أشرنا إليها وما تلاها من قصائد أخرى مبكرة وأدرك جميع من قرأوا له أنهم يستمعون إلى صوت جديد قادم من المغرب العربى، جديد فى نبرته وإيقاعه، متميز بأصالته وجدته، سواء فى شكله أو مضمونه، وبدأ اسم الشابى يتردد على ألسنة الشعراء وأقلام النقاد فى مصر خاصة وأن أشعاره التى نشرت وذاعت بعد ذلك فى المشرق العربى كانت تبشر بشاعر واعد يرجى منه المزيد من العطاء.

فقد كان المرجو أن يظل الشاعر يعزف على قيثارته أعذب ألحانه وأشجى أنغامه ويثرى خميلة الشعر بأخيلته ومعانيه ورؤاه المجنحة لولا أن شاءت إرادة الله أن يقضى نحبه نتيجة لمرضه بتضخم القلب فى ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٤، ومن هنا لم يعط الشابى الأدب واللغة العربية والشعر العربى كل ما كان مستعداً لاعطائه. مثله فى ذلك مثل النجم الذى لم يستخرج كل ذهبه بل بقيت ناحيات من ذلك المنجم بكراً لم تمسسها يد، فذهب وبعضه — إن لم يكن معظمه — مجهول لنفسه ولمعاصرية.

هل كان الشابى شاعراً رومانســياً خالصاً؟

لقد أجمع كل من كتب عن الشابى أمثال رجاء النقاش وأبى القاسم كرو وزين العابدين السنوسى وعمر فروخ وايليا حاوى ونعمات أحمد فؤاد ومحمد صالح الجابرى وخليفة التليسى ومحمد الشتيوى وعبد اللطيف شرارة وعبد المنعم خفاجة وعبد اللطيف السحرتى ومحمد لطفى جمعه وغيرهم — على أن الشابى شاعر رومانسي بكل ما تعني الرومانسية من سمات وخصائص معروفة أو

متعارف عليها .

ولكن هل كان الشابي شاعراً رومانسياً خالصاً بكل ما تنطوى عليه الرومانسية من انفعالات عاطفية ومعاناة وكآبة وآلام وضيق وشعور بالغربة والضياع ولواذ بالوحدة وهيام بالطبيعة واستغراق فى أحضانها ورجوع إلى الماضي واجترار للذكريات وتهويم فى عوالم من الرؤى وأحلام اليقظة وشفافية روحانية تمازجها لمحات من الأذواق والمواجيد الصوفية ؟

الحقيقة أنه يبدو من العسير أن ندرج الشابى ضمن الشعراء الرومانسيين الخالصين ، وانما يمكننا القول بأنه كان رومانسياً من نوع فريد ومن طراز يعتبر نسيج وحده ، استطاع أن يشق لنفسه طريقاً متميزاً بين سائر الشعراء الرومانسيين ، جمع فيه بين الرومانسية والواقعية فى آن واحد ، وهنا يكمن سر عبقرية الشابي وتفرده عن سائر الشعراء الرومانسيين ، ومن هنا أيضاً فاننا نعتبر ظهور الشابى بداية لمرحلة جديدة من مراحل الشعر التونسى المعاصر حتى ليمكننا أن نطلق على هذه المرحلة اسم « عصر الشابى » .

فالشابى لم يعش فى برج عاجي ولم يسكن قوقعة حبس فيها نفسه ، ولم يغلق على نفسه قمقماً عزله عن الحياة والناس وما يضطرب فى هذه الحياة من صراعات ومتناقضات ، وإنما خرج من حصار النفس ونطاق الذات إلى رحاب المجتمع وآفاق الحياة الرحبة الواسعة ، واستطاع أن يمزج بين النزعة الفردية التى يتميز بها التيار الرومانسي وبين الموضوعية التى يتميز بها التيار الواقعي ، وعاش مشكلات عصره وقضايا وطنه بكل ما تعنى به كلمة المعايشة ، فمازج بين الفن الذاتى وبين الابداع الاجتماعي ، فقد كان واقفاً على أحوال شعبه الراسف فى أغلال الأسر والقهر الرازح تحت أثقال التخلف السياسى والاجتماعى ، وكان واعياً تمام الوعي لكل ما يدور حوله من صراع مرير وكفاح بطولي بين الشعب الأعزل والمستعمر الأجنبى المسلح بالحديد والنار ، ينفعل بالأحداث ويتفاعل معها بل وقد يشترك فيها اشتراكاً إيجابياً ، وقد انعكس كل هذا الانفتاح على الحياة والمجتمع على مانظمه من أشعار تدور حول إرادة الحياة عند الشعوب وحول الحرية والانعتاق والانطلاق من قبضة العبودية والقهر : فهو فى قصيدته « تونس الجميلة » من ديوانه أغانى الحياة يبشر باندحار الظلام أمام فجر الحرية ويقول :

إن ذا عصر ظلمة غير أني
من وراء الظلام شمت صباحه
ضيع الدهر مجد شعبي ولكن
سترد الحياة يوماً وشاحه

رابح لطفى جمعه

سلمى الأسوانية تثير بعض القضايا الأدبية

بقلم : عباس خضر

هما قضيتان : الأولى شهرة الأديب وما يحيط بها وعدم شهرته وما يجنيه هذا العدم ، لا على صاحبه فقط ، بل كذلك على إنتاجه وعلى القراء من حيث عدم وصولهم إلى الانتاج والاستمتاع الأدبى به .

هل المسألة « حظ » أو كما يقال « أرزاق » ؟ ربما كان ذلك . وعلى أية حال ليست الأسباب موضوعنا الآن .

لست أنكر على المشهور شهرته ، ولست أنكر جدارته بهذه الشهرة ، وإن كان بعضهم جديرا بالإنكار ، من حيث أنه نال أكثر مما يستحق ، وسبحان الذى « يعطى الحلق للى بلا ودان » كما يقول المثل الدارج .

والقضية الثانية أشرت إليها فى كلمة سبقت بمجلة الدوحة تحت عنوان « أدب سياحى » قلت فيها إن الأدب الصادق انما يتأتى ممن نبت فى البيئة التى عبر عنها ، لا عن طارىء « سائح » واستشهدت على ذلك برواية « سلمى الأسوانية » لعبد الوهاب الأسوانى ، التى صدرت فى القاهرة من نحو خمسة عشر عاماً .

أين عبد الوهاب الأسوانى الآن ؟ لا حس ولا خبر .. أغلب الظن أن دوامة الحياة واكتساب الرزق قد استوليا عليه .

عادل كامل

مثل كاتب كان زميلا لنجيب محفوظ ، مزامناً له ، وكان يحفر معه الصخر لكى يحييا فن الرواية العربية الحديثة أو عملا على تطورها والارتقاء بها ، وأصدر رواية « مليم الأكبر » وكتب لها مقدمة طويلة صب فيها جام غضبه على المجمع اللغوى ، لأنه لم يمنحها الجائزة .. ربما كان ذلك لأنها تصور بؤس البطل ومعاناته شظف العيش فى عصر فاروق ، وكان يقال اذ ذاك فى مثل هذا العمل إنه يدعو إلى المبادىء الهدامة !

ثم اختفى عادل كامل (اسم الكاتب) من عالم الأدب ، وانغمر فى لجة النسيان !

فهل هذا هو حظ صاحبنا عبد الوهاب الأسوانى ؟ أرجو ألا يكون . كان شاباً واعداً عندما كتب « سلمى الأسوانية » وقدمها لنادى القصة فى القاهرة ، ونالت جائزة النادى ، وكان كاتب هذا أحد المحكمين والفاحصين لهذه الجائزة .

عمل أدبى ناضج

أقول : كان « واعدا » والحق أنه كان منجزاً .. أخرج عملا أدبياً ناضجاً أعظم النضج ، هو هذه الرواية « سلمى الأسوانية » وهى تصور البيئة النوبية التى كانت تقع على شاطىء النيل جنوب مدينة أسوان ، وأغرقتها المياه المتجمعة خلف السد العالى ، تصور الرواية هذه البيئة أدق تصوير ، وتعبر عن أهلها وهمومهم وأفراحهم أصدق تعبير ، كما صنع شعراء العصر الجاهلى فى عصرهم وبيئتهم .

وطبيعى أن نرى فى الرواية ظلالا لشخصية المؤلف نفسه ، فهو من النوبة وإليها ينتمى ، وهذا واضح من اسمه (عبد الوهاب الأسوانى) وأرى أن هذا من أسباب نجحه فى هذه الباكورة ، إلى جانب موهبته واقتداره على التعبير وثقافته .

يسوق الحكى فيها على لسان البطل الذى يقول : إن والده استدعاه من الاسكندرية حيث حصل على وظيفة فيها بعد أن تخرج فى الجامعة ـ استدعاه ببرقية يطلب فيها منه الحضور فوراً ..

سلمى الأسوانية تثير بعض القضايا الأدبية

عار الأسرة

لبى مصطفى (وهذا اسمه) دعوة أبيه ، فحضر ، ثم علم السبب .. وهو أن ينقذ الأسرة من العار الذى قد يلحقها إذا لم يفعل ما يراد منه !

ابنة عمه « سلمى » زفت إلى شاب أهوج من قبيلة « البراطيم » شفع له مركز أسرته التى منها العمدة فى الزواج من سلمى . وفى ليلة الزفاف خرج يصيح فى لوثة أنه وجدها غير عذراء ! واتفقت الأسرة على أن تبرئ لمصطفى ليحضر ويتزوج من سلمى .. ولم يرض أبوه أن يتزوجها شاب آخر غير ولده مصطفى ..

ذهل مصطفى .. الأسرة يتهددها العار ، لن يستطيع أحد من رجالها أن يرفع رأسه أو يخاطب أحداً أو يغشى مجلساً ، الأسرة أسرته التى أعطته الفرصة للتعليم والرقى ..

حقاً ان سلمى جميلة .. ولكن عقله وأفكاره الحديثة لا تطلب الجمال وحده ، لابد من أشياء أخرى تساعد الجمال ، كيف يتزوج محمد ممن لم تفتح كتاباً أو مجلة ، كيف يصطحبها إلى الاسكندرية ويتبادل وإياها زيارة الأصدقاء والزملاء وزوجاتهم ؟ كيف يسلم من ألسنتهم إذا رأوها تجر ملاءتها المصنوعة من صوف النعاج والتى تسحب وراءها التراب ؟

سلمى ونادية

شتان ما بين سلمى وبين نادية التى خطبها فى الاسكندرية .. نادية التى تناقش معه الكتاب الذى يقرآنه ، وتقول رأيها فى الفيلم الذى يشاهدانه ، وتتذوق الموسيقى الشرقية والغربية ، وتطرب لبيت جيد من الشعر .

رفض هذا الزواج الغريب ، ووقع فى حيرة ما بعدها حيرة .. ويغضب الأب . ويستمر الصراع بينهما ، وبين مصطفى ونفسه من جهة أخرى .. حتى ينتهى فى آخر الأمر بالزواج الذى لا مفر منه .. وفى الختام يهمس له أحدهم قائلا :

ـ مادمت قد (دخلت) على بنت عمك .. فلا عار عليك بعد الآن إن تركتها لتتزوج من غيرك ! لكن هل تظن أن البحراويات (بنات بحرى) أجمل منها ؟ على الطلاق هى أجمل !

وفى خلال ذلك يعرض علينا المؤلف أنماطاً وألواناً من عادات النوبيين وأخلاقهم ومشاحناتهم وأفراحهم بأسلوب روائى سليم . ومن أعجب ما جرى احتفاؤهم بالعرس ، يقول فى وصف الزفة :

« وتحرك موكب الزفة صوب بيت عمى .. الشبان يحيطون بى فى المقدمة وقد حملوا النبابيت



عبد الوهاب الأسوانى

المخضبه بالحناء .. والسيدات فى الخلف بدفوفهن وزغاريدهن .. ولم يكن معنا من الشيوخ غير بضعة أفراد من بينهم عم عبد الله الذى همس فى أذنى قائلا :

ـ فى بعض البلاد الأخرى العروسة هى التى تزف إلى (العريس) وكأنها نعجة ! »

لن نسلم العريس

وكان الشبان يرددون وراء منشدهم :

« زين الشامات نمدح الله » .

وقال أحد الشبان وهو يمسك بنبوته وكأنه يستعد للقتال :

ـ لن تسلم العريس ولو استعملنا القوة !

ويقول عم عبد الله هامساً للعريس :

ـ أحمد ربنا لأن العروسة من قبيلتك .. لو كانت العروسة من قبيلة أخرى لتصدى لك شبانها وطلبوا منك أن تسلم نفسك وإلا فليس هناك حل غير النبوت !

عندما يقترب موعد العرس تجرى الدعوة هكذا :

يتقدم الواحد من الشباب من باب المدعو ويقول بطريقة تقليدية :

ـ يا هووه !

فيرد عليه صوت من الداخل (حريمى غالبا) :

ـ الله هوه !

ـ تفضلوا عند الشيخ عثمان أبو عبد المعطى !

فيجيبه الصوت !

ـ يتمم بخير !

يوم الزفاف

كأنى من هذه الرواية فى بستان أحار ماذا آخذ من ثماره وماذا أدع .. ماذا أقدم لك من هذه الثمرات الطيبات ؟ خذ هذه :

يوم الزفاف تقدم العريس ، من باب البيت الذى فيه العروس ، ووقف أمام حجرة علق على بابها طبق صغير من الصينى ، وقال له ابن عمه :

ـ اسحب السيف ؟

يقول العريس :

فسحبت السيف وقلت : بسم الله . ثم ضربت طبق الصينى بطرف السيف ثلاث ضربات خفيفة .. وفتح الباب ، فدخلت وحدى ، وصاح الشبان من الخارج بنشيدهم :

« زين الشامات نمدح الله » .

وجدت نفسى فى حجرة واسعة داخلها حجرة أخرى صغيرة ، فى الحجرة الداخلية وقفت سلمى ومعها امرأة عجوز . كانت سلمى ترتدى ثوباً أسود شفافاً يكشف عن لون الثوب الأحمر اللامع الذى تحته ، وتضع على رأسها شالا أصفر اللون . تقدمت منها وسلمت عليها وأعطيتها ورقة مالية من فئة الجنيه . تناولت الجنيه دون أن ترفع أهدابها ، واستدرت لأخرج ، ولكن المرأة قالت لى :

ـ أين العادة يا خالة ؟

فأعطيتها ورقة من فئة نصف الجنيه .

ثم خرج العريس وذهب به الشبان إلى البحر : النيل . وضع يده اليمنى فى الماء ، أخذ رشفة فى فمه كما علموه ، وحذره ابن عمه أن ترشه العروس قبل أن يرشها ، فلما وقف قبالتها وهى فى صف النساء فوجىء بالماء يغمر وجهه .. غلبته العروس ، نصر الله النساء كما قالت إحدى النسوة !

البيت النوبى

ويصف المؤلف أحد بيوت القرية النوبية فيقول على لسان البطل : كان البيت يتكون من فناء واسع تتوسطه نخلة عالية .. وفى الجهة الغربية منه قامت ثلاث حجرات واسعة ، داخل كل حجرة حجرة أخرى .. هذه الحجرات تستعمل للمبيت فى الشتاء . وعلى طول الجدار الجنوبى ارتفعت سقيفة أمامها أربعة أعمدة روعى فيها أن تكون أعلى من ارتفاع البيت كله بحوالى نصف متر لتتصيد كل نسمة مارة فى فصل الصيف ، وفى آخر السقيفة ـ فى الطرف الشرقى للجدار الجنوبى ـ قامت حجرة المطبخ أو حجرة (الموقد) كما يسمونها ، وعلى غير بعيد منها وقفت ثلاث صوامع للغلال ، وبجوارها برج للحمام ارتفاعه حوالى مترين ، وقف على بابه ذكر من الحمام علا هديله بطريقة بدت فيها نبرة الغضب ، فلم أدر أهو يغازل زوجته التى بدت مستكينة بجواره أم أنه يرمى عليها الطلاق !

ذلك رمز جميل إلى موقف المرأة من الرجل فى تلك البيئة وأمثالها .

وفى الجدار الشمالى الذى تقع فيه البوابة الكبيرة ـ قامت حجرة مستطيلة لها بابان ، أحدهما يفضى إلى الخارج ، والآخر صغير يفضى إلى داخل البيت ، وهذه الحجرة هى (الديوان) وتوجد فى أكثر بيوت القرية . وعلى الرغم من أن البيت كله من الطوب النيىء الا أنه كان بالغ النظافة شأن غالب بيوت القرية ، وقومى يتمسكون الطوب النيىء لأنه يعزل الحرارة فى الصيف ، كأن البيت مكيف الهواء صيفاً وشتاء .

هذا المنزل لأحد الأعيان من قرابة مصطفى ، وقد أتى به صاحبه ليسرى عنه مما يلقاه من صرامة أبيه ، وجعل يحدثه فى شتى الموضوعات مراعياً أن يكون أكثرها فكاهياً .. نادى ابنه فى مرح وأجلسه وقال له باسماً :

ــ عد جدودك .

فتربع الغلام وكأنه يقرأ سورة من القرآن ، وعدد جدوده فى سرعة حتى وصل إلى (عامر) فاستوقفه وقال له :

ــ ماذا كان يفعل جدك عامر ؟

ــ كان يحارب الكفار ! لما قتلوا واحداً من قبيلتنا .. ركب الفرس وقتل رئيس الكفار وأحضر رأسه فى الخلاء ! ودفنه فى خيمتنا !

قائد الفتيان

كان حسب الله ــ صاحب هذا البيت ــ قائداً لفتيان القبيلة فى المعارك التى تدور بينهم وبين القبائل الأخرى ، ويعجب مصطفى من جمعه بين الرقة والقوة ! قال العم عبد الله لمصطفى عقب أن همت القبيلة بالاشتباك مع قبيلة أخرى ، ولم يتم هذا الاشتباك لبعض الأسباب :

ــ هل رأيت تلك الخطة المحكمة التى وضعها حسب الله ؟ ياله من ولد مفكر ذى عقل كبير ..

وجاءت أم مصطفى تحمل صينية الشاعر وقد سمعت ذكر حسب الله فقالت :

ــ ربنا يحفظه ويحفظ كل رجالنا .

قال الأب :

ــ كانت خطته تشبه خطط الشياطين !

قالت الأم :

ــ لا تقل الشياطين بسم الله الرحمن الرحيم .. قل مثل خطط الملائكة !

فصاح فيها وهو يلقى (المدغة) من فمه :

ــ اسكتى يا امرأة .. ما أدراك أنت بمثل هذه الأشياء ؟

والتفت إلى مصطفى قائلا فى لهجة متعالية مرحة :

ــ أمك امرأة جاهلة !

ولكن المرأة الراضية بوضعها القانعة قالت :

ــ طبعاً .. وهل النساء مثل الرجال ؟!

مقياس الرجل

ومقياس الرجل فى القبيلة أن يخوض المعارك فى الصف الأول ، قال الأب لمصطفى آسفاً :

ــ كنت أتمنى أن تكون فى الصف الأول مع المهاجمين .. لكنهم وضعوك فى الصف الثالث لأنك لم تخض معركة واحدة فى حياتك .. وهذا عيب فى حقك ! ليتنى أراك مثل حسب الله تنظم الصفوف وتضع الخطط .. لاسيما وأنت رجل متعلم !

« حسب الله » من الشخصيات المرموقة فى الرواية ، فى أحد الأعراس كان (القوال) يرتجل ويغنى ، وما رأى حسب الله يقبل على الحفل حتى حياه مرتجلا بصوته الجميل قائلا :

لما حسب الله جانا فى المواعيد
كأنى كنت صايم قابلنى عيـــد
ده نبوته يرمى الزول من بعيـــد
حبابك حبابك زعيم المساعيـــد

(الزول) هو الرجل فى لغة النوبيين كما هو فى اللغة السودانية ، وكذلك (حبابك) وهى تعنى مرحباً بك ، و (المساعيد) اسم القبيلة . ومما يشترك فيه النوبيون مع السودانيين من العادات (المدغة) وهى نوع من التبغ يمضغ فى الفم .

مر الكرام

لست الآن بصدد النقد ، انما أردت التعريف مستنبطاً بعض الدلالات ، أقول أو أضيف إلى ما بدأت به ، فأتساءل مستعجباً : كيف مرت « سلمى الأسوانية » مر الكرام ؟! فلم تأخذ ما هى جديرة به من المكانة فى حياتنا الأدبية الحاضرة .. ألأن مؤلفها غير مشهور ! ولماذا لم ينل بها الشهرة والمكانة وهى من أروع ما كتب فى عالمنا الروائى العربى الحديث ؟ وأقول « من » على سبيل الاحتياط ، فقد يكون هناك ما لم تتح لى قراءته .

ولاشك أن من دواعى الإجادة أن الكاتب من البيئة ، فهو يتحدث من الداخل ولا يصف من الظاهر ، يقول كما قال امرؤ القيس فى « سقط اللوا » وكما شدا قيس بن الملوح بليلاه فى جنبات البيد .

عباس خضر




بريخت

رسالة لندن من : مجــدي نصيف

حول النفاق والازدواجية في حيــاة فنــان كبير

مازال مسرح بريخت يستهوى المخرجين والممثلين والكتاب . فى الشهرين الأخيرين ظهر كتابان عن مسرحه . اخترنا هذا الكتاب لأهميته وجديته ، ولأن كاتبه ناقد بريطاني ومخرج عمل مع بريخت . إنه فى كتابه الجديد يقدم « برتولد بريخت » الانسان ، وبريخت « المسرح » .

هذا الكتاب الجديد ليس « سيرة حياة » بالمعنى التقليدى للكلمة . فعنوان الكتاب هو « بريخت فى إطاره الصحيح » .

يناقش الناقد « ويليت » فى كتابه تلك النواحي فى تاريخ الفن المعاصر ، وأوضاع المسرح ، والمؤثرات الأوربية ، التى تشكل ـ كلها ـ الإطار العام لكتابات برتولد بريخت ، ومسرحه ، ونشاطه السياسى .

أما تلك المادة الخاصة . التى تكشف عن النواحى الشخصية والتى يتوقع المرء قراءتها فى سيرة حياة شخص ما . فلا تظهر فى صفحات هذا الكتاب ، إلا فيما يتعلق بفن بريخت الدرامى والشعرى .

ومما يزيد من وقع هذا الكتاب ، أنه فى جزء منه « سيرة ذاتية » لكاتبه ، ولكنها « سيرة ذاتية » تلتقى بموضوع الكتاب ، أى بريخت .

إن ويليت مؤلف الكتاب يصف علاقته الشخصية بالفنان والشاعر العظيم بريخت ، طوال حياته . علاقته بأعمال بريخت فى البداية ، ثم علاقته ببريخت الانسان نفسه ، وأعماله التى عاصرها ، ومذهبه السياسى .

مادام بريخت هدفاً لهجوم عنيف من جانب ناقديه وخصومه الفكريين ، فمن المحتم ان يكون فى كتاب ويليت شيء من الدفاع عنه ، وإن كان فى الحقيقة لا يحاول بأى حال تبرئة بريخت . أو مداراة ما هو معروف عنه من حقائق ، خاصة حقيقة أنه كان فى مرات عديدة ملتوياً متشككاً ساخراً .

ما هو تفسير هذا الالتواء والتشكك والسخرية ؟ هل كانت تشكل جزءاً من شخصيته ؟ أم أنه اضطر لاتخاذ هذا « القناع » (من الالتواء والتشكك والسخرية) بسبب ظروف معينة ؟ هل اضطر أن يضع هذا القناع لاخفاء شخصيته وفنه ؟

إن تفسير هذا يكمن فى تلك الظروف التاريخية التي كانت سائدة طوال حياة بريخت ، والتي دفعت به عنفاً إلى النضال ضد الديكتاتورية ، حيث دفعت به أيضاً ، وفى الخفاء ، إلى ممارسة نوع من النضال السري للاستمرار كشاعر ، وناقد ، وكاتب مسرحي ، لقد وجد أن عليه أن يستخدم كل أسلحة النفاق والازدواجية ليستمر ويبقى على حقيقة الفن الخالصة . وفى الحقيقة فقد نال فنه قسطا من هذه الازدواجية (ذلك الذى يؤيد فيه الدكتاتور ستالين) . ولا يحاول مؤلف الكتاب ويليت إنكار ذلك وإن كان يحاول إقناع القارىء بأن ذلك كان محتم الحدوث .

حجة بريخت فى ذلك أنه استطاع أن يظل ـ فى السر ، وفى بعض الأحيان علناً ـ ناقداً للنظام الديكتاتورى والسلطة المركزية فى روسيا ، والتى أيدها بعد ذلك . « ناقد لكن فى سبيل مصلحتها » ـ كما يلاحظ ويليت ، وينقل من وولتر بنجامين قوله : لا يجوز للمرء أن يبني فوق الأشياء القديمة الجيدة ، وانما على الأشياء الجديدة السيئة .

بدأ اهتمام ويليت ببريخت بعد تخرجه من المدرسة بوقت قصير ، وسفره إلى فيينا ليدرس العزف على آلة التشيلو ، وتصميم المسرح أيضاً . آنذاك أخذ يهتم بالتجربة المسرحية الروسية فى ذلك الوقت ، وبالتعبيرية الألمانية . وقد قرأ لبريخت « طبول فى الليل » . وكما يقول ، كان مقاوماً للشعر حتى قرأ أشعار بريخت لكن المرء يشعر منذ قراءة كتبه بأن اهتمامه بالشعر قد بدأ وانتهى ببريخت (بقدر من أودين ـ على الطريقة البريختية) .

غير أن ضيق نظرته المركزة جداً مفيد للقارىء لأن التركيز على موضوع واحد فقط يربط به كل ما حوله . فقد وجدت نفسى ـ بقراءة هذا الكتاب ـ معنياً بعلاقة الشعر الحديث بما يؤلف الحياة العامة فى ذلك الوقت ـ الناس ، والصراع الاجتماعى ، والفقر ، والحرب ، والتكنولوجيا ، والسياسة ، والطبيعة ـ أكثر بكثير من أى وقت مضى لسنين عديدة . هو كتاب عن المشاكل التى لا تزال مشاكلنا .

و « الأطر » التى يناقشها ويليت ترد تحت عنوان التعبيرية ، والمسرح الواقعى والسياسي للمخرج العظيم بيسكاتور ، السينما ، الفنون المرئية ، والسياسة . بالاضافة إلى بعض الفصول حول علاقة بريخت بشعر كيبلنج (ظهرت أغانى براك الشعبية مترجمة إلى الالمانية عام ١٩٢٠) .

هناك فصل بعنوان « قضية أودين » حول علاقة بريخت بأودين . فقد كان بريخت مهتماً « بمسرح الجماعة » التجريبى الغامض ، ومشاهد أدائه لعرض سويني أغونيستيك لاليوت الذى نال إعجابه الشديد عام ١٩٢٩ ، كذلك لابد أنه كان قد سمع عن مسرحيات أودين « المكتوبة بالتعاون مع أشيردود » فى ذلك الوقت .

وقد رأى أودين أوبرا « الثلاث بنسات » لبريخت مبكراً حين زار برلين فى عام ١٩٢٨ .

ويبدو أن بريخت قد شعر بأن أودين يكاد يكون بريختاً انجليزياً . وتمنى لو أمكن ترجمة أعماله والتعاون معه بشكل أو بآخر . وفى الحقيقة فإن كل

محاولاته للتعاون معه (مثل إنتاج دوقة مالفي في نيويورك عام ١٩٤٥) . كانت فاشلة .

أعجب أودين بشعر بريخت لكنه مقته شخصياً . وجد ويليت أن من الصعب عليه فهم هذا الكره الفطري . ووضع أسباباً أعتقد أنها غير مقنعة فهو ينقل عن «صديق حميم» لأودين قوله عن أودين : «رغم أفكاره بعد ذلك» بأن «أودين كان ببساطة يخشى من التوحد مع بريخت في عهد مكارثي» . وسواء اكان ذلك صحيحاً أم لا (وأنا أشك في ذلك) فلا يمكن أن يكون سبباً لكره بريخت .

لم يكن أودين ليكشف نواحي من سوء تصرف بريخت لأنه كان يعتبر ذلك تصرفاً غير لائق «بجنتلمان» . لكن براهين عديدة قدمها ويليت نفسه في الكتاب تدلل على أن بريخت لم يكن «جنتلماناً» ، وبالطبع فلم يكن يريد ذلك لكن إذا كان تصرف «الجنتلمان» جزءاً من شخصية أودين فلابد انها صفة يعلق هو بالذات عليها أهمية خاصة . وبالتالى فلابد أنه لم يكن يقر بريخت على تصرفه .

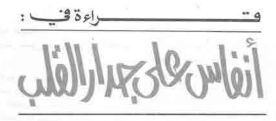
ويقلل ويليت من شأن انغماس بريخت في السياسة مشيراً إلى انها لم تضف — بمعيار الخبرة العملية — شيئاً .

أما عاطفياً فقد كان بريخت إلى جانب الناس العاديين الشعبيين بالكامل : «مستقبل للبشرية لا يمكن رؤيته سوى من الأسفل : من موقع المضطهدين والمستغلين . هكذا أعلن — بأسلوب شرير بعض الشيء في الكلمة التى ألقاها في حفل تسلمه إحدى الجوائز الأدبية . وحول أمريكا قال إنه إذا ظل في تلك البلاد : فإن هذا يعني أن عليه أن يصبح شخصاً طيباً . وهذا شيء لا تتجاوز رغبته فيه رغبته في أن يكون «جنتلمان» .

دفاع ويليت عن بريخت هو أنه كان يناضل في الخفاء أيضاً في غالب الأحيان . رغم أنه دون مراحله كلها في مذكراته ليحتفظ باستقلالية العقل التى ستمكنه من انعقادها . والحقيقة أن ذلك كان موقفاً مستحيلا سبب له مخاطر عديدة كان شديد الوعي بها ، ولذا فقد احتفظ لنفسه دائماً بخط الرجعة — سكنه في النمسا ، حسابه في البنك السويسري .

واضح أن ملف بريخت لم يقفل بعد — جون ويليت يلتزم دور محامي الدفاع بشدة — وكتاباته ذاتها — التى تتضمن أشعاراً ومسرحيات عظيمة — تستدعي الحكم عليها بمعيار مختلف تماماً عما نحكم به على الشخص ذاته .

مجدي نصيف



قراءة في : أنفاس على جدار القلب

بقلم : يوسف أبو العز

— ١ —

ثمة فجوة بين المعرفة والعاطفة ، بين الفكر والخيال ، بين الفلسفة والشعر . فهناك منطقة لابد من تجاوزها في منطق العقل الجامد . مثاليا كان أو ماديا ، وذلك من أجل الخروج من حصار موضوعيته المزعومة نحو فضاء أوسع وأشمل وأبهى ينعش النفس ويغرى بالطيران . لكن هناك أيضاً منطقة خطرة لا يجب الوصول إليها ، تلك التي لا تمت بصلة إلى الواقع .

عندما نتجاوز حصار العقل ذاك ، وننزل من الخيال البعيد ، فسوف نجد أنفسنا في القلب . فهو الذي يجمع العقل والعاطفة ويحل تناقضاتهما وعلى جداره تتراكم الأنفاس في فصل الشتاء تدفئه وتزرع فيه الحب . فلنتفق اذن على موعد : ساعة الغسق . ما رأيكم ؟! هناك حيث نلتقي في كتاب الأديب الأستاذ عبد الله الجفري (أنفاس على جدار القلب) إذ يختلط المكان بالزمان وينصهر الصوت بالرؤى ، سنتعانق ونتلفع بالضباب لنتوحد ونذوب ..

— ٢ —

حب ، وصور ، ومفاهيم .

القلب يدق ، ينبض بالحب فتنبعث الصور وتطير بعشوائية الفراشات ، الأمر الذى يستفز العيون التى تتابع الحركة فترى في شكلها علامات استفهام فتسأل ليبدأ الحديث ، ويزداد النقاش .. حتى ترتسم الأفكار الخارجة من الصدر (بيتاً على جناح حمامة ويتخفى الضوء المكان) عندما يعلن



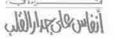
غلاف انفاس على جدار القلب للكاتب السعودى عبدالله الجفرى

الكاتب عن الرؤية ولكن باقتباس جميل وحالم : (فاغمض عينيك حتى تراني) (ص — ١٣) .

— ٣ —

منذ البدء ، ثم في كل الفقرات يرسم الفنان عبد الله الجفرى موضوعه بأسلوب السينمائيين حتى يتوهم المرء أنه يقرأ سيناريو ، فإذا كان لديه (مثلى) حلم دائم بأن يكون مخرجاً فسيبدأ على الفور بتهيئة الكادر .

— على فنيي الديكور نصب الجدران وتهيئة المكان .



ــ ولكنه الطبيعة .

ــ فليحمل المصورون كاميراتهم إذن للذهاب إلى هناك .

ــ ولكنهم لن يستطيعوا الدخول في قارورة العطر أو صدر رجل أو رمادية السماء أو الذكرى أو منعرجات الظنون أو داخل النفس .. كما لن تستطيع الشمس ولا مهندسو الاضاءة رسم النور كما هو في ذلك الزمان : هجير الأشواق ، عهد بالوفاء ، باعث التلفت ، يطفو ، البعد الرابع ..

ــ فلنسأل مهندسي الصوت عن الموسيقى التي تستطيع عزف ذلك النغم يتيم البوح ، أصداء النفس ، صمت الفجاءة ، أنفاس الليل القادم ، حلم .. ولكن ذلك صعب ، بل مستحيل لأن الموسيقى هنا تستغنى تماماً عن حاسة السمع وعن مفهومها التقليدى ليستقر صداها في النفس . (راجع مقدمات الفقرات) .

هكذا سنرمى الآلات جميعاً في البحر ونبدأ الحوار الذي تتولد منه الصور الجميلة وكلما كاد الخيال أن يأخذنا بعيداً إلى تلك المنطقة الخطرة فإن الوعي يسيطر على حركة الطيران تلك ويعيدنا للواقع :

(ــ قالت : أنت تتهرب مني كلما بحثت عنك ، وعندما أريدك لا أجدك .

ــ قال : ولكنى معك كل لحظة .. لا تغيبين عن خفقي ووعيي بل تمتلكين حتى احلامي !

ــ قالت تبتسم : نحن تخطينا عصر الرومانسيات ، المرأة اليوم لم تعد تندرج تحت عبارة غزل ترطب انفعالاتها .. نحن في عصر واقعي ومادى ولابد أن تثبت كلامك هذا ؟!) ص ١١ .

لذلك فالأستاذ الجفري يحلق دائماً بالعبارة المجنحة ولكن ليس ليبتعد عن الانسان في الواقع بل ليقودها إليه ويضعها في خدمته ذلك أنها (كما تفضل الناشران : هشام ومحمد علي حافظ في مقدمتهما للكتاب حيث صدر عن الشركة السعودية للابحاث والتسويق الدولية : تعكس شخصيته المحلقة دائماً والحساسة أبداً والأنسانية بكل معاني الكلمة) ص ٣ .

ــ ٤ ــ

علينا اذن أن نأخذ الأمر على محمل الجد ولا نقف بالعبارة عند الأعجاب بقيمتها التعبيرية أو نترك الحلم يستغرقنا بل علينا أن ندرك مفعول العبارة الحقيقي في الانسان حيث أنها وسيلة الادراك :

(ــ قال لها : ترى هل أعجبك التعبير ، أم استغرقك الحلم في الصورة التى رسمتها لتوحدنا معاً وامتزاجنا انسانين في روح واحدة ؟!

ــ قالت : بالنسبة لي .. اعتبر أن عمري يبدأ مع اللحظة التى توحدنا وتجمعنا ، فلا تستغرب أن أشع وأضيء وأفرح في أصداء العبارة التى قلتها لي فرسمت فيها « قيمة » العثور على الحب الحقيقي والغامر .) ص ١٣ .

هكذا تبرز المفاهيم وتتراءى فلسفة الحب الخاصة ، ولكن ترى مع من يلتقي الأستاذ الجفرى بفلسفته في هذا الموضوع ! لقد قرأت لهيجل عن « الذات » فوجدت عنده أن الاندماج في الآخر هو غاية الذات التى تتحقق تماماً بالاشتراك مع الآخر ــ (الحبيب) بروح واحدة . وهذا ما يصر الأستاذ الجفري على توكيده ويسعى إلى اثباته عن طريق الحوار الحي لا الأفكار الجامدة .

ولا يتوقف الأمر على الذات والحبيب فقط بل يتعداه عند الجفري كما عند (سبينوزا) ليشمل الكون بكل عناصره فهو (الروح العام) بتعبير جبران خليل جبران حيث احتفال التحولات الدائم وعرس الحب الأبدي ومهرجان الحياة الجديدة .

قال : اذن .. هي « اللحظة العمر » .. العبارة ، والصورة ، والحلم الذى ينسج خيوط حياة سعيدة تضم في رحابها حبيبين يتوقان لبناء حياة تجمعهما معاً فيتحولان إلى ضوء وإلى أسرة وإلى مجتمع يقبل على زفاف الحب ، ويسقي تربته لتتفتح زهوراً جديدة !) ص ١٣ .

وليست هي مجرد نظريات مثالية أو أفكار رومانسية بل هى فهم متفائل للحياة ، ويقين علمى بقدرة الانسان على الحب ورسوخه في قلبه الذى يخفق ضمن التكامل الانسانى رغم الصبغة المادية التى طغت على هذا العصر .

ــ قالت : ولكن .. ألا تشعر أن الحب ينهزم في عصرنا بشتى النتائج ؟

ــ قال : وكيف ينهزم الحب ، وقلوب الناس تخفق ، وطبيعة التكامل الانساني لم تتغير ، لأنها مازالت أقوى من كل عناصر الماديات وجدل الكراهية ؟!) ص ١٣ .

ــ ٥ ــ

انفاس على جدار القلب ، كتاب غني ومزدحم بالافكار التي تستطيع كل منها أن يشكل موضوعاً فلسفياً واسعاً يحتاج المرء أن يتوقف عنده طويلا ، فالزمن الذى يشكل موضوعاً رئيسياً يعالج من زوايا مختلفة :

ــ لحظة حب رائعة يعيشها الحبيبان ولا يريدان أن تنتهى ، يخافان من الزمن . هنا أسمع فاوست يصرخ : (تريثي قليلا أيتها اللحظة فما أجملك) ــ غوته .

ــ بحث في الماضي واستشراف صورة المستقبل لاكتمال الأبعاد الثلاثة عند الانسان في بيئة الأستاذ الجفرى تميزاً عن الانسان الأوروبي الذى لا يعيش سوى حاضره كما بدأ في كتاب فيلسوف الشباب هربرت ماركوز « الانسان ذو البعد الواحد » .

ــ تفاعل طاقات العمر (السن) حيث يمنح الشباب العنفوان والارتواء والصفاء ويمنح النضج التجربة والالتزام والصدق ليأتي التبلور ويتجسد الحنان ويتم التوحد والتكامل .

وهناك الكثير من الموضوعات الفلسفية الأخرى والتى لا يمكنني في هذه القراءة الأسهاب في تناولها كموضوع اللذة الذى يراه الجفري يطفو على السطح ولا يمثل العمق الانساني كما هو الحب ثم هناك الاغتراب : تلك المرحلة التى تسبق العثور على التوأم ، مرحلة التعلق بلا حبيب ، وفاعلية ولا فاعلية المادة وهناك اشارة إلى ضرورة العنصر الدرامي في حياة (المشاكل ملح الحياة) ثم حديث عن التعب والبكاء : (نبكي في قمة توهج الاحساس والصدق يدلنا) والقتل أو قطع الرأس الذى لا يقتصر على فعل شهريار بل ينطبق أيضاً على فعل إهمال الآخر أو الغرور راجع ص ٣١) كما أن هناك إشارة لأسباب معالجة قضية ما : عدم المبالغة فيها ويقتبس الكاتب من أجل ذلك من غاندى : (ان قضية من القضايا لا يضيعها شيء قدر ما تضيعها المبالغة) وهناك تفكير بقضايا عميقة كالموت والجنون والجوع :

(ــ قال الغريب : كل شيء .. هو القناعة ، وهو شبع النفس وشبع الضمير وشبع الكرامة وشبع العقل والعاطفة .

ــ قال الاسكافي : وما هو الأمر الأقسى من ذلك ؟!

ــ قال الغريب : الأقسى هو اننا ننسى الحب بعد الشبع) ص ١١١ .

ــ ٦ ــ

« أنفاس على جدار القلب » هو كتاب العشق والفكر والخيال والحوار الجميل .

يوسف أبو العز

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● آفة اللغة هذا النحو ●● من خواطر الدكتور زكي مبارك ●●● تعاليم الرجال

منذ أربعين عاماً وأدباؤنا يطالبون بتيسير النحو العربي



آفة اللغة هذا النحو



بقلم: علي الطنطاوي

أستأذن أستاذنا الجليل « الزيات » فأستعير منه هذا العنوان . فأكتب كلمة في هذا الموضوع الكبير ، الذى نبه إليه الأستاذ بمقالته القيمة المنشورة فى « الرسالة » الثالثة عشرة :

قال الأستاذ : « ليس من شك فى أن دراسة النحو على هذا الشكل تفيد فى بحث اللهجات فى اللغة ، ودرس القراءات فى القرآن ، ولكن نحن اليوم ، وقبل اليوم ، إنما نستعمل لغة واحدة ، ونلهج فى الفصيح لهجة واحدة ، فلماذا لا نجرد من النحو القواعد الثابتة التى تحفظ هذه اللغة ، وتقوم تلك اللهجة ، وندع ذلك الطم والرم لمؤرخى الأدب وفقهاء اللغة وطلاب القديم ، على ألا يطبقوه على الحاضر ، ولا يستعملوه فى النقد ، وإنما يلحقونه بتلك اللغات البائدة التى خلق لها ، وتأثر بها ، فيكون هو وهى فى ذمة التاريخ ، وفى خدمة التاريخ ؟ » .

ولقد صدق أستاذنا وبرّ ، وأصبح النحو علماً عقيماً ، يدرسه الرجل ويشتغل به سنين طويلة ثم لا يخرج منه إلى شيء من إقامة اللسان والفهم عن العرب . وإننى لأعرف جماعة من الشيوخ ، قرأوا النحو بضعة عشر عاماً ، ووقفوا على مذاهبه وأقواله ، وعرفوا غوامضه وخفاياه ، وأولوا فيه وعللوا ، وأثبتوا فيه ودللوا ، وناقشوا فيه وجادلوا ، وذهبوا فى التأويل والتعليل كل مذهب ،

آفة اللغة هذا النحو

ثم لا يفهم أحدهم كلمة من كلام العرب ، ولا يقيم لسانه فى صفحة يقرؤها ، أو خطبة يلقيها ، أو قصة يرويها ..

ولم يقتصر هذا العجز على طائفة من الشيوخ المعاصرين ومن قبلهم من العلماء المتأخرين ، بل لقد وقع فيه جلة النحويين وأئمتهم منذ العهد الأول :

وقد روى السيوطى فى (بغية الوعاة) أن الكسائى (١) قد مات وهو لا يعرف حد نعم وبئس ، وأن المفتوحة ، والحكاية ! .. وأن الخليل (٢) لم يكن يحسن النداء .. وأن سيبويه (٣) لم يكن يدرى حد التعجب !

وأن رجلا قال لابن خالويه (٤) : أريد أن تعلمنى من النحو والعربية ما أقيم به لسانى . فقال له ابن خالويه : أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو ، ما تعلمت ما أقيم به لسانى !

فأى فائدة من النحو ، إذا كانت قراءته خمسين سنة لا تعلم صاحبها كيف يقيم لسانه ؟ وما الذى يبقى للنحو إذا لم يؤد إلى هذه الغاية ، وإذا أصبح أصعب فنون العربية وهو لم يوضع إلا لتسهيلها وتقريبها ؟

ومن ـ ليت شعرى ـ يسلك الجادة ليخلص من الوعر ويدنو من الغاية ، إذا رأى من هو أقوى منه وأجلد قد سلكها فانتهت حياته ولم ينته منها ، وأتته منيته وهو فى بعضها .. يقلب حصباءها ، وينبش تربها ، وينظر فى جوانبها ؟ ..

وإذا كان ملك النحاة (٥) بعد أن أنفق عمره كله فى تعلم النحو وتعليمه ، يستشكل عشر مسائل ، وتستعصى عليه فيسميها « المسائل العشر ، المتعبات إلى يوم الحشر » (٦) ويأمر أن توضع معه فى قبره ، ليحلها .. عند ربه ! فما بالك بأمثالنا من السوقة ؟ .. وكيف نفهم هذا النحو وندركه إدراكاً بله الاستفادة منه ؟ وأن نجتنب به الخطأ فى النطق وفى الفهم ؟ ..

ومن يقبل على النحو ، وهو يرى هذه الشروح وهذه الحواشى التى تحوى كل مختلف من القول ، وكل بعيد من التعليل ، وفيها كل تعقيد ، حتى ما ينجو العالم من مشاكلها مهما درس وبحث ونقب ، ولا يستقر فى المسألة على قول حتى يبدو له غيره أو يجد ما يرده ويعارضه ، كالقائم على ظهر الحوت ، لا يميل إلى جانب إلا ميل به إلى جانب ، ولا يدرى متى يغوص الحوت ، فيدعه غريقاً فى اليم ..

وسبب هذا التعقيد ـ فيما أحسب ـ أن النحاة اتخذوا النحو وسيلة إلى الغنى ، وطريقاً إلى المال ، وابتغوه تجارة وعرضاً من أعراض الدنيا ، فعقدوه هذا التعقيد وهولوا أمره ، حتى يعجز الناس عن فهمه إلا بهم ، فيأتوهم ، فيسألوهم ، فيعطوهم ، فيفتتنوا ..

روى الجاحظ فى كتاب الحيوان ، أنه قال للأخفش : مالك تكتب الكتاب فتبدؤه عذباً سائغاً ، ثم تجعله صعباً غامضاً ، ثم تعود به كما بدأت ؟

قال : ذلك لأن الناس إذا فهموا الواضح سرهم ، أتونى ففسرت لهم الغامض فأخذت منهم !

وروى السيوطى أن سيف الدولة سأل جماعة من العلماء بحضرة ابن خالويه ذات ليلة : هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور ؟

فقالوا : لا . فقال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟

فقال : أنا أعرف اسمين . قال : ما هما ؟

قال : لا أقول لك إلا بألف درهم ! ..

وكان نفطويه (٧) لا يقرىء كتاب سيبويه إلا إذا أخذ الرسم .

من أجل ذلك اتخذ النحاة هذا التعقيد سنة جروا عليها ، وغاية تواطأوا على بلوغها ، لتتم الحاجة إليهم وتثبت لهم مكانتهم ، وتستمر الحاجة إليهم ، حتى ان أبا على الفارسى (٨) ، لما سأله عضد الدولة بن بويه أن يصنف له كتاباً فى النحو ـ وصنف الايضاح ، وأوضح فيه النحو وقربه حتى أتى عليه عضد الدولة فى ليلة ، واستقصره وقال له : مازدت على ما أعرف شيئاً ، أحس أبو على بالخطأ ، وشعر بأنه خرج على هذه الخطة التى اختطوها لأنفسهم : خطة التعقيد .. فعمد إلى تدارك الخطأ ، فمضى فصنف التكملة وحملها إليه ، فلما وقف عليها عضد الدولة قال : غضب الشيخ فجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو (٩) ..

وزاد النحو تعقيداً وإبهاماً وبعداً عن الغاية التى وضع من أجلها ، ماصنعه الرمانى (١٠) من مزج النحو بالمنطق وحشوه به ، حتى ما يقدر من بعده على تجريده منه ، وحتى قال أبو على الفارسى وهو معاصر له :

« إن كان النحو ما يقوله الرمانى فليس معنا منه شيء ، وإن كان ما نقوله نحن ، فليس معه منه شيء .. » .

فخرج النحو بذلك عن الجادة ، ولم يعد واسطة لفهم كلام العرب واتباع سبيلهم فى القول ، بل غدا عاماً مستقلا معقداً مضطرباً لاتكاد تثبت فيه مسألة . ورضي النحاة عن هذا التعقيد ووجدوا فيه تجارة وكسباً ، حتى أن السيرافى (١١) لما ألف كتابه الإقناع (الذى أتمه ولده يوسف) وعرض فيه النحو على أوضح شكل وأجمل ترتيب ، فأصبح مفهوماً سهلا ، لا يحتاج إلى مفسر ولا يقصر عن إدراكه أحد . حتى قالوا فيه : وضع أبو سعيد النحو على المزابل بكتابه الإقناع .. لما ألفه قاومه النحاة ، وما زالوا به حتى قضوا عليه ، فلم يعرف له ذكر ، ولم نعرف أنه بقي منه بقية !

زاد النحو فساداً على هذا الفساد هذا الخلاف بين المذهبين (أو المدرستين على التعبير الجديد) : المذهب الكوفى ، والمذهب البصرى ، وماجره هذا الخلاف من الهجوم على الحق ، والتدليل على الباطل ، والبناء على الشاذ ، قصد الغلبة وابتغاء الظفر . كما وقع فى المناظرة المشهورة بين الكسائى وسيبويه ، حين ورد هذا بغداد على يحيى البرمكي ، فجمع بينه وبين الكسائى للمناظرة فقال له الكسائى :

ـ كيف تقول : قد كنت أظن أن الزنبور أشد لسعة من العقرب ، فإذا هو هى ، أو هو إياها .

ـ فقال سيبويه : فإذا هو هى ، ولا يجوز النصب .

ـ فقال الكسائى : أخطأت ، العرب ترفع ذلك وتنصبه ، وجعل يورد عليه أمثلة ، منها : خرجت فإذا زيد قائم أو قائماً .

وسيبويه يمنع النصب .

فقال يحيى : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما ، فمن يحكم بينكما ؟ قال الكسائى : هذه العرب ببابك قد وفدوا عليك ، وهم فصحاء الناس فاسألهم .

ـ فقال يحيى : أنصفت .

وأحضروا فسئلوا ، فاتبعوا الكسائى فاستكان سيبويه وقال :



أحمد حسن الزيات

ــ أيها الوزير . سألتك إلا ما أمرتهم أن ينطقوا بذلك ، فإن ألسنتهم لا تجرى عليه ، وكانوا إنما قالوا : الصواب ما قاله هذا الشيخ !

ــ فقال الكسائى ليحيى : أصلح الله الوزير ، إنه قد وفد إليك من بلده مؤملا ، فان رأيت ألا ترده خائباً .

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج إلى فارس فمات بها بعد قليل غماً وأسى !

فى حين أن الحق كان فى الذى يقوله سيبويه ، وأن الكسائى كان ــ كما يقول السيطوى ــ ممن أفسدوا النحو ، لأنه كان يسمع الشاذ الذى لا يجوز إلا فى الضرورة فيجعله أصلا ..

وزاد النحو فساداً على هذا الفساد : ابتغاؤهم العلة والسبب ، لكل ما نطقت به العرب ، وسعيهم لتعليل كل منصوب ومخفوض ، وسلوكهم فى ذلك أبعد السبل من الواقع ، وأدناها إلى التنطع والوهم . من ذلك ما رواه ابن خلكان من أن أبا على الفارسى كان يوماً فى ميدان شيراز يساير عضد الدولة ، فقال له :

ــ بم انتصب المستثنى فى قولنا : قام القوم إلا زيداً ؟ قال الشيخ : بفعل مقدر . قال كيف تقديره ؟ قال : أستثنى زيداً . فقال له : هلا رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد :

فانقطع الشيخ وقال :

هذا جواب ميدانى فاذا رجعت قلت الجواب الصحيح . ثم انه لما رجع إلى منزله وضع فى ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه .

قال السيوطى ، والذى اختاره أبو على فى الايضاح أنه ينتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا .

قال : والمسألة سبعة أقوال .. حكيتها فى كتابى جمع الجوامع من غير ترجيح ، وأنا أميل إلى القول الذى ذكره أبو على أولا ..

* * *

هذه بعض الأسباب التى جعلت النحو معقداً هذا التعقيد ، مضطرباً هذا الأضطراب ، بعيداً عن الغاية هذا البعد ، «فلماذا لا نجرد من النحو القواعد الثابتة التى تحفظ هذه اللغة التى نستعملها ، وتقوم تلك اللهجة ــ التى نلهجها ــ وندع ذلك الطم والرم لمؤرخى الأدب وفقهاء اللغة ؟» .

ولماذا لا يدلى علماء العربية وأدباؤها برأيهم فى سبيل الاصلاح ، ولماذا لا ينشر شاعرنا الفحل الأستاذ المحقق محمد البزم ، وهو أول رجل أعرفه انتبه إلى فساد هذا النحو ، ولبث خمسة عشر عاماً يعالج أدواءه ، ويصف دواءه ، ويقرأ من أجل ذلك كل ما فى أيدى الناس من كتب النحو وأسفار العربية ، لماذا لا ينشر ثمرة بحثه ، وخلاصة دراسته فى (الرسالة) مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية ، ليطلع عليها علماء العربية وأدباؤها ، ويبدوا آراءهم فيها ، فيكون من ذلك الخير للعربية إن شاء الله ، ويكون الفضل للأستاذ الزيات على أن فتح هذا الباب ، وللأستاذ البزم على أن كان أول من ولجه ؟

علي الطنطاوى

١٩٣٥

هـــــوامـــــش

(١) علي بن حمزة ، إمام الكوفيين فى النحو واللغة ، وأحد القراء السبعة ، استنفد علم معاذ الهراء ، وقرأ على الخليل ، وخرج إلى البادية ، فأفرغ فى الكتابة عن العرب حبر خمس عشرة قنينة ، قال ابن الأعرابى : كان الكسائى أعلم الناس ، ضابطاً عالماً بالعربية ، قارئاً صدوقاً توفى سنة ١٨٢ .

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدى صاحب العربية والعروض ، قال السيراف : كان الغاية فى استخراج مسائل النحو ، وتصحيح القياس فيه ، وهو أول من استخرج العروض ، ورتب المعاجم ، وهو أستاذ سيبويه ، وعامة الحكاية فى كتابه عنه ، وهو على الجملة آية من آيات الله فى الذكاء والفهم والعلم ، على زهادة وشرف نفس ، وانقطاع إلى الله ، توفى سنة ١٧٥ .

(٣) عمرو بن عثمان ، إمام البصريين ، أصله من أرض فارس ونشأ فى البصرة ، أخذ عن الخليل ويونس والأخفش وألف الكتاب فى النحو ، الذى يسمى شيخ الكتب ، ارتحل إلى أرض فارس بعد مناظرته المشهورة مع الكسائى ومات بها غماً سنة ١٨٠ وعمره ٣٢ سنة .

(٤) هو الحسين بن أحد بن خالويه النحوى الأمام ، قرأ القرآن على ابن مجاهد والنحو والأدب على ابن دريد ونفطويه ، وابن الأنبارى ، سكن حلب واختص بسيف الدولة ، وهناك انتشر علمه وروايته ، وله مع المتنبى مناظرات ، كان أحد أفراد الدهر فى كل قسم من أقسام الأدب وله تصانيف جليلة توفى بحلب سنة ٣٧٠ .

(٥) هو الحسن بن صافى ، كان أنحى أهل طبقته ، وكان فهماً ذكياً فصيحاً إلا أنه كان عنده عجب بنفسه وتيه ، لقب نفسه بملك النحاة ، وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك ، استوطن دمشق آخر حياته ومات فيها سنة ٥٦٨ قال عنه ابن خلكان : كان مجموع فضائل .

(٦) بغية الوعاة .

(٧) هو ابراهيم بن محمد ينتهى نسبه إلى اللهب بن أبى صفرة ، لقب بنفطويه لشبهه بالنفط لدمامته ، وجعل على مثال سيبويه لانتسابه فى النحو إليه وجريه على طريقته وتدريسه كتابه ، جلس للاقراء أكثر من خمسين سنة ، وكان عالماً بالعربية واللغة والحديث ، مات سنة ٣٢٣ .

(٨) هو الحسن بن أحمد الامام المشهور واحد زمانه فى علم العربية ، أستاذ ابن جنى الامام العالم البليغ ، وله مصنفات كثيرة وجليلة توفى ببغداد سنة ٣٧٧ .

(٩) بغية الوعاة ووفيات الأعيان .

(١٠) هو على بن عيسى بن على المعروف بالوراق والأخشيدى النحوى المتكلم أحد المشاهير ، جمع بين الكلام وعلم العربية ، وله تفسير القرآن الكريم ، قال أبو حيان : لم ير مثله قط علماً بالنحو وغزارة بالكلام ، واستخراجاً للعويص وايضاحاً للمشكل ، مع تألق وتنزه ودين وفصاحة وعفاف ونظافة ، مات سنة ٣٨٤ .

(١١) الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيراق كان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد فسماه أبا سعيد عبد الله ، كان يدرس ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفرائض ، قال التوحيدى : وكان إمام الأئمة فيها جميعاً مع الصلاح والأمانة ، قضى ببغداد ولم يأخذ على الحكم أجراً ، مات سنة ٣٦٨ وكان معاصراً للرمانى وأبى على الفارسى .





الطلبـــة والجاموس

كنت نشرت مقالا فى المقطم موضوعه « التصوف فى الوطنية » سردت فيه بعض الأسباب التى أحب من أجلها وطنى ، ومن تلك الأسباب أن أرض مصر تصلح للزراعة أربع مرات فى العام الواحد ، فكتب إلى حضرة « م . ع . ف » خطاباً ينكر فيه أن تكون مصر كما وصفت : ويؤكد أن أهل مصر لا يعرفون غير سوء الحال ، وأن فى مصر آلافاً من الأعيان حكم عليهم بالسجن لعجزهم عن سداد المال (؟!) .

والظاهر من خطاب هذا السيد أنه يتعقب أعمال الحكومة ، فقد ذكر أشياء تشهد بأنه يساير خطوات الحكومة فى جميع الميادين ويتناولها بالثناء والملام على حسب الظروف !

وأقول بصراحة إن الأمة التى تنتظر من الحكومة كل شىء وتطالبها بكل شىء هى أمة فى دور الطفولة ، والطفل يعتقد أن أباه على كل شىء قدير ! وأقول أيضاً إنه ليس من المعقول أن يكون فى مصر آلاف من الأعيان حكم عليهم بالسجن للعجز عن سداد الضرائب . وإذا صح ذلك فهو شاهد على أن الأعيان فى مصر لا يصلحون لتدبير ما يملكون من الأموال والأطيان .

وهذا السيد له منزلة فى الصعيد ، ولم أصرح باسمه إلا خوفاً عليه من النقد الذى سأسوقه إليه بلا ترفق . فهو يرى من الإسراف أن يكون فى الميزانية مال مرصود لجسر شبرا وجسر سمنود ، وهو ينكر أن يكون للأوبرا وحمام السباحة فى أسيوط نصيب من أموال الميزانية ، وهو فى النهاية يعجب من أن تنفق الدولة ثلاثين ألفاً من الجنيهات لتحسين نسل الجاموس مع أن فى طلبة الجامعة من عجز عن دفع المصروفات !

تحسين نسل الجاموس ؟

يا سلام ! يا سلام !

كيف يليق بحكومة رشيدة أن تفكر فى تحسين نسل الجاموس مع أنها تعرف أن بعض طلبة الجامعة عجزوا عن دفع المصروفات الدراسية ؟!

ذلك منطق هذا السيد الذى يشغل مكاناً مرموقاً فى الصعيد !

وعذر هذا السيد أنه قرأ فى مجلة « آخر ساعة » كلمة جرت مجرى الدعابة ، فظن أن من العيب أن يهتم وزير الزراعة بتحسين نسل الجاموس ، وهو جاموس !

هو حقيقة جاموس يرعى البرسيم ويأكل الفول ويشطح وينطح بلا فهم ولا تمييز ، ولكن هذا الجاموس الأعجم هو من صميم الثروة المصرية ، والاهتمام به لا يقل خطراً عن الاهتمام بالقطن والقمح والعنب والتين والبطيخ .

فكيف يجوز لرجل أن يعد الاهتمام بتحسين نسل الجاموس عيباً من عيوب الحكومة ، إلا أن يكون هذا الرجل من الصالحين للسجن بسبب العجز عن تسديد الضرائب ؟

المقتل الخطير لأهل مصر هو الغرام بالنكتة ، ومن هنا جاز أن ينتهزوا الفرصة فيعيبوا على حكومتهم أن تهتم بتحسين نسل الجاموس .

ويقول هذا السيد إن اشتغالى بالأدب صرفنى عن مواجهة الواقع . وأقول إنه لو اشتغل بالأدب كما اشتغلت لقرأ فى كتاب البيان والتبيين كلاماً معناه أن أحد العرب قال : لو كان لى ألف بعير فيها واحد أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره !

ومعنى ذلك أن الاهتمام بالبهائم والأنعام لايغض من أقدار الرجال ، وإنما هو دليل على العناية بأصول الاقتصاد .

أيها الغافلون من أهل هذه البلاد .

راجعوا وزارة الصناعة والتجارة تخبركم عما تستهلك فى كل عام من الواردات المصنوعة من الألبان ، وعندئذ تعرفون أنه ليس من العيب أن نهتم بتحسين نسل الجاموس .

اللهم ارزقنى جاموسة أو جاموستين لأنسى مرارة الإفطار على الشاى الأسود فى كل صباح . وأنت أيها الجاموس .

هل تحفظ هذا الجميل فتذكر أنى دافعت عنك فى مجلة الرسالة الغراء ؟

لقد ضاع الجميل عند الحيوان الناطق ، فهل تحفظه أنت يا جاموس ؟!

وكيف نطالبك بحفظ الجميل ، وما حفظنا لك الجميل ؟

كانت فطرة العربى فى الصحراء ألطف وأصدق ، فقد نظم فى ناقته أعظم القصائد ، أما المصرى فقد ظلم جاموسته أقبح الظلم ولم يذكرها

بغير السخرية والاستهزاء .

فهل تكون للبداوة تلك المحاسن وتكون للحضارة هذه العيوب ؟

كان الفراعنة أعرف الناس بأصول المنافع فعدوا البقرة من المعبودات لأنهم رأوها من صور الحنان ولأنهم عرفوا ما يصدر عنها من الخيرات .

والجاموسة أغزر نفعاً من البقرة ، ومع ذلك صح لأدبائنا أن يسخروا من الوزير الذى اهتم بصحتها الغالية !

ولكن لا بأس فنحن فى زمن تغلب فيه السخرية من المنافع ، وهو زمن مقلوب الأوضاع ، ولولا ذلك لرسمت الجاموسة بجانب الفلاح على ورق « البنكنوت » .

لا تصدقوا الذين ينهونكم عن الابتسام

أنتم تسمعون أن الدنيا كلها فى حرب ، أليس كذلك ؟

بلى ! ولكن الحياة لها مطالب روحية وعقلية تنسى الناس أحياناً مخاطر الحرب ، والرجل الضعيف هو الذى تقهره الظروف على أن يكون ريشة فى مهب الخطوب . أما الرجل القوى فتصطدم به المصاعب كما تصطدم الموجة العالية بالصخرة العاتية .

لقد قذيت عين الزمان فاكحلوها بمرود الحياة .. كونوا أحياء فى كل وقت ، واحذروا أقوال المرجفين الذين يزعمون أن الدنيا لم يبق فيها مجال لطرب الأفئدة وجموع القلوب .

لا تصدقوا الأستاذ فكرى أباظة حين يحدثكم فى المذياع عن عجبه من أن تعجز أعوام الحرب عن قتل تغريدة « ياليل يا عين » فهذا الأستاذ نفسه لم ينقطع عن الغناء وإن كان صوته « أرخم » الأصوات !

هذه الحرب التى تعانون بلاءها من قرب أو من بعد هى أيضاً شهوة إنسانية أو حيوانية كسائر الشهوات ، والمحرومون عن حب الدنيا ومن الهيام بما فيها من نعيم لا يصلحون أبداً للتمرس بالمخاطر فى ميادين القتال .

يجب أن تبقى حواسكم كلها سليمة ، حتى حاسة الذوق وحاسة الجمال ، لأن هذه الحواس هى « الجوارح » التى تصولون بها فى ميدان الوجود . وهل يصلح إنسان للتفكير فى المنافع القومية حين يشل تفكيره فى المنافع الذاتية ؟

الجندى لا يصلح أبداً للاستماتة فى الدفاع عن الوطن إلا إذا كانت له فيه مآرب وأهواء . أما الجندى الفارغ الرأس والقلب من المطالب الذاتية فهو أداة عاطلة لا نفع فيها ولا غناء .

زادكم الأول هو مطامعكم . وزادكم الثانى هو مطامعكم ، وزادكم الثالث هو مطامعكم ، وأزوادكم الأصلية والفرعية هى مطامعكم . فلا تعيشوا فى دنياكم بلا أطماع لئلا تنعدم قدرتكم على الجهاد .

لا تصدقوا الذين ينهونكم عن الابتسام للدنيا والوجود .

لا تصدقوا من يزعمون أن مرح النفوس فى أيام الحرب من نذر الفناء .

الدنيا لكم ولسائر المزودين بالحيوية والأريحية والجذل والابتهاج .

فما سكوت الشعراء وما سكوت المغنين عن التغريد فوق أفنان الجمال ؟ وما الموجب للدعوة الأثيمة التى تريد أن تحول دنيانا إلى ملاطم ومناحات ؟

عزائمكم وأرواحكم وقلوبكم هى الذخائر الباقية ، وهى أسلحتكم فى مقارعة الخطوب ، فلا تضعفوها باستماع الأراجيف ، ولا توهنوها بالخضوع لخداع الأباطيل .

ود أعداؤكم لو تنقلبون إلى أشباح بلا عواطف ولا أحاسيس .

فاحذروا الفتنة ، فتنة الدعوة إلى تسريح الأمانى والآمال .

واعلموا أن الرجل الحق هو الذى يعيش فى كل وقت بعواطف الأقطاب من الأحياء .

زكى مبارك

١٩٤٠

تعاليم الرجال

١ ـ لا تلم غيرك على إهمالك واحتمل بشجاعة نتائج أعمالك .

٢ ـ الإعتذار ضعف ، فلا تعتذر لكائن من كان ، ولا سبيل إلى تلافى الاعتذار إلا إذا آليت ألا ترتكب ما يستدعى الاعتذار عنه .

٣ ـ لا تيأس : إذا المرض أصابك ، وإذا الحزن دهمك وإذا الإخفاق صدمك ، وإذا الصديق خدعك وإذا العدو غلبك ، وإذا الحظ نكبك إذ مهما اضطربت الأمور وأظلم الجو فإنك بالصبر والعمل والشجاعة منتصر لامحالة .

٤ ـ لا ترج من اللئيم أن يصفح ، ولا من السفيه أن يحلم ، ولا من القوى أن يستكين ، لأنك إن فعلت أرقت ماء وجهك وعدت بخيبة الأمل .

٥ ـ لاتكن متحيزاً لأقربائك ، ولا محابياً لأصدقائك ، ولا باغياً فى خصومتك ، ولا طاغياً فى رياستك . بل اجعل العدل قائدك ، والحزم رائدك ، والكرم ملطفاً لشهوتك ، والمصلحة العامة على الدوام قبلتك .

٦ ـ كن شجاعاً ، كن صادقاً . فإذا اعتدت الصدق مشت الفضائل كلها فى ركابك .

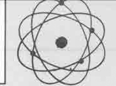
٧ ـ أفعل ماتراه حقاً وعدلا ، ولا تحاول أن ترضى الناس جميعاً ، لأنك إن حاولت ذلك أسأت إلى نفسك ولم ترض أحداً .

٨ ـ أذكر دائماً قيمة الأعمال بنتائجها ، فحذار أن تأتى عملا تعرف مقدماً أن نتيجته ضارة ، اللهم إذا أيقنت أن كفة الخير للمصلحة العامة أعلى وأرجح .

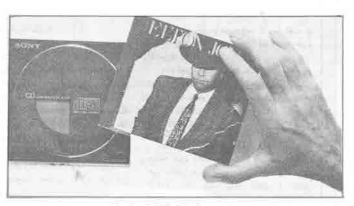
٩ ـ إذا كنت تحب الحرية حقاً فلا تحتكرها لنفسك وتنكرها على غيرك .

١٠ ـ حذار من لسانك وقلمك إذا كنت غاضباً أو ثائراً بعاطفة قوية فكلاهما يخونك ، واعتمادك عليه يجر عليك الندم أو الألم عندما تهدأ وتستقر .

محمد كامل سليم



أصغر جهاز لتشغيل الاسطوانات



جهاز تشغيل الأسطوانات الجديدة

أنتجت إحدى شركات الألكترونيات اليابانية أصغر جهاز تشغيل اسطوانات فى العالم ، بحيث يمكن وضعه فى جيب السترة ليصاحب الانسان أينما ذهب . ويستخدم هذا الجهاز أكثر الأسطوانات تطورا ، وهى الاسطوانة الضوئية ، التى يتم قراءتها بواسطة أشعة الليزر .

ويزن الجهاز الجديد ٥٩٠ جراما فقط . وقطر أسطوانته ١٢ سنتيمترا ويمكن تشغيله بواسطة بطاريات عادية أو على ولاعة السيارة ، ويمكن الاستماع اليه بواسطة سماعات توضع على الأذن أو بتوصيله بأى نظام هاي فاي منزلي .

ولكن بالرغم من صغر حجمه فهو يتمتع بكل امكانات الأجهزة المنزلية الكبيرة مثل البحث الأتوماتيكي عن الجزء المراد سماعة من الأسطوانة .

وساعد على تصغير حجم هذا الجهاز المتعدد الأجزاء أن دوائر تحويل الاشارات الصوتية الى إشارات رقمية وضعت على رقيقة الكترونية واحدة .

ويمثل هذا الجهاز ، الذى بدأ اليابانيون فى تسويقه فى الدول الأوربية والولايات المتحدة بمناسبة أعياد الميلاد ، حلقة من سلسلة أجهزة تشغيل اسطوانات غير تقليدية ، تقدمها الصناعة اليابانية .

فلقد عرفت مؤخرا جهازاً مماثلا يثبت فى لوحة السيارة ، وأكدت التجارب التى اجريت عليه أن نقاء صوتة لايتأثر مهما كان الطريق الذى تسلكه السيارة وعرا .

علاج الأسنان بدون ألم !



عيادة أسنان بدون ألم

تمكن الباحثون الامريكيون من التوصل الى محلول كيميائى لعلاج تسوس الأسنان دون ألم .. وهو حلم طالما راود من يترددون على عيادات أطباء الأسنان ويعانون من حقن التخدير المؤلمة ومن آلة الحفر المخيفة . فالمحلول يذيب الجزء المصاب من السن دون أن يؤثر على الجزء السليم منه .

وسوف يلغى هذا التكنيك الجديد استخدام حقنة التخدير ، ولكنه سيحتفظ لآلة الحفر بدور محدود ، فسيحتاج اليها الطبيب فى حفر الطبقة الخارجية من مينا السن ، وهى منطقة خالية من الأعصاب ، وذلك لكشف منطقة التسوس . وعندئذ يضع الطبيب المحلول الجديد على المنطقة . المصابة من السن فيتحول التركيب العظمى لها الى تركيب لين يمكن التخلص منه بسهولة تاركا الأنسجة السليمة من السن دون أن يمسها .

ومن المتوقع أن تشجع هذه المعالجة الكيميائية لتسوس الأسنان العديد من المرضى على التردد على عيادات الاسنان خاصة من الاطفال والمسنين .

وبالنسبة لطبيب الاسنان فان هذا التكنيك سيتيح له حشو اكثر من سن فى الجلسة الواحدة لانه لن يحتاج الى تخدير فك المريض . ومن الناحية الفنية فان المحلول الكيميائى يوقف عملية إذابة السن بمجرد التخلص من منطقة التسوس ، ومن ثم فانه يحمى الجزء السليم من السن ، والذى قد يتعرض للحفر أثناء عملية التنظيف بالطرق التقليدية . مما قد يعرى العصب . فلأول مرة يوجدماينبه الطبيب الى أنه تم التخلص من الجزء المصاب .

ولقد تمت تجربة هذا المحلول فى اليابان ، ومن المنتظر تصنيعة وتزويد أطباء الأسنان به ابتداء من فبراير القادم .

في الطريق إلى الكمبيوتر الذكي!


باحث يجهز أسرع وصلات الكترونية في العالم

أحرز الباحثون في معامل «بل» الأمريكية خطوة هامة في سبيل انتاج الجيل الخامس من أجهزة الكمبيوتر، وهو الجيل الذى يتميز بدوائر الذكاء الصناعي التى يمكنها محاكاة العمليات الذهنية للانسان.

فلقد تمكنوا من تصنيع أسرع وصلات إلكترونية في العالم، تنتقل النبضات الكهربية خلالها في زمن قياسي لايتعدى ٩٫٤ «بيكوثانية» (وهى وحدة قياس للزمن متناهية الصغر تساوى واحدا على تريليون من الثانية). ومعنى ذلك أن هذه الدوائر يمكنها القيام بست بلايين عملية حسابية في الثانية الواحدة في درجة حرارة الغرفة، وأكثر من عشرة بلايين عملية حسابية في الثانية إذا انخفضت درجة الحرارة الى ١٩٦ درجة مئوية تحت الصفر.

وصنعت هذه الدوائر من مادة زرنخيد الجاليوم، وهى أسرع بكثير من مادة السليكون التى تصنع منها عادة هذه الدوائر الالكترونية.

وكانت أسرع الدوائر التى استخدمت حتى الآن من هذا النوع لاتستطيع أجراء أكثر من ثلاثة بلايين عملية حسابية في الثانية، في حين لاتتعدى سرعة الدوائر المصنوعة من السليكون ٥٠٠ مليون عملية في الثانية.

كما تتميز هذه الدوائر السريعة بأنها تستهلك كمية من الطاقة، مما يساعد على تصغير حجمها الى أقصى حد وذلك حتى لاتفقد النبضات الكهربية سرعتها اذا ما اضطرت الى قطع مسافات طويلة داخل الكمبيوتر.

بصمة العين!

قد لايعرف الكثيرون أن عيون الانسان لاتتماثل، وأنه لاتوجد أبداً عين مثل الأخرى.. تماما كبصمة الانسان.

وعلى أساس هذه الحقيقة العلمية صمم جهاز للتعرف على الأشخاص وتحديد هويتهم بتحليل بصمات عيونهم. وسوف يستخدم هذا الجهاز الأمني في المناطق المحظور دخولها الا لأشخاص معينين.

ويقوم الشخص المسموح له بدخول غرفة أو مبنى معين بتسجيل نفسه في هذا الجهاز، وذلك بالنظر خلال منظارين هما عبارة عن عيني كاميرا تقوم بالتقاط صورة لشبكة العين. ويتم تحويل هذه الصورة الى تمثيل رياضي ليختزن في ذاكرة الجهاز وتتسع هذه الذاكرة لصور ١٢٠٠ شبكية

ويكفى بعد ذلك لدخول المناطق المحظورة أن ينظر الشخص خلال عين الكاميرا ويركز على نقطة مركزية معينة أمامه. وبالضغط على الأزرار يقوم الجهاز بمسح للشبكية العين بواسطة أشعة تحت حمراء ذات طاقة ضعيفة جدا بحيث لاتسبب أى أذى للعين.

وبمقارنة هذه الصورة مع بصمة العين المسجلة في ذاكرة الجهاز، وهى عملية لاتستغرق سوى ثانية ونصف، يسمح للشخص بالمرور إذا تطابقت الصورتان.

ويؤكد الخبراء أن احتمال الخطأ في حالة بصمة العين لايزيد عن واحد في المليون؛ ويرون أن استخدام هذا التكنيك أدق من بصمة الأصابع، فقد تتعرض بصمة الأصابع لتغيير مؤقت نتيجة لجرح أو حرق مما يزيد من احتمالات الخطأ.

ولقد بدأ بالفعل تسويق هذا النظام الذى يبلغ ثمنه عشرة آلاف دولار.


الجهاز الخاص بتسجيل تحليل بصمة العين

علاج جديد لسيولة الدم!

تعددت انتصارات تقنيات الهندسة الوراثية، فبعد أن تمكن الباحثون في هذا المجال من انتاج أنسولين آدمى وانترفيرون وهرمون النمو، نجحوا مؤخرا في انتاج بروتين آدمى يساعد على تجلط الدم.

ويعتبر هذا البروتين، الذى يطلق عليه الأطباء اسم «العامل رقم ثمانية»، حيويا جدا لحياة المرضى بسيولة الدم.

فلقد قام الباحثون بعزل الجينة الآدمية المسئولة عن تكوين هذا العامل، وعملوا مزرعة لها، ثم زرعوا هذه الجينات في خلايا حيوانات ثديية. وبناء على الأوامر الوراثية الجديدة قامت هذه الخلايا بتكوين المادة الآدمية اللازمة لتجلط الدم.

وكان يتم تحضير هذا البروتين من قبل من دم المتبرعين، وهى عملية مكلفة ولاتخلو من الأخطار بالنسبة لصحة المرضى بسيولة الدم لأن ذلك يجعلهم عرضة للاصابة بالأمراض الفيروسية التى تنتقل عن طريق الدم مثل الالتهاب الكبدى «والأيدز» الخ.. كما يتطلب تحضير ملليجرام واحد من «العامل رقم ثمانية» وجود ١٢٠٠ متبرع بالدم، ومعنى ذلك توفر ٨٤٠٠ متبرع سنويا لعلاج مريض واحد.

في حين تستطيع تقنيات الهندسة الوراثية انتاج كيلو جرام من البروتين النقي، وهو مايكفى الاستهلاك العالمى لمدة عام كامل.



بقلم: رءوف توفيق

أوراق سينمائية
١٩٨٤ - ١٩٨٥

زواج الموسيقى والسينما •• هزيمة الأدب أمام المتفرج السريع •• الطريق مفتوح لأفلام الرعب

« جون هيرت » و « ريتشارد بيرتون » في لقطة من فيلم ١٩٨٤ .. رواية « جورج أورويل »

« جيرمى أيرونز » بطل فيلم « غرام سوان » عن ملحمة الأديب الفرنسي « مارسيل بروست » ..

عام ١٩٨٤ يلملم أوراقه ويسافر للتاريخ .. ليترك مكانه لعام جديد ..
بعض الأوراق تتشابه .. والبعض الآخر مميز ، يتحدى التكرار والنسيان .
وكما في الحياة .. كذلك في الفن ..
وقد شهدت أوراق السينما العالمية .. بعض العلاقات الهامة التي قد يكون لها امتداد في سينما عام ١٩٨٥ ..



المثلة الايطالية « أورنيلا موتى » بطلة فيلم « غرام سوان »

● الورقة الأولى
زواج السينما بالموسيقى

لعل أهم ما يميز سينما ١٩٨٤ .. ذلك الحشد الهائل المتوالى من الأفلام الموسيقية .. وكأن هناك « اتفاقا » على دفع البهجة إلى نفوس المتفرجين ، الذين أثقلتهم وطأة الأزمات العالمية وموجات العنف والإرهاب ..

وتراوحت الأفلام الموسيقية .. بين ترويج آخر صيحات الموسيقى الحديثة ، والتى يطلق عليها الموسيقى الاليكترونية .. وبين استعادة مجد وجمال الموسيقى الكلاسيكية بكل ما تحمله من أصالة وذكريات .. وأيضاً الموسيقى الشعبية التى ارتبطت فى الوجدان ، بقصص من التاريخ والنضال والحب ..

وهكذا شهد العالم على الشاشة .. أنواعاً مختلفة من الموسيقى .. ولكن بعض تلك الأفلام كانت أشبه بمخدر وقتى .. ينتهى مفعولها بمجرد الخروج من دار العرض .. أما البعض الآخر فقد مس أوتاراً حقيقية عند المتفرجين ، وأصبحت تمثل له نوعاً



المدافع الرشاشة والعنف .. لقطة من فيلم « شوارع من نار »

من النشوة والسعادة يسترجعها ويلوذ بها فى لحظات الضيق واليأس ..

من هذا النوع .. كان فيلم « أمادوس » للمخرج التشيكى الأصل « ميلوش فورمان » والذى استقر فى أمريكا . وحصل على الجنسية الأمريكية .. وبهر العالم منذ سنوات بفيلم « شعر » أو « هير » .. وها هو يعود ليقدم مفاجأته الفنية الجديدة « أمادوس » محدثاً أكبر إجماع بين نقاد السينما فى أمريكا وأوربا على أن هذا الفيلم « هو أجمل ما قدمته السينما على طول تاريخها » بين الأفلام الموسيقية .. !

ومن أبلغ التعبيرات التى أطلقت على هذا الفيلم « ما قاله أحد كبار النقاد فى السينما الأمريكية : « إن فيلم أمادوس هو أنجح زواج حتى الآن بين السينما والموسيقى » ..

الصراع بالموسيقى !

و « أمادوس » هو الاسم الأول للموسيقار النمساوى العظيم « موزارت » .. والفيلم يقدم تلك الفترة من تاريخ الموسيقى والتى شهدت الصراع بين الموسيقار « ساليرى » وبداية عبقرية « موزارت » والمنافسة بينهما فى قصور الملوك .

كان « ساليرى » وقتها اسما معروفاً تفتح له الأبواب الملكية ليقدم مؤلفاته .. وكان « موزارت » مازال صغيراً مجهولاً . خجولا يحاول أن يشق طريقه ولكنه كان عبقرياً . فى موسيقاه شىء يهز الوجدان ويخطف الانتباه ..

وشعر « ساليرى » أن عرشه يهتز .. فبدأ يعلن الحرب على « موزارت » .. أما « موزارت » فلم يشغل نفسه الا بالموسيقى .. كان يرد على خصمه بالموسيقى ..

ويسجل الفيلم هذا الصراع بالموسيقى .. بين المحترف الذى يخشى النهاية ، وبين هذا البارع الذى لا يكف عن الموسيقى والابداع ..

والفيلم الذى يستمر مدة عرضه « ساعتين وربع الساعة » لا يمكن تلخيصه .. فهو ليس فيلماً عن تاريخ « موزارت » أو العصر الذى يعيش فيه .. ولكنه فيلم عن مباراة بالموسيقى ..

وقد استمر المخرج « ميلوش فورمان » مع كاتب السيناريو « بيتر شافر » يعملان ١٢ ساعة يومياً لمدة أربعة شهور .. للتعبير عن مفردات الصورة التى يتضمنها الفيلم ..

مشاهد غنية بالتفاصيل بأقل الحوار ..

ولخص المخرج « فورمان » موقف « موزارت » من الصراع الدائر حوله .. بضحكة تتردد على طول الفيلم .. هى ضحكة « موزارت » الذى كان يداري عجزه عن التعبير بالكلام . بقهقهة بدأت خجولة متقطعة .. ثم أصبحت واثقة وبليغة ..

وقد عاد المخرج « فورمان » إلى بلده الأصلى « براغ » ليصور فيلمه هناك .. بعد غياب استمر ١٢ عاماً .. ولاشك أن هذه العودة إلى الوطن والأهل والأصدقاء . قد شحنته بالمزيد من القوة والحماس ليضع فيلماً متميزاً ..

وتحقق حلمه .. ولم يعد هناك حديث فى الأوساط السينمائية فى أمريكا الا عن هذا الفيلم الذى بدأ عرضه فى سبتمبر الماضى واكتسح ما قبله من الأفلام الموسيقية .. وأصبح يشكل نوعاً من التحدى لأية محاولة جديدة من بعده !

موسيقى المراهقين

وقد شهدت السينما الأمريكية فى عام ١٩٨٤ .. عدة محاولات للأفلام الموسيقية .. منها استثمار آخر ما تبقي من ظاهرة « جون ترافولتا » .. وفيلمه « البقاء حيا » .. وكأن عنوان الفيلم يحاول التأثير على المتفرجين بأن « ترافولتا » مازال قادراً على إثارتهم بالغناء والموسيقى الصاخبة كما فعل من قبل فى فيلم « حمى ليلة السبت » ..

وتهاوت ظاهرة « ترافولتا » .. لتصنع الدعاية الأمريكية ظاهرة جديدة وتطلق بالوناتها حول « مايكل جاكسون » الذى يعيد إلى الأذهان عصر النجم الأسطورة .. وتستعد شركات السينما الأمريكية في استثمار هذه الشهرة . قبل أن تذوب فى الهواء (! !) .. وهناك العديد من الأفلام تصنع من أجله . لتكون معدة للعرض مع بداية العام الجديد !

وبين « ترافولتا » و « جاكسون » .. لم تتوقف السينما الأمريكية عن ابتكار ما تغازل به هوس المراهقين والشباب من الغناء والموسيقى الصاخبة .. فقدمت لهم « فلاش دانس » .. ثم « فوت لوز » — أو القدم السائبة — ثم فيلم « شوارع من نار » الذى يمزج بين موسيقى الروك ، ومطاردات الموتوسيكلات ، والعنف الأحمق .. (كل التوابل التى تستهوى المراهقين) !

وبذكاء شديد .. التقطت السينما الأمريكية ، ملامح تلك الرقصة الآلية التى يلهو بها شباب الزنوج على نواصي الشوارع الأمريكية ..



حركات الرقص كما يجب أن تكون .. ولا تسأل بعد هذا عن سلامة رأسك أو عمودك الفقرى .. اللقطة من فيلم « بيت ستريت » .. ثم القمة للغناء والموسيقى في لقطة من فيلم « شوارع من نار »

وبدأت تزخرفها وتصنع لها الحواديت ، وتدججها بالموسيقى الهادرة .

وظهر فى عام ١٩٨٤ فيلمان من هذا النوع .. والبقية تأتى ..

الفيلمان هما « بريك دانس » و « بيت ستريت » .. ومن الصعب إيجاد ترجمة عربية لهذين العنوانين ، وإن كانت أقرب ترجمة هى « رقص الشوارع » !

الرقص الآلى

وقد عرفنا الرقص على مر العصور .. نوعاً من التعبير بالجسد عن حالات الفرح والحزن .. وعرفنا الرقص دائماً ، نوعاً من المشاركة يستطيع أن يقوم بها الشيوخ والأطفال والشباب فى المناسبات والاحتفالات ..

ولكن « رقص الشوارع » يجبرك على أن تكون بهلواناً لكى تؤديه .. مستعداً للتضحية بكسر عنقك ، أو التواء عمودك الفقرى .. وعلى أحسن الفروض تمزق عضلاتك ..

فالراقص هنا يقف على رأسه ويدور كالنحلة رافعاً يديه وساقيه في الهواء ..

أو تحرك جسدك فيما يشبه حركات الانسان الآلى .. حركات ميكانيكية حادة فيها الخشونة والتحفز .. كأنك تدعو الآخرين إلى معركة .. مع موسيقى هادرة تستفز مشاعرك .

وكان المقصود بكل هذا التشنج .. هو تفريغ الطاقة الجسدية وإهدار كل شحنة الحيوية فى الهواء ..

لقد فقد الرقص كل شاعريته وجماله .. وتحول إلى استخدام العضلات .. ودخلت الآلات الاليكترونية فى الموسيقى لتتحول إلى سياط تلدغ وتمزق الأعصاب .

هل هو تعبير عن ايقاع العصر ؟ أم أنه ترويج لسلعة جديدة لامتصاص طاقة الشباب ؟ أغلب الظن أنه كذلك (!!) .. بدليل أن الشركات السينمائية حسبت أرباحها من هذه الأفلام .. وقررت أن تواصل انتاجها .. وطبعاً ستزداد الجرعة .. وتلتهب الموسيقى أكثر .. وربما شق الراقصون أجسادهم .. وعلينا أن نتوقع كل ما هو غريب فى هذه النوعية من الأفلام عام ١٩٨٥ .

موسيقى تهز القلوب

ولكن المثير حقاً .. أنه وسط هذا الجنون .. ينجح فيلم « أمادوس » عن موسيقى « موزارت » .. وفى نفس الوقت يغزو فيلم « ريمبتيكو » اليونانى ، أسواق العالم ، معيداً إلى الأذهان عذوبة وشجن الموسيقى اليونانية الشعبية .

وقد ألقى مهرجان برلين السينمائى ١٩٨٤ .. مزيداً من الأضواء على الفيلم اليونانى « ريمبتيكو » حينما منحه جائزته الفضية (الجائزة الثانية) .. ثم بعدها طاف الفيلم فى مهرجانات أوربا السينمائية يجمع حوله القلوب .. ليصبح أحد أهم الأفلام الموسيقية التى شهدها عام ١٩٨٤ .

وكلمة « ريمبتيكو » تطلق على الموسيقى والغناء الشعبى اليونانى الذى كان يلحنه ويغنيه البسطاء ، تعبيرا عن همومهم وأفراحهم .. ولهذه الموسيقى ارتباط وثيق بتاريخ اليونان عبر أزماته .. حينما كان يلجأ إليها اليونانيون لتدعيم روح المقاومة أثناء الضغوط السياسية والعسكرية .. حتى أنه أثناء الحكم العسكرى الأخير لليونان .. صدرت التعليمات بمنع اغانى الريمبتيكو ومصادرة كل الأشرطة المسجل عليها !

ومن هذا الفهم .. صنع المخرج اليونانى « كوستا فيريس » فيلمه مستوحياً قصة مغنية شعبية معروفة .. ليحكي من خلال حياتها جزءاً من تاريخ اليونان .. من عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٥٣ .. مروراً بالغزو التركى .. والاحتلال النازى .. وبدايات الهجرة اليونانية إلى أمريكا ..

والموسيقى والغناء .. هما عصب الفيلم .. وقد ابدع الموسيقار اليونانى « ستافروس اكساركاكوس » فى إعادة إحياء الموسيقى الشعبية وتخليصها من التكرار لتصبح أكثر تركيزاً وقوة .. تتسلل إلى الأعماق .. فتكاد تلمس الأرض اليونانية وتشم هواءها ..

والمخرج اليونانى « كوستا فيريس » ولد فى مصر .. وتعلم فيها .. وتدرب على السينما .. كممثل صغير (كومبارس) فى عشرات الأفلام المصرية .. ثم عاد إلى بلاده عام ١٩٥٧ ليستكمل رحلته فى السينما .. مساعداً للاخراج .. ثم مخرجاً .. وفاز بأول جائزة عن الاخراج عام ١٩٧٤ فى مهرجان « سالونيك » باليونان ..

وفى فيلم « ريمبتيكو » اشترك المخرج مع ممثلة الفيلم الأولى « سوتيرا ليوناردو » فى كتابة السيناريو .. وقدمت الممثلة اليونانية تنويعات رائعة من



المغنية التي اختطفوها في فيلم «شوارع من نار»

جون هيرت : بطل فيلم ١٩٨٤ .. والصورة الأخرى للمخرج فولكر شلوندورف ، مع الممثل الجديد



الأداء والغناء .. في فيلم لا يمكن أن ينساه المتفرج بسهولة !

• الورقة الثانية
هزيمة الأدب في السينما

وبعكس هذا الحشد من الأفلام الموسيقية .. وتنوع المحاولات بين الأصالة والاستسهال .. نجد أن نصيب الأدب في سينما ١٩٨٤ أصابته خسارتان جسيمتان ..

الخسارة الأولى .. كانت في محاولة تقديم احدى قصص ملحمة «البحث في الزمن المفقود» للأديب الشهير «مارسيل بروست» .. تلك الملحمة التي تعتبر من عيون الأدب العالمي .

وفي هذه الملحمة جزء بعنوان «طريق سوان» .. أغرى الكثير من السينمائيين بمحاولة تقديمه في فيلم .. ولكن استعصت المحاولة عليهم .. أولا لصعوبة تحويل القصة إلى مشاهد سينمائية متتابعة .. وثانياً لضخامة التكلفة التي يحتاجها تمويل الفيلم لتجسيد مظاهر ارستقراطية الطبقة الثرية في باريس في تلك الفترة التي كانت فيها صالونات القصور تشهد تجمع التحف النادرة وأفخر الثياب المطعمة بالمجوهرات .. وحينما كانت العربات المطلية بالذهب تجرها الخيول تجري في شوارع باريس .. وحينما كانت حفلات الأوبرا معرضاً متنقلا للمجوهرات والملابس على الأجساد ..

وظل «طريق سوان» حلما مستحيلا امام مخرجي السينما .. حتى كبارهم .. فيسكونتي وجوزيف لوزي ..

ثم اقتحم أخيراً المخرج الألماني الشهير «فولكر شلوندورف» ــ صاحب فيلم الطبلة ــ هذا الحلم المستحيل ، وقدم فيلماً بعنوان «غرام سوان» مأخوذا عن رواية «مارسيل بروست» .. وبلغت ميزانية الفيلم ثمانين مليون مارك الماني (الفيلم انتاج الماني فرنسي مشترك) .. واختار لبطولته ثلاثة من ألمع نجوم السينما الأوربية وأكثرهم جاذبية بالنسبة للمتفرجين ! آلان ديلون ــ جيرمي أيرونز ــ والممثلة الايطالية «أورنيلا موتي» .

ورغم كل هذه الاغراءات .. لم يحقق الفيلم نجاحا تجارياً ملحوظاً بالاضافة الى سخط وخيبة أمل عشاق الروائي «مارسيل بروست» وفجيعتهم في الفيلم ..

فالفيلم لم يقدم الا جزءاً بسيطاً من قصة «طريق سوان» .. وحتى هذا الجزء لم يقدم فكر «بروست» ولا تأملاته .. وانما كان هذا الجزء قصة عادية جداً عن علاقة هذا الشاب الثري «سوان» بفتاة لعوب .. بكل الملامح التقليدية لهذه العلاقة .. من الغيرة والتضحية ثم الزواج الذي تستنكره هذه الطبقة ..

صحيح اعطى المخرج «شولندورف» كل ملامح تلك الفترة الباريسية .. بكل الثراء والفخفخة .. ولكن كانت الصورة خاوية من المعنى ..

رواية ١٩٨٤

ونفس السخط أعلنه عشاق رواية الكاتب



لقطة النهاية فى فيلم «ريمبتيكو» حيث خرج اليونانيون يغنون ويرقصون على أنغام الموسيقى الشعبية وكأنهم يعلنون انتصارها على مر الأجيال

ضحكة الموسيقار الغربى «موزارت» كما قدمها المخرج «ميلوش فورمان» فى فيلمه الجديد «أماديوس»

الانجليزى «جورج أورويل» والتى تحمل عنوان (١٩٨٤) .. والتى شغلت المثقفين والرأى العام — خصوصاً هذا العام — لمقدرة الكاتب على تحليل السطوة السياسية على الفرد العادى. متنبئاً بكل المآسى والمعاناة فى ظل البطش وتحكم الآلة.

حققت الرواية أعلى أرقام فى المبيعات .. وأفردت لها الصحف العالمية المقالات والتحليلات .. وانتهز المخرج الانجليزى «مايكل ردفورد» هذه الشهرة الواسعة .. وتخطى كل الصعاب والمعوقات لكى يقدم فيلمه فى نفس العام الذى يحمله عنوان الرواية ..

واختار لبطولته اثنين من عمالقة التمثيل «جون هيرت» و«ريتشارد بيرتون» — وكان هذا الفيلم آخر أعمال بيرتون قبل وفاته.

ورغم كل هذا .. لم يحقق الفيلم نجاحاً .. وظهرت المقارنات اللاذعة بين الأصل الأدبى والفيلم.

فقد تحول الفيلم إلى جزئية صغيرة وخاصة .. وكأن المقصود به إدانة المعسكر الشرقى فقط .. مع أن الرواية أشمل وأعم .. وفيها تحذير لكل الشعوب مهما اختلفت معتقداتها .. فالأساس فى الرواية هو العلاقة بين الحاكم والمحكوم ..

وهكذا .. فقد الأدب عملين هامين .. ربما نتيجة البحث عن المتفرج السريع .. ومحاولة جذب انتباهه على حساب العمل الأدبى.

• الورقة الثالثة
أفلام الرعب والفضاء

وسجلت ايرادات السينما العالمية .. أرقاماً خيالية لآخر أفلام المخرج الأمريكى «سبيلبرج» والذى عرض بعنوان «انديانا جونز» ليفرش الطريق بالآمال امام منتجى أفلام الرعب والإثارة ..

وليؤكد من جديد أنه العقل السينمائى الأمريكى الذى يعرف كيف يخاطب المراهقين — وهم أعلى نسبة من مشاهدى السينما الآن فى مختلف عواصم العالم — ويلهب مشاعرهم دوماً باختراع قصص حروب الفضاء .. والمخلوقات البشعة .. ومعارك الخيال الوهمى ..

ولتصبح هذه السينما .. مادة لا تنضب .. يقدمها البعض بغباء .. ويقدمها البعض الآخر بذكاء فنى يخضع لها كل تكنولوجيا الآلات الحديثة فى صناعة السينما ..

فالبذرة التى أثمرت ذهباً .. تغرى الكثيرين .. وتدير رءوس المغامرين ..

* *

ومهما كانت مؤشرات الأفلام .. واتجاهات السينما لعام ١٩٨٥ .. الا أن الحقيقة المؤكدة أن السينما فى معركتها أمام التليفزيون .. تحقق انتصارات فنية رائعة .. تثبت للجميع أن هذا الفن الساحر لا يمكن أن يهرم .. أو يشيخ .. والدليل أنه مازال يبهرنا عاماً بعد عام .. والمؤمنون الحقيقيون برسالة هذا الفن .. فى جعبتهم الكثير لكى لا نفقد حماسنا من الذهاب الى السينما.

رءوف توفيق

• قصـــــــة •

أوراق الخريف

بقلم : الدكتورة زهـرة المالـكي



وحيدة أنكمش فى سريرى تحت الملاءات البيضاء .. فى هذا المبنى الكبير الذى يحتضن بين ذراعيه مئات الآلام والجراح .. دقات الساعة تنغرز كالشوك فى أذني .. تهوى على رأسي كمطرقة نحاسية تفتت الإحساس بالسمع لتحوله إلى شيء بغيض مزعج .. وعيناي مشدودتان بقيود من حديد إلى عقارب تلك الساعة .. أنتظر متى تعلن العقارب عن وصول المحطة الرابعة من اليوم .. فبعد الرابعة يتوافد الزوار محملين بالورود والأزهار التى أحبها .. وأنظر من حولى لأرى غرفتى محتشدة بالورود .. لكنني أحس بها جافة ذابلة كعصافير بلا أجنحة وكسماء بلا غيوم مثقلة بالخير .. وتنتشلني من أفكارى بضع طرقات خفيفة على الباب .. ألتفت لأرى القادم فإذا بي أغرق فى ذهول عنيف .. هل أنا فى حلم أم فى حقيقة ينغلق فهمها علي ؟ .. هل هذا خالد فعلا ؟ .. ومن هذه السيدة التى ترافقه مع طفلة جميلة ؟ .. لابد أنها زوجته .. ولكن ما بالي صامتة هكذا دون أن أدعوها إلى الدخول ؟ ..

وتتسرب الكلمات من شفتى بطريقة روتينية لأقول : أهلا بكم .. تفضلوا بالجلوس ..

وتحاول أفكارى أن تنطلق بي إلى عالمها لكنني أتجاهل نداءها القوى حتى لا أحرج ضيوفى ، وها أنذا أعلق ابتسامة ميتة على أطراف شفتى فى صمت كئيب .. لم تطل الزيارة لكنها أشعلت فى داخلى نيرانا لا يخمد أوارها .. وها هى الحيرة القاتلة تطرق بابي بإصرار غريب .. وأسأل نفسي : هل زيارة خالد بقصد السؤال عن مريضة والتخفيف عنها أم أنه أراد أن يثبت أنه سعيد بالرغم من ابتعادي ؟ ..

أحس بالإرهاق وعقلي تتناوشه دوامات التفكير المضني بحثاً عن جواب شاف .. ليتك لم تحضر يا خالد .. أو ليتك حضرت وأنا قوية شامخة ولست طريحة فراش المرض والألم حتى لا أشعر بهذا الانهزام والانسحاق أمامك ، فأنا بطبعي أعشق الانتصار وأحتقر الضعف ..

إن مجيئك اليوم جعل النوم يتسلل إلى بجرأة بعد أن كنت أخرس صوته كلما ارتفع صداه .. كنت دائماً أهرب من حقيقتي .. من نفسي .. من كونى امرأة خلقت من عاطفة تبحث عن عاطفة .. واحساس يهفو إلى إحساس ونبض يود احتضان نبض أليف .. كنت أبدو للعيون كتلة قوية صلبة مع أن داخلي هش ضعيف يرنو إلى الحنان .. وفى طيات كتبى وأوراقي وبحوثي كنت أحاول الهرب والنسيان .. فنشوة اكتشافى لشيء جديد كانت تخدرني وتسلبنى إدراكى لأصحو من هذه النشوة وألهث من جديد وراء نشوة أخرى .. لكنني أحس بحياتي الآن قمة جبل باردة .. لادفء فيها ولا شعور ..

ليتك لم تحضر يا خالد لتذكرني بقسوتي عليك فى ذاك اليوم البعيد حين رفضتك وحطمت قلبك ودست على مشاعرك بقدمين فولاذيتين لم تخلقا لامرأة .. ليتك لم تحضر لتعيد لي أشباح عنادي وكبريائى الزائف فى البحث عن النجاح ، والشهرة ، والنور ، وحياة العظماء التى كنت أتمنى أن تصبح لي .. وها هى الحياة العظيمة التى كنت أحلم بها طويلا .. إن مزاياها التى تغرينى أصبحت أمامى الآن لتكشف عن مساوىء وعيون بشعة ..

ولكن ليتك لم تحضر يا خالد .. فقد ارتعش فى

قلبي أمل يعشش فى صدر كل أنثى .. بأن تصبح يوماما أماً تسكب الحنان والأمان فى دنيا صغيرة تحفها وحدها .. تحس أنها سيدة بيت جميل تترعرع فيه الألفة وتنمو فى أرضه مشاعر الحب والعطاء .. لكن ارتعاشة هذا الأمل فى قلبى تزيدنى ألماً وحسرة .. فقد ضاع الزمن وتسربت لحظاته من بين أصابعى دون أن أشعر .. وها هى الشعيرات البيض تدب بخفة إلى شعرى لتذكرني بالشيخوخة المقبلة .. ليتني يا خالد أستطيع أن أخر عند قدميك وأبللهما بأمطار دموع لاتجف .. لكن ماذا تفيد الدموع الآن ؟ إنها لا تستطيع حتى أن تخفف عني ، فالشظايا فى داخلى كثيرة ومؤلمة .. تندس بين جوانحي ، لتجرحنى وتعذبنى ، وتكسو عمرى نزيفاً أبدياً لا يتجمد .. ويلوح لي طيفك مرة أخرى مظللا بابتسامة غامضة .. وتمتد يدي محترقة بالشوق تحاول أن تحتضن يدك لكننى عاجزة عن لمسها .. وتكبر ابتسامتك وتطغى حتى تصبح بعرض الفضاء .. وأنا لا أفهم .. لكننى أتألم فى صمت كالضجيج ينهشني ويمزق مشاعرى ..

ويعيدني إلى واقعي ذى الملامح القاسية الحزينة صوت طفل بجوارى .. يده البضة الصغيرة تمتد نحوي ويهمس فى خجل ليقول : هل تسمحين بكتابة بعض الكلمات لي مع إمضائك ؟ ..

ولأول مرة منذ زمن تولد ابتسامة حقيقية صادقة على ملامحى .. والتقط منه أوراقه لأكتب له بضع كلمات مع إمضائى كما طلب ، ويبتعد عني شاكرا فى هدوء محبب .. نظرات هذا الصغير وكلماته العذبة جعلت الندم يزهر فى نفسى من جديد .. لتتفتح براعم الأمل الذابل .

.. وتموت ابتسامتى فى مهدها ..

موجات الندم تطاردني بسياط من نار .. تصرخ فى بقسوة : لماذ اخترت لنفسك هذه الحياة الجافة ؟ لماذا لم تقبلي حب خالد ومشاعره ؟ .. لو فعلت لكان لك مثل هذا الطفل الجميل ، ولا ستطعت أن تضميه بحنان إلى صدرك وتشبعيه من قبلاتك التى لا تنتهى .. ولما أصبحت الآن تختلسين قبلات سريعة من وجوه الأطفال المحملة بالبراءة والنقاء ..

وأحاول أن أغطى أذني بكفى .. لكن الصوت يصلنى ، أحاول أن أطبق عيني لأهرب وأبتعد لكننى أفشل .. أحاول أن أسكت الصراخ فى عقلى لكنه يعلو حتى يكاد يمزقنى .. وأمد أصابعى إلى عيني .. أتوسل إليهما أن تفيضا ببعض الدموع الحبيسة التى تخنق صدرى ولا تخرج .. لكن الصوت المفزع يقول لي ساخراً : لقد اخترت الخريف وأصبح قدرك الذى تعيشين به ويغتصب منك أحلى أفراحك .. ودموعك الآن لن تستطيع أن تبعث الحياة فى أوراق الخريف الذابلة ! ..

زهرة المالكي



شعر : محمد التهامي

الله يعلم ان في أعماقنـــا جمرا يضج تململا وضرامـــا
لكنها الاحداث غامت فوقنـــا وتساقطت فوق اللهيب ركامـــا
ومشى بنا التاريخ نحو القهقرى ومشى بكل العالمين امامـــا
وتربصت اعداؤنا بطريقنـــا يتخطفون السائر المقدامـــا
ويفرغون الفجـــر من انواره ليصير موقوت الظـلام دوامـــا

●●

ياليتنا ندري المهالك حولنـــا ونرى الشراك خفيـــة تترامى
ونرى المعـارك بعضها مشبوبة ملء الوجود تفزع النوّامـــا
والبعض فيها مُسْتَسِرٌ غامض في العمق ينفث بيننا الأسقاما
وخَلاصنا انا نفيق وان نرى ونحسّ داءً في الضلوع اقاما

●●

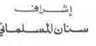
هم يعرفـــون وما عرفنا أمرنا حتى غدونا للنسور طعامـــا
يتخطفون .. ونحن في انيابهم صيد تملكه الضـــلال فنامـــا
فاذا صحونا فارتعـاش ذاهل مثل الذبيح يصـــارع الآلاما
نهتز في وهج العذاب كاننـــا ريش على كف الرياح اقامـــا
نشتد في طلب الخلاص وَفَاتَنا ان الطريق مليئـــة الغامـــا
فاذا استوت اقدامنـــا وتهيات شب الحريق فَعَوّق الاقدامـــا
رحنا نلم حطامنـــا ونقيمـــه ونسير نحمل في الحياة حطاما
فيؤودنا السير الكليل .. يردنا كى لا نحقق للمسير مرامـــا
ونصيح .. اين اصولنا .. واصولنا نلقاهمُ فينا دمـــاً وعظامـــا
في عمق أعماق لنا قد حوصروا ثم انحنوا ليلائموا الاحجـاما
سكن العمالقـة الكبار كياننـــا إنا عمالقـــة غدت أقزامـــا
حشروا برغمهم بغير ثيـابهم فتجاوزوا الاطواق والاكمـاما
صور تضج مهانة .. ودوامهـــا قد ارهق النصـــلح واللوامـــا
لكننـــا لن نستجيب ولن نرى حتى نميط من الضـــلال لثاما
بئس اللئـــام تحجرت طباتـــه واشتد في حُجُبِ الضياء وداما

●●●





دوحة القراء



إشــــراف
سـنان المسـلمـاني

ملاحظات هامة

(١) اذكر على غلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة الثقافية تتضمن (المسابقة الشعرية - عبارة شهيرة - جواز سفر - مدن العالم - المسابقة الذهنية)

(٣) لايجوز الأشتراك في أكثر من مسابقة في العدد الواحد حتى لا يلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة الدوحة - ص . ب ٣٣٢٤ - الدوحة - قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .



حاول أن تعرف



الصورة الأولى : قلعة عريقة بمدينة عربية تطل على البحر الأبيض المتوسط ، وقد بنيت هذه القلعة في القرن الخامس عشر على نظام قلاع العصور الوسطى .. ما اسم هذه القلعة .. وفي أية مدينة تقع ؟

● ● ●



الصورة الثانية : أحد علماء الفضاء العرب وهو أحد الجنود المجهولين وراء هبوط أول إنسان على سطح القمر من هو هذا العالم العربي الشهير ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٠٧



الصورة الأولى : مبنى الأكروبول ويطل على مدينة أثينا .

- الفائز : محمود حسن رباع - الأردن .
- الفائز : محمد سعيد أحمد - عبد الله - اليمن الديمقراطية .



الصورة الثانية : مايكل أنجلو .

الفائز : محمد زكي محمود - مصر .

الفائز : تاج السر حسين سليمان - السودان .

كلمات عاشت

• هل أدلكم على صوت أقوى من دوى المدفع ؟ .. إنه صوت الحق ينبعث من قلب أمة صالحة تريد أن تعيش حرة . «جورج واشنطن»

• الخالدون ليسوا هم الذين ينجزون الأعمال العظيمة ، وانما هم الذين يشقون لمن بعدهم الأعمال العظيمة . «طاغور»

• إن عظمة الشعوب تتوقف على مجموع الصفات السامية التي تتكون منها أخلاق أفرادها . «شارلس سمر»

• عدو صريح خير من صديق منافق ، جيش من الوعول يقوده أسد ، خير من جيش من الأسود يقوده وعل .

«نابليون»

• تستطيع أن تغلق جميع السجون ، يوم تستطيع أن تجد عملا لكل انسان . «هيلين كيلر»

عبد الباسط منصور

حلب ــ سورية

الإسكندر ومشورة الحكماء

سأل الاسكندر يوماً جماعة من حكمائه ، وكان قد عزم على سفر .

فقال : أوضحوا لي سبيلا من الحكمة أحكم فيه أعمالي ، وأتقن به أشغالي ..

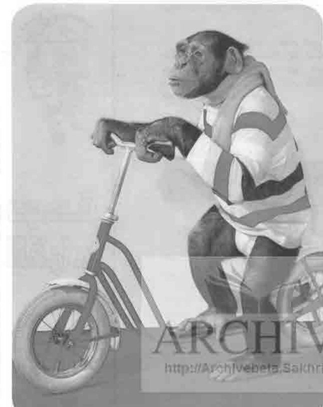
فقال كبير الحكماء : أيها القائد لا تدخل قلبك محبة شيء ولا بغضته ، لأن القلب خاصيته كاسمه ، وإنما سمي قلباً لتقلبه ، وأعمل الفكر واتخذه وزيراً ، واجعل العقل صاحباً ومشيراً ، واجتهد أن تكون في ليلك متيقظاً ولا تشرع في أمر بغير مشورة ، وتجنب الميل والمحاباة في وقت العدل والإنصاف ، فإذا فعلت ذلك جرت الأمور على إيثارك ، وتصرفت باختيارك وصدق الشاعر :

سرور المرء في الدنيا غرور
غرور المرء في الدنيا سرور
خليل المرء فهو دليل عقل
وعقل المرء مصباح ينير

جمال علي زكي

الزقازيق ــ مصر

لقطة الشهر



رياضي رغم أنفه

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء : محمد أمين الحاج ــ جامعة الخرطوم ــ السودان .

حدث في أكتوبر

• ١١٨٧/١٠/٢ م : استعاد المسلمون بيت المقدس بقيادة البطل صلاح الدين الأيوبي .
• ١٩٧١/١٠/٢٦ : دخول الصين هيئة الأمم المتحدة .
• ١٧٩٢/١٠/١٣ : وضع حجر الأساس للبيت الأبيض مقر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .
• ١٩٣١/١٠/١٨ : وفاة المخترع العظيم توماس أديسون .
• ١٩٣٢/١٠/١٤ : وفاة أمير الشعراء أحمد شوقي .
• ١٩٧٣/١٠/٢٨ : وفاة عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين .
• ١٩٧٣/١٠/٦ : بدء حرب أكتوبر المجيدة على الجبهة المصرية ــ والجبهة السورية في آن واحد ضد اسرائيل .
• ١٨٦٩/١٠/٥ : مولد المهاتما غاندى مؤسس الهند الحديثة .

وجدى محمد أبو المتولى ــ مصر

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

أصل وصورة





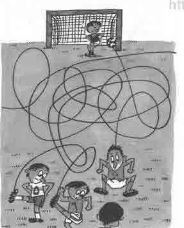
هناك عدة اختلافات طفيفة بين أصل وصورة الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) الذى كانت أفكاره تدعو إلى تدريب العقل على التفكير المنظم الحر .. إذا استطعت التعرف على تلك الاختلافات فلك جائزة

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبي عربي مشهور ، إذا تعرفت عليه فى انتظارك جائزة

دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. حدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ، لتحصل على جائزة

هات أجمل تعليق



هذا الرسم الكاريكاتيرى يحتاج إلى تعليق خفيف الظل .. أرسل لنا تعليقك على هذا الكاريكاتير لتحصل على جائزة

لعبة الظلال



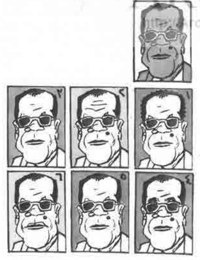
احتار هذا اللاعب فى الحصول على ظله الحقيقى ، حاول أن تساعده فى مشكلته وتدله وتدلنا على ظله الحقيقى لنرسل لك جائزة

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست شخصيات قريبة الشبه من الروائى المعروف نجيب محفوظ الذى كان من بين آخر أعماله « أمام العرش » .. من بين هذه اللوحات واحدة تشبهه تماماً .. وفى البقية اختلافات بسيطة ، هل يمكنك التعرف عليها لتحصل على جائزة .





بقلم : عبد الله الجفري

موت الحقيقة

قلت له : يخيل الي أنك تنشغل بمعالجة قرار تريد أن تتخذه من أعماق نفسك .. دون أن تجعل تأثيراً عليه من اضطرار معاشك . أو من تعودك على صيغة حياة عشتها ؟ !

ـ قال : أشعر أن خطواتي تسهر فوق درب مازلت ألهث وأنا أقطعه جيئه وذهاباً ، ولكن قدر الانسان هو أن يصنع كل يوم خطوة أخرى ليكبر عمره وتنقص أيامه ، واذا لم يفعل ذلك فلابد أنه سيموت !

ـ قلت : كأنك تبحث عن الراحة بتكثيف الألم والضنا ؟ !

ـ قال : لقد دخلت إلى عظمة الألم لكي أبقى إنساناً ، وغاندى قال من قديم : لن ترتفع الانسانية الا بالألم ، فأنا أمشى داخل ساحة تعودت عليها .. إسمها : حياتى ، وأقفل الباب خلفى .. حتى إذا فكرت أن أسلخ هذه الحياة من عمرى ، أو أمنع عمرى من هذه الحياة فشلت .. ذلك لأن شدة التعود أحياناً تصبح أقوى من جاذبية الحب ، ولأن « القيم » عندما تصبح فلسفة فإن الحياة لا تطيق الفلسفة ، ولكن الانسان هو الذى يلوذ إلى تلك الفلسفة ليتخلى عن أشياء أكبر منه ولا يقدر عليها ، وليتدجن فى أشياء أقل منه ويهبط إليها .. فالقيم فى هموم الانسان الحزين هى قاعدة ومناجاة ، ولكن الانسان بعلاقاته المتعددة يضطر أن يحيل القيم أحياناً إلى تذكرة دخول لمسرح الحياة !

ـ قلت : كيف تحرك هذه النظرة فى أمثلة تطرحها ؟ !

ـ قال : أنا أقول لك .. أنت ـ يا إنساناً ـ رهن ما ربيت عليه ونشأت فيه .. أى أن تكون رهن ما عودك عليه أهلك ، ثم مجتمعك ، وهذا التعود منك قد يستغرقك فيتحول فيك إلى طبيعة ، وإلى سلوك ، وإلى قيم أيضاً .. أو إلى سفاهة . فإذا تعودت على الخير ، فلن تستطيع أعتى قوة للشر أن تجذبك إليها ، ولن تقدر عواطفك أن تتسلخ الا فى حالة واحدة هى أن تيأس . أما لو نشأت فى بيئة قاسية .. مشرداً ، ومهاناً ، وجاهلا ، فمن الصعب على الحب أن يكسيك مهما كانت نضارة الحب .

نحن نبنى الحياة دائماً بالعاطفة .. أما العقل فنجعله دروساً ومحاضرات فى المدارس والجامعات فقط . لا نحاول أن نمزج العاطفة بالعقل ، أولا نفكر أن نمد العقل بصبابة من الوجدان ، وتكون النتيجة : أن كثيراً من الناس يعجز عن الصمود أمام تجربة ، ويعجز عن رؤية خلفيات موقف صعب ، والسبب يكمن فى : أننا جعلنا العاطفة تعوداً .. لا شعوراً وتعاملا !

ـ قلت : ولكن .. الى أي حد يمكننا أن نلوذ بالعاطفة ؟ !

ـ قال : أريد أن لا يستغل الانسان عاطفته ضد عقله ، وأن لا يحول عقله إلى حاكم متفرد طاغية . أن ننظف العاطفة من التأثير الذاتى المحض الذى يضخم فيصبح أنانية وحباً أعمى للذات ، وأن نرتفع بالعقل إلى مستوى الوعي بمستوى لحظات ضعف الانسان أحياناً . إن حياتى ليست ملك زاوية فى مساحة عمرى ، ولكن عمرى كله هو الساحة التى لا تتجزأ ، فأصغر نقطة حب ربما تتحول إلى أكبر مساحة للكراهية ، وأصغر مساحة حب تستطيع أن تغسل كل الأحقاد والكراهية فى العالم !

ـ قلت : ان الحياة مقبولة بالحب فبماذا تقبل الحب ؟!

ـ قال : بمعانيه وليس بالتعود عليه . بتفوقه وليس بهزائمه . بعطائه الذى لا يطلب مقابلا وليس بأخذه الذى لا يعيد شيئاً . فنحن لا نرتكب أسباب ندم الآخرين !

ـ قلت : مالذى نرتكبه اذن ؟ !

ـ قال : نحن نرتكب الأنانية فنجعلها الجانب الظاهر من القيم .. كأن نتصور أن الذى لا يعطينا المكسب هو ضد القيم ، والقيم أحياناً تجعلنا نخسر ، ولكننا لا نندم ، فالذى خسرناه بدون القيم .. هو لا أكثر من إفرازات عاطفية محدودة . أما العاطفة الحقيقة فهى باقية فى الوعى ، وفى الانتماء للأرض ، وفى الارتباط الروحى الذى يلزم صاحبه حتى الموت ، وهى باقية أيضاً فى الحنين الدائم .. فالذين يفقدون الحنين يسقطون بلا شك فى قسوة ادعاء الحياة ، وادعاء القيم !

ـ قلت : أسألك ـ اذن هل يمكن تجزئة أو « تقسيط » الحب ، كأن نقول : حب الماضى ، وحب الحاضر ، وحب المستقبل ؟ !

ـ قال : الحب لم يكن فى يوم ما « كمبيالة » .. لأن أكبر إنسان سيعجز عن تسديد « قيمة » هذه الكمبيالة .. لو جعل الحب تقسيطا ، والذى استطاع أن يحمى حبه من تفسخ الوقت لا يقبل أن يجزيء عاطفة العمر ، فيجعلها ماضياً ، وحاضراً ، وآتياً .. فالماضى هو الحقيقة ، والحقيقة لا تضيع أبداً .. ترتبط بالحاضر ، وتنهد إلى المستقبل !

ـ قلت : ولكن .. ألا يمكن أن تموت الحقيقة ؟ !

ـ قال : عندما نجعل الكراهية حقيقة .. فالبغضاء لا تتواصل ، والقيم تلفظ البغضاء !

ـ قلت : فما هو هذا الذى تجرنا إليه البغضاء ؟ !

ـ قال : ليس هو المستقبل ، لأنه ليس هو الحقيقة .. فالحقيقة عقل وعاطفة تسمو بالألم ، وما نعانى منه اليوم هو عاطفة تنحط بالألم وتدوسه بالتفسخ ! !

جدة